هذا هو الشيخ

أيها المريد

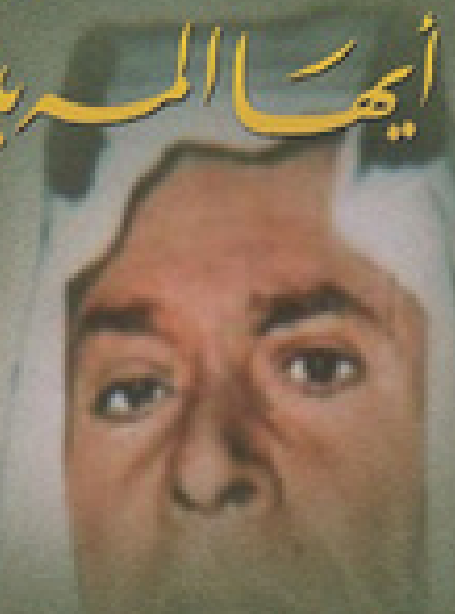

أحمد قنديل أبو سريد

هـــذا هـــو الشيـــــــــخ

أيهـــــا المريـــــــد

إعـــــــــــــداد

المهندس/ أحمد قنديل أبو مزيد

قـــام بمراجعته وتدقيقـــه

الأستاذ/ محمد سالم صُـــوَّان

تحت توجيه وإرشاد

عمي الحاج/ مسعد حامد جرير

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

فلسطين – غزة

٢٠١٦م – ١٤٣٧هـ

''مـــــقـــــدمـــــــة الكـــتـــــــاب''

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فهو المهتدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فلن تجد له وليًّا مرشدًا، الحمد لله الذي زَيَّنَ قلوبَ أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَلَ والإشفاقَ، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كُتِبَ ولا في أيِّ الفريقين يُسَاقُ، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدلِه، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إلهٌ عزَّ مَن اعتزَّ به فلا يُضَامُ، وذلَّ مَن تَكَبَّرَ عن أمره ولقي الآثام.

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيب قلوبنا، ونور عيوننا، وشفيعنا يوم الزحام، محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفيائه، المخصوص بالمقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود، والشفاعة العظمى يوم الخلود، الذي جُمع فيه الأنبياء والمرسلون تحت لوائه في اليوم المشهود.

آياتُ أحمدَ لا تُحَدُّ لواصـــــفٍ ولوَ أنَّه أُمْلِيْ وعاشَ دُهُـــــــورَا

بشراكمُ يا أمةَ المختارِ فـــــي يومِ القيامةِ جنةً وَحَرِيْـــــــــــرَا

فُضِّلتُمُ حقًّا بأشرفِ مُرْسَـــــلٍ خيرِ البريةِ باديًا وَحُضُـــــــــورَا

صَلَّى عليهِ اللهُ ربي دائمـــــًا مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَزَادَ كَثَيْـــــــــرَا

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم برحمتك وَمَنِّكَ يا أرحم الراحمين، أما بعد:-

إنَّ مِنْ عظيم فضل الله تبارك وتعالى وَمِنَّتِهِ علينا أن جعلنا من أمة الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد عليه السلام، خير أمة أخرجت للناس، وجمعنا برجلٍ من كبار رجال الله الصالحين، وصفوته المقربين، وعباده المخلصين، غوث أهل الله أجمعين، وقطب الموحدين في عصره وزمانه، فضيلة سيدي الحاج عيد

أبو جرير رضي الله تعالى عنه وعنا به، ومعرفة الشيخ المربي أحبتي في الله كما تعلمون شيء عظيم، وليس سهلًا يسيرًا، ولا ينال بكل سهولة ويسر، بل عزَّ وجوده في هذا الزمان، وبما أن حقيقة التصوف لا تقوم إلا على اتخاذِ شيخٍ مربٍّ عارفٍ بالله تعالى، وهذا لا يتحقق إلا بالمحبة التي هي عنصرٌ أساسيٌّ في هذا الطريق بل هي روحه، وهذه المحبةُ لا تُدْرَكُ كُلُّهَاَ في خطوةٍ واحدةٍ، ولكنها درجات ومدارج في السير إلي الله يقطعها السالك، فإذا حددنا أن بداية الطريق هو تحديد المقصد وهو وجه الله تبارك وتعالي، فالآن لنا نقطة بداية، فهل نستطيع أن نبدأ هذا الطريق؟ وإذا كنا لا نعلم معالم نقطة الوصول وكيفية الطريق إليها فكيف نسافر؟ وهذه هي أهمية الدليلِ العالمِ بالطريقِ الذي يأخذ بأيدينا ويدلنا علي معرفة الله سبحانه وتعالي، يقول الله تبارك وتعالي:- { الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا }،(الفرقان:-٥٩)، ويقول أيضًا:- { وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }،(فاطر:-١٤)، فيرشد من أراد أن يعرف الله تعالى حق المعرفة أن يذهب لخبير بالله تعالي، ويقول أيضًا:- { مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا }،(الكهف:-١٧)، فيبين أن الهدي والضلال بيده سبحانه وتعالي، ولكنه إذا أراد الهداية لعبدٍ دَلَّهُ علي وليٍّ مرشدٍ يأخذ بيده إلي الله تعالى، واستطرد العلماء في الشرح عن أهمية الشيخ المربي بل وصنفوا فيه الكتب ويكفينا قولهم:- {مَنْ كَانَ شَيْخُهُ كِتَابَهُ فَقَدْ ضَلَّ}، وفي هذا المعنى العظيم البليغ يقول فضيلة شيخنا قدَّس الله تعالى سره في كتابه النفيس ''بستان المحبة- في باب أحكام الخلة في الله'':- { إذا أردتَ العلا وخوضَ بحرِ المعارفِ، وأردتَ أنْ تعبرَ الحسَّ إلى المعاني اللطائفِ، فلا بُدَّ لكَ منْ خليلٍ كبيرِ القلبِ عارفٍ، خبيرٍ بالطريقِ بصيرٍ بأغواره والمشار، يريك مهالك السير ويقيك شرَّ المخاوف، فاعتنق منه ربقة العهد فيصلًا بين آتٍ وسالفٍ، واعتقد واتبع ولا تنتقد أو تخالف، وابذل الجهد في حبه فالحب سرُّ التآلف، لا لشيءٍ أو على شيءٍ ودادهم والتعاطف، جعلوه بينهم شرابهم والطعاما، وتعاطوه مذهبًا والبر ليس كلامًا، فكيف تحظى بوصلٍ إن لم تكن مستهامًا، بل كيف تدنو لقربٍ والحبُّ خمرُ الندامى، أما سمعت المنادي ﷺ وهديه قد ترامى:- '' لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا''}، ومن هنا يتضح جليًّا وضوح الشمس في رابعة النهار أنه لا بد لكل من أراد سلوك طريق الحق تبارك وتعالى أن يكون له

مرشدٌ ومربٍّ ليدله على الطريق، ويرفع عنه الأخلاق المذمومة، ويضع مكانها الأخلاق المحمودة، ومعنى التربية أن يكون المربي كالزارع الذي يربي الزرع، فكلما رأى حجراً أو نباتاً مضرّاً بالزرع قلعه وطرحه خارجاً، ويسقي الزرع مراراً إلى أن ينمو ويتربى، ليكون أحسن من غيره ؛ وإذا علمتَ أنَّ الزرعَ محتاجٌ للمربي، علمت أنه لا بد للسالك من مرشد البتة، لأن الله تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق ليكونوا دليلًا لهم، ويرشدوهم إلى الطريق المستقيم؛ وقبل انتقال المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الدار الآخرة قد جعل الخلفاء الراشدين نواباً عنه ليدلوا الخلق إلى طريق الله تعالى؛ وهكذا إلى يوم القيامة، فالسالك لا يستغني عن المرشد البتة).

ويقول أيضًا ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه:- (وينبغي لمن عزم على الاسترشاد، وسلوك طريق الرشاد، أن يبحث عن شيخٍ منْ أهلِ التحقيقِ، سالكٍ للطريقِ، تاركٍ لهواهُ، راسخِ القدمِ في خدمةِ مولاه، فإذا وجده فليمتثل ما أمر، وَلْيَنْتَهِ عما نهى عنه وزجر)،[مفتاح الفلاح" ص ٣٠].

ويقول الإمام الشعراني بعد أن بين أن من سلك الطريق من غير شيخ تاه:- "من قال إن طريق القوم يُوْصَلُ إليه بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها، لما احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام أَخْذَ أدبهما عن الشيخ، مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم:- (كل من قال:- إن ثم طريقةً للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله عزَّ وجلَّ)، فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان:- "قد ضيعنا عمرنا في البطالة والحجاب وأثبتا طريق القوم ومدحاها".

وكان سلطان العلماء العزُّ الدين بن عبد السلام يقول بعد ذلك:- "ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله"، ثم يتابع الإمام الشعراني قائلا:- "فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى".

إذن فلا بد للمرء أن يسعى لاتخاذ مرشد، قد ورث الإرشاد عن رسول الله ﷺ شيخاً بعد شيخ، يسمى وارثاً محمديّاً أو شيخاً مرشداً، أو عالمًا ربانيًّا، يصله برسول الله ﷺ صلة روحية، من خلال سند واضح صحيح، لا يقلُّ في أهميته عن سند الحديث النبوي، يأتمر بأمره ويسير معه ويتعلم منه ويأخذ عنه أمور دينه

ودنياه، وَيُعَرِّفُهُ طريقَ الوصولِ إلى معرفةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وَيُعَرِّفُهُ أحكامَ دينه، وَيُعَرِّفُهُ آفاتِ نفسه ومعالجتها، وَيُحَذِّرُهُ من مداخل الشيطان على قلبه، فلرسول الله وُرَّاثٌ ورثوا عنه بعض الوظائف التي اختص بها، فمنهم من ورث عنه علوم الفقه، ومنهم من ورث عنه علوم التلاوة، ومنهم من ورث عنه علوم السير وغيرها من العلوم، وقد ورث عنه أشياخنا رجالُ السند علومَ الشريعة والطريقة والحقيقة، إضافة إلى مناهج تزكية الأنفس وإصلاح القلوب، وقد عُرف عن ساداتنا أهل البيت الأطهار عبر السنين ميراثهم لهذه العلوم عن رسول الله ﷺ.

والسلوك يكون على يد شيخٍ حيٍّ عارفٍ بالله، صادقٍ ناصحٍ، له علمٌ صحيحٌ، وذوقٌ صريحٌ، وهمةٌ عاليةٌ، وحالةٌ مرضيةٌ، سلك الطريق على يد المرشدين، وأخذ أدبه عن المتأدبين، عارف بالمسالك، ليقيك في طريقك المهالك، ويدلك على الجمع على الله، ويعلمك الفرار من سوى الله، ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله، يوقفك على إساءة نفسك، ويعرفك بإحسان الله إليك، فإذا عرفته أحببته، وإذا أحببته جاهدت فيه، وإذا جاهدت فيه هداك لطريقه، واصطفاك لحضرته، قال تعالى:- {وَالذِّيْنَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}،(العنكبوت:-٦٩).

ولله در القائل في هذا المعنى الجميل:-

يَصْحَبُ شَيْخًا عَارِفَ الْمَسالِكْ ... يَقيهْ في طريقِهِ الْمَهَالـــــكْ

يُذْكِـرُهُ اللَّـــــــــــهَ إذَا رَآهُ ... وَيُوصِلُ الْعَبْدَ إلى مـــــوْلاهُ

يُحَاسِبُ النَّفْسَ عَلَى الأنْفــاسِ ... وَيَزِنُ الْخاطِرَ بالقِسْطـــــاسِ

وَيَحْفَظُ الْمَفْروضَ رَأسَ الْمــالِ ... والنَّفْلُ رِبْحُهُ بِهِ يُوَالـــــــــي

وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ بِصَفْوِ لُبِّـــــــهِ ... وَالْعَوْنُ في جَميعِ ذَا بِرَبِّـــــهِ

يُجاهِدُ النَّفْسَ لِرَبِّ الْعـالَميــنْ ... وَيَتَحَلَّـى بِمَقَاماتِ الْيَقيـــــنْ

خَوْفٌ رَجَا شُكْرٌ وَصَبْرٌ تَوْبَـهْ ... زُهْدٌ تَوَكُّلٌ رضَــا مَحَبَّـــــهْ

يصْدُقُ شَاهِدَهُ فـي الْمُعامَلَــهْ ... يَرْضَى بِمـا قَدَّرَهُ الإلَهُ لَـــــهْ

يصيرُ عِـنْدَ ذَاكَ عَارِفًا بِـــهِ حُرًا وَغَيْرُهُ خَـلاَ مِنْ قَلْبِـــــهِ

فَحَبَّهُ الإلـــهُ وَاصْطَفَـــــاهُ لِحَضْرَةِ الْقُدُّوسِ وَاجْتَبَـــــاهُ

وأما كل من يعتقد أنه بمجرد قراءة كتب القوم، وبتلاوة القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ، ومطالعة سيرته العطرة الطيبة، يصبح عابدًا صالحًا سالكًا للطريق المستقيم، والنهج القويم، فقد ابتعد عن الحق تبارك وتعالى من حيث يظن القرب، وحاد عن الجادة من حيث يظن الوصول، وفي هذا المعنى يقول بعض الصالحين:-

يظنُّ الغمرُ أنَّ الكتبَ تهـــدي أخا فهمٍ لإدراكِ العلـــــــــومِ

وما يدري الجهولُ بأنَّ فيهـــا غوامضَ حَيَّرَتْ ذهنَ الفهيـــــمِ

إذا رمتَ العلومَ بغيرِ شيـــخٍ ضللتَ عنِ الصراطِ المستقيـــمِ

وتلتبسُ الأمورُ عليك حتـــى تصيرَ أضلَّ منْ توما الحكيـــمِ

ولما كان ذلك كذلك، كان واجبًا علينا وحريًّا بنا أن نتعرف على صفات الشيخ المربي، وكيفية سلوكه وأخلاقه، ومنهاجه في التربية، أسوة بحبيب قلوبنا ونور عيوننا سيدنا ومولانا محمد ﷺ، لنكون على بينة من أمرنا في العبادة والطاعة والقرب، وعمن نأخذ عنه أمور ديننا، وسيرنا في الطريق إلى الله تبارك وتعالى، فهيا بنا أخوتي في الله وأحبتي في رسول الله ﷺ لمطالعة هذا الكتاب، والوقوف على حقيقة الشيخ المربي، وصفات العالم الرباني، والوارث المحمدي، الذي ستسلمه زمام أمرك وقيادك ودفة التوجيه، ليصل بك إلى بر الأمان، وساحل النجاة، وذلك لأن المرء على دين خليله، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، لأنك أخي الحبيب لن تفلح إلا بصحبة من أفلح، وإنك لن تصيب إلا باتباع المنيب، اسمع قوله تعالى:- { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ }،(لقمان:-١٥)، وقوله تعالى:- { وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}،(فاطر:-١٤)، صدق الله العظيم، وبلغ رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

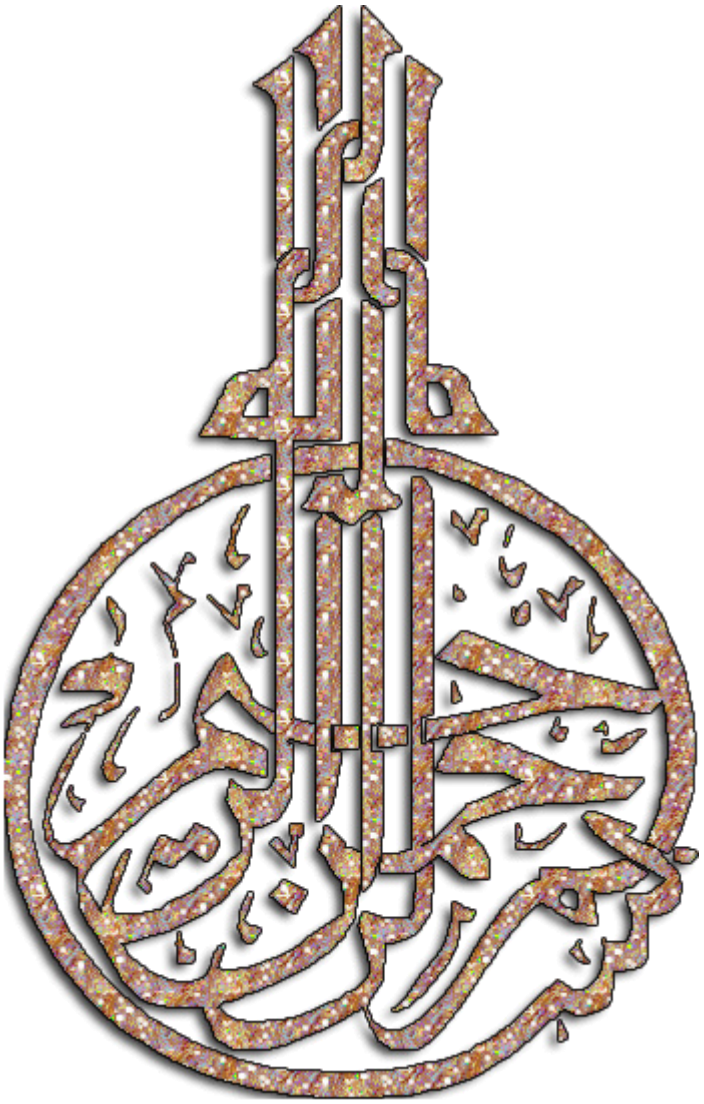

فهرس

الرقم	الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
١.	مقدمة الكتاب	
٢.	فهرس	
٣.	الباب الأول:- من هو الشيخ المربي	
٤.	الباب الثاني:- حاجة المريد للشيخ المربي قدس الله تعالى سره، وضرورة ملازمته	
٥.	الباب الثالث:- صفات الشيخ المربي	
٦.	أخلاقـــــــــــــــــــــه	
٧.	علومه ومعارفـــــــــــــــــه	
٨.	أوصاف الداعي الحكيـــــــــــــم	
٩.	وصيـــــــــــــــــــــة	
١٠.	السالك في طريق الله تبارك وتعالى	
١١.	العبد الواصـــــــــل	
١٢.	العبد المقـــــــــرب	
١٣.	عبادة المقربيـــــــن	
١٤.	أوصاف أهل الطريق وأهدافهم	
١٥.	الباب الرابع:- آداب المريد	
١٦.	وأما أدب المريد مع شيخه واحترامه له	
١٧.	آداب المريد مع إخوانه	
١٨.	أدب المريد مع نفسه	
١٩.	ملخص شامل جامع نافع لجميع آداب الطريق لكل مريد صادق سالك	
٢٠.	الباب الخامس:- البيعة المحمدية ومشروعيتها في الإسلام، أو ما يسمى بالعهد	
٢١.	فتوى من الأزهر الشريف عن أصل العهد في الشريعة المحمدية	
٢٢.	شروط البيعة المحمديـــــــــة	
٢٣.	الباب السادس:- قبسات مضيئة من حياة السلف الصالح	
٢٤.	نبذة مختصرة عن حياة شيخنا الجليل/ سيدي الحاج رضي الله تعالى عنه وأرضاه	

٢٥.	سيدنا الجليل/ الصحابي عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٢٦.	سيدنا أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٢٧.	سيدنا ابن عطاء الله السكندري رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٢٨.	سيدنا المرسي أبو العباس رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٢٩.	سيدنا أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٣٠.	سيدنا أحمد بن أبي الحواري رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٣١.	سيدنا الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٣٢.	سيدنا السري السقطي رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٣٣.	سيدنا معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٣٤.	سيدنا الجليل/ من كبار التابعين أويس القرني رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٣٥.	سيدنا إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه وأرضاه	
٣٦.	الخاتمـــــــــة	

’’البـــــاب الأول’’

’’من هو الشيخ المربي’’

***- من هو الشيخ المربي:-**

*- إن الشيخ المربي المتصدر للتربية والتعليم والإرشاد لها صفات وشروط ومزايا كما قال فضيلة شيخنا قدَّس الله تعالى سره، وطيب الله ثراه:- { انظر إلى من يدعوك إلى سبيل ربك، فإن وجدته مخالفًا للشرع في قليل أو كثير فانفر منه حتى لا يفسد عليك دينك ويضلك السبيل، فإن كان تاركًا للصلاة فقد قاطع الرب الجليل، وإن كان مانعًا للزكاة فبئس الرجل ذلك البخيل، وإن كان لا يصوم رمضان دون عذر فما له عند الله من قبول، وإن كان تاركًا للحج وهو قادر عليه فقد خالف هدي الرسول، وإنْ أَحَبَّكَ وَقَرَّبَكَ من أجل شيء من حطام الدنيا فاعلم أن دعايته كذب وتضليل، أما إذا وجدته يدعوك لله لا يريد منك جزاءً ولا شكورًا، ووجدته يحبك في الله ويحذرك من يوم كان شره مستطيرًا، ووجدته يؤدي فرائض ربه وَسُنَّةَ من أرسله الله مبشرًا ونذيرًا، فعليك وجب اتباعه وتأييده وإلا كان قلبك بورًا، وكيف لا تفعل ما أمرك الله به حيث قال:- {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}،(الكهف:-٢٨)، يا ولدي خالف نفسك والشيطان إذا أردت أن تكون طاهر الجسم والفؤاد، ولا تنسَ وقوفك بين يدي أحكم الحاكمين يوم المعاد، وجوه يومئذ مبيضة وأخرى موسومة بالسواد، افتح ينابيع قلبك، وانظر بعين بصيرتك، ولا تتزحزح عن بيعتك، ولا تخالف إرشاد شيخك تنقطع قبل وصول الباب، لأن شيخك ما هو إلا أنت يدعوك لما يُحْيِيْك وينجيك يوم الحساب، ثم هو لا يطلب من دنياك شيئًا بل استغنى بالواحد الوهاب}.

*- وقال ابن القيم الجوزي:- [فإذا أراد العبد أن يقتديَ برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين، وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإذا كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فُرطاً، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته فإن وَجده كذلك فَلْيَبْعُدْ منه، وإن وجَدهُ من غلبَ عليه ذكرُ الله تعالى واتباع السنة فليستمسك بغرزه].

*- وقال سيدي أبو مدين رضي الله عنه:- الشيخ من شهدتْ له ذَاتُكَ بالتقديم، وَسِرُّكَ بالتعظيم، الشيخُ من هَذَّبَكَ بِأَخْلَاقِهِ، وَأَدَّبَكَ بِإِطْرَاقِهِ، وَأَنَارَ بَاطِنُهُ بَاطِنَكَ بِإِشْرَاقِهِ، الشيخ من جمعك في حضوره، وحفظك في مغيبه.

*- وقال في لطائف المنن:- ليسَ شيخُكَ منْ سمعتَ منه، وإنما شيخُكَ منْ أخذتَ عنه، وليس شيخك من واجهتك عبارته، وإنما شيخك الذي سرتْ فيك إشارته، وليس شيخك من دعاك إلى الباب، وإنما شيخك الذي رفع بينك وبينه الحجاب، وليس شيخك من واجهك مقاله، إنما شيخك الذي نهض بك حاله.

*- شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى، ودخل بك على المولى، شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك، حتى تجلَّت فيها أنوار ربك، أنهضك إلى الله فنهضْتَ إليه، وسار بك حتى وصلْتَ إليه، وما زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه، فزجَّ بك في نور الحضرة وقال لك:- "ها أنت وربك".

*- إن المهمة الغيبية للشيخ المربي هي تكييف الأنوار مع " الطاقة الاستيعابية " الروحية للمريد مما يجعل هذا الأخير [أي المريد] متوازنًا عقليًّا واجتماعيًّا مع تحقيق سيره الروحي إلى الله تعالى.

*- ونجد على قمة هرم الولاية في الإسلام يتربع الوارث المحمدي {غوث الله أجمعين} الذي يؤدي التصديق في ولايته والخضوع لإرادته إلى توجيه القلب إلى الله تعالى بسرعة تتناسب مع درجة التصديق في ولايته، وإخلاص المريد في طلبه للحق سبحانه وتعالى.

*- "فالعلماء ورثة الأنبياء" والوارث يقوم مقام الموروث كما قال ابن حجر العسقلاني، وتعريف العلماء الوارثين، واضح في كتاب ربّ العالمين:- {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذِّينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }،(فاطر:- ٣٢.).

*- فالاصطفاء قسمةٌ أزليّةٌ، وَهِبَةٌ من ربّ البريّة، تشمل كلّ الأمّة المحمّديّة، فكلُّ من شهد بوحدانيّة الله وأنّ محمّدا صلّى الله عليه وسلّم رسول الله، منتسب محسوب.

*- فآخرهم ظالم لنفسه مغلوب، حجبته نفسه عن المطلوب، فهو بين إقبالٍ وإدبارٍ حتّى يخرج من هذه الدّار.

*- وأوسطهم كان نصيبه من ميراث الكتاب، الوقوف عند ظاهر الخطاب، واعتقد أنَّ الاقتداء والاهتداء يتجلّى بعشق الطّاعات، وجمعها في كلِّ الأماكن والأوقات لذلك كان مقتصدًا وعلى نفسه معتمدًا، وأبرم مع مولاه فيما منحه وأعطاه، عقد بيع وشراء، فقدّم البضاعة وينتظر الجزاء، وهذا لعمري هو عين الحجاب، وهو عند أهل السّبق في فِقْهِهِمْ يُسْتَتَاب، إذ أنَّ شرعهم يقول:- " العبد وما ملكت يداه لسيّدِهِ ومولاه."

*- فالعالم المقصود بميراث الأنبياء، لا يكون إلّا من الأصفياء، أهل السَّبق بالخيرات، وفي أغلب الحالات ينطلق من أرض الغفلات، بعد أن أشبع نفسه من حظوظها في الطّاعات، وأخذ نصيبه من العلوم، وما صاحبها من الفهوم على حدِّ الظَّاهرِ المعلوم، فإذا آن الأوان، تتخطَّفُهُ عناية الرّحمن بسبب من الأسباب، لم يحسب له حساب، وتضعه على الطّريق، بين يدي صاحب الوقت والرّفيق.

*- ويرى في مرآته ظلمة نفسه وصفاته، فيخجل من ربِّهِ إذ يشعر بقربه، وقد قيل:- "مع من تكن بحاله تكن" ويحسُّ بأنَّ مولاه يسمعه ويراه، فيدرك أنَّ هذا الرّفيق له مع الحقِّ سرٌّ وثيقٌ، فيبادر بالتَّسليم، ويسري فيه مدد الرَّحيم، فيكون من الذّين جاؤوا الرّسول، في سرّ الوارث الموصول، يرجون من الله القبول، وَيَبُثُّوهُ لواعج الأشواق، فيضمَّهم بأذرع الحنان والإشفاق.

*- ويأمرهم بالاستغفار فيستغفروا، ويرفع السّتار فيندثروا، ويكون البقاء للأولى، ويتواصل سماع الاستغفار من تلك الدَّار، بلسان الحبيب المصطفى المختار صلّى الله عليه وسلّم، حتّى يأتيَ الخطابُ بصريح الجواب:- {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا }،(الفتح:-١٢).

*- فهو الرّفيق لطالب القرب بالتّحقيق، وهو السّابق بالخيرات بإذن الله، إذنًا صريحًا من شفيعه عن مولاه، بسرِّ الحقِّ يجير، ومن فضله بالاستجابة جدير، يغترف من فيضه ويسقي من حوضه، جعلنا الله من أنصاره والنَّاهلين من أسراره، آمين يا ربّ العالمين.

*- فالشيخ المربي هو:- رجلٌ صادقٌ صدوقٌ، تقيُّ القلبِ، نقيُّ الفؤادِ، سليمُ الصدرِ، حليمٌ وقورٌ، صبورٌ شكورٌ، كاظمٌ للغيظِ، عفوٌّ عنِ الناسِ، يعفو ويصفح، يعطي ويمنح، قَوَّامٌ بالليل، صوَّام النهار، مستغفرٌ بالأسحار، كثير البكاء من خشية الله، ليس في قلبه مثقال ذرة لغير مولاه، مُتَّبِعٌ لِسُنَّةِ حبيبه المصطفى ﷺ، مقتفٍ لآثاره، سائرٌ على طريقه، ممتثلٌ أمر ربه تبارك وتعالى إذ يقول:- {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}،(الأحزاب:-٢١)، لا يفتر لسانه عن ذكر مولاه، مخلصٌ لله تعالى في السر والعلانية، عدلٌ في الغضب والرضا، مقتصدٌ في الفقر والغنى، يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، صمته فكرٌ، ونطقه ذكرٌ، ونظره تفكر واعتبار، يقدم حاجات إخوانه على حاجات نفسه، يؤثرهم على نفسه، لا يطلب من دنياهم شيئًا، عمله كله لله بنية وإخلاص، فهو والله كما وصفه الجنيد حيث قال:- { هُوَ عبدٌ ذاهبٌ عنْ نفسهِ، متصلٌ بذكرِ ربهِ، قائمٌ بأداءِ حقوقهِ، ناظرٌ إليهِ بقلبهِ، أحرقتْ قَلْبَهُ أنوارُ هيبتهِ، وصفا شربُهُ منْ كأسِ وُدِّهِ، وانكشفَ لهُ الجبارُ منْ أستارِ غيبهِ، فإنْ تكلمَ فباللهِ، وإنْ نطقَ فعنِ اللهِ، وإنْ تحركَ فبأمرِ اللهِ، وإنْ سكنَ فمعَ اللهِ، فهوَ باللهِ وللهِ ومع اللهِ}، فالله تبارك تعالى جلَّ في كبريائه، وتعالى في عليائه، نسأل أن يرزقنا صحبة الصالحين ومحبتهم وطاعتهم وخدمتهم ورضاهم، وأن يتوفانا على طريقهم ومنهاجهم وسبيل دعوتهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيب قلوبنا ونور عيوننا سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

الباب الثاني

’’حاجة المريد للشيخ المربي قدس الله تعالى ســـــــــره وضرورة ملازمته’’

*- حاجة المريد للشيخ المربي وضرورة ملازمته:-

*- يقول فضيلة شيخنا الجليل قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ، وَطَيَّبَ اللهُ ثراه في هذا المعنى الجليل:- { ثم عليك بأهل الفصاحة ابحث عنهم وستجدهم، وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام، أهل الفصاحة هم العارفون بالله تعالى، هم نُوَّابُ حضرة النبي ﷺ، تأدب معهم وخذ عنهم وجالسهم واصبر نفسك معهم، تفلح وتكن واحدًا منهم، واعلم أن ذلك فرض عليك لا عليهم، أما سمعت قوله تعالى:- '' يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ''، وقوله تعالى:- '' وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا''، ومن حسن حظي وجدتهم وطرقت بلطفٍ بابهم وسمعت تلاوة في بيتهم:- '' يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَرفَعوا أَصواتَكُم فَوقَ صَوتِ النَبِيِّ، وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ''.

*- ويقول أيضًا:- { وقد مضت مشيئة الله بِأَلَّا دخول عليه إلا من باب الحبيب سيدنا محمد أفضل منيب، والفرج القريب، ولا دخول على محمد إلا من باب العارف بالله تعالى، ولا دخول على العارف إلا بمفارقة النفس وهواها، وما أنت بقادر على ذلك إلا بالتسليم ومحبة من يقودك في الطريق ابتغاء مرضاة ربه والصادق المصدوق، ويرعاك بجاهه عند مولاه ويرجو لك التوفيق، فما أحوجك لدخول مدرسة المحبة في كنف العارفين، وما أَفْلَحَكَ إن سلمت لهم وأطعتهم في إقامة الدين، كيف تمنعك الدنيا وهل متاعها مضمون، ماذا تقول غدًا لمولاك إن هي شغلتك عنه بزخرف وشئون، وقد وصفها لك حيث قال:- '' لو كانت الدنيا تساوي عند الله بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء، وهي الحاصل منها ضائع فيها، فاجعلها في يدك كالعصا في السفر، إنها بنت إبليس فاحذرها كل الحذر، وقلبك خصصه لمحبة الواحد المقتدر، ولا تشرك معه فيه أحدًا غيره فإن في ذلك كل الخطر، فهو تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من عبده تشتتًا في النظر، '' مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ''.

*- والدليل على ذلك هو قول الله تبارك وتعالى لرسوله الحبيب المصطفى ﷺ في الحديث القدسي الجليل:- { وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق أو استفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك }، كما أنه لا دخول على حضرة الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد ﷺ إلا عن طريق العلماء الربانيين، والوُرَّاثِ المحمديين لقول رسول الله ﷺ:- { العلماء ورثة الأنبياء }، فهم الذين ورثوا العلم المحمدي، والهدي المصطفوي، النور الرباني عن سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فهم باب الدخول إلى حضرة الحبيب المصطفى سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

*- ولا دخول على العالم الرباني {أي الوارث المحمدي، أو العارف بالله تعالى} إلا بمفارقة النفس وهواها، لأن نفسك هي أكبر قاطع يقطعك عن الله تبارك وتعالى، بل هي أعدى أعدائك التي بين جنبيك كما أخبر بذلك سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد رسول الله ﷺ حيث قال:- { ليس عدوُّك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوًّا لك نفسك التي بين جنبيك }، فلا بد من قهرها بالطاعة، وتسليمها للعارف بالله تعالى لأنه أعرف بخباياها ودسائسها ومكرها وحيلها.

*- لذلك كان من وصايا فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره وطيب الله تعالى ثراه:- {وعامل نفسك بوزن الأمور فما وجدته ثقيلًا عليها أو مكروهًا لديها فافعله، وما وجدته خفيفًا عليها، أو مرغوبًا لديها فاجتنبه}.

*- ويقول أيضًا:- { إذا أردت العلا وخوض بحر المعارف، وأردت أن تعبر الحس إلى المعاني اللطائف، فلا بد لك من خليلٍ كبيرِ القلبِ عارفٍ، خبيرٍ بالطريقِ بصيرٍ بأغواره والمشار، يريك مهالك السير ويقيك شرَّ المخاوف، فاعتنق منه ربقة العهد فيصلًا بين آتٍ وسالف، واعتقد واتبع ولا تنتقد أو تخالف، وابذل الجهد في حبه فالحب سر التآلف، لا لشيء أو على شيء ودادهم والتعاطف، جعلوه بينهم شرابهم والطعاما، وتعاطوه مذهبًا والبر ليس كلامًا، فكيف تحظى بوصلٍ إن لم تكن مستهامًا، بل كيف تدنو لقرب والحب خمر الندامى، أما سمعت المنادي ﷺ وهديه قد ترامى:- '' لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا''}.

*- ويقول أيضًا:- { اذكر كيف كنت وأنت في متاهة البور تتحكم في نفسك على هواها، فناداك المربي إلى ساحة النور، علمك كيف تعبد ربك الفرد الشكور، بعد أن انتشلك من بين مخالب حب الدنيا دار الغرور، وما أخذ من دنياك أجرًا ولا جزا، بل دعاك به وإليه ومنه يطلب الجزا، فالزم الصدق في صحبته وكن ثابت الخطا، وصن بحبه قلبك من خواطر العدا، عداك هم الشيطان والنفس والهوى، اصبر نفسك معهم، وجاهد في جبهتهم، وكن بهم ولهم، واستظلل بحضرتهم، من هم المشار إليهم وما أصل شرعتهم، هم رجال الله أحبهم وأحبوه، طرد الهوى بالهوى منهاج دعوتهم، شرفهم الله في محكم التنزيل وألزمنا بصحبتهم :- { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا }.

*- ويقول أيضًا:- { الزم يا بني الصدق والتصديق، وخذ العلم عن أهل اليقين والتحقيق، واصحبهم على الأدب والمحبة تأمن مهالك الطريق، ولكن إياك إياك والكذب والتكذيب، فما جزاء من يفعل ذلك إلا الطرد والتعذيب، لأنه تعليم إبليس لحزبه غلف القلوب، وأصل لكل النقائص والذنوب، أما سمعت قول الصادق المصدوق ﷺ:- { إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا }.

*- فالشيوخ أنواع؛ فهناك شيوخ (أولياء) متخصصون في فروع كثيرة وموصولون، ولكن من منهم يصلح لأن يكون شيخًا للمرء في الطريق إلى الله؟

*- معظمنا إن لم يكن كلنا يعرف أن سيدي أحمد بن أبي الحواري كان تلميذًا للإمام أحمد بن حنبل في الفقه، إلا أن شيخه في الطريق إلى الله كان سيدي أبو سليمان الداراني.

*- وسيدي عبد الوهاب الشعراني العالم الأزهري الجليل كان شيخه في الطريق إلى الله سيدي علي الخواص الشيخ الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب.

*- فلا بد وأن الشيخ الدالَّ على الطريق يكون فيه ميزة مختلفة عما يظنه كثير من الناس.

*- الشيخ الدال للمريد في الطريق إلى الله يسمى ''الشيخ المربي''، وهذا تخصص خاص من الأولياء، فليسَ كلُّ وليٍّ يصلح لأن يكون شيخًا مربيًا مهما علا مقامه، لأن المحكَّ هل هو مأذون من الله ورسوله بالتربية أم لا، يقول تعالى:- {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}، (يوسف:-١٠٨).

*- نحن نعلم أن كثيرًا من كبار الأولياء لم يكونوا شيوخ تربية رغم ما هم عليه من مقامات عالية، والبعض الآخر لم يربِّ إلا شيخًا واحدًا كسيدي عبد السلام بن بشيش رَبَّى سيدي أبي الحسن الشاذلي فقط، والبعض رَبَّى ألف وليٍّ كسيدي أبي مدين الغوث.

*- ومعرفة من هو الشيخ المقدر للشخص، والمقدر له الشخص طرقه كثيرة، لعل النقطة المركزية فيها شدة إخلاص العبد في التوجه إلى الله ودوام الطلب منه أن يدله على من هو شيخه، وذلك بكثرة مداومة الصلاة على رسول الله ﷺ.

*- وقليلٌ من كبار الشيوخ في الطريق لم يكن لهم شيخ إلا رسول الله ﷺ، وذلك بعد كثرة الصلاة والسلام عليه إلا أن هذه حالات نادرة ولكنها حدثت، كما كان حال فضيلة شيخنا الجليل المربي سيدي الحج قَدَّس الله تعالى سره، فلقد عَلَّمَهُ الحبيب المصطفى سيدنا رسول الله ﷺ، وأمره بالدعوة وحمل لوائها، والقيام بأعبائها، فنهض بها وقام على خدمتها خير قيام، حتى آتت أكلها بإذن الله تعالى، حيث يقول في باب رؤيا الرسول ﷺ:- { جَاءَنِيْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ فِيْ المَنَامِ فِيْ ثَلاَثِ لَيَالٍ مُتَوَالِيَاتٍ من شَهْرِ رَمَضَانَ المُعَظَّمِ مِنْ عَامِ (١٣٧٠هـ) مِنَ الهِجْرَةِ وَقَالَ لِيْ فِيْ اللَّيْلَةِ الأُولَى:- أُمْدُدْ يَدَكَ لِأُبَايِعَكَ عَلَى أَنْ تُؤَدِّيَ الرِّسَالَةَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الحَقِّ وَالإِيْمَانِ ❁ فَمَدَدْتُ يَدِيْ وَوَضَعْتُهَا فِيْ يَدِهِ الشَّرِيْفَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَايَعَنِيْ عَلَى ذَلِكَ، وَجَاءَنِيْ فِيْ اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ وَأَمَرَنِيْ أَنْ أُصَلِّيَ إِمَاماً بِالنَّاسِ ❁ فَقُلْتُ لِحَضْرَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- أَنَا أُمِّيٌّ يَا رَسُولَ اللهِ ❁ فَتَلَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ القُرْآنَ كُلَّهُ وَوَضَعَ يَدَهُ الشَّرِيْفَةَ عَلَى صَدْرِيْ ، فَاسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِيْ ، وَقَدْ حَفِظْتُ القُرْآنَ الكَرِيْمَ بَعْدَمَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَاءَنِيْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيْ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ وَأَمَرَنِيْ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَالتَّمَسُّكِ بِالدِّيْنِ

الحَنِيْفِ ، وَإِلَى الاعتصام بِمَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى ، وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ الكَرِيْمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَتَرْكِ كُلِّ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ ، وَتَرْكِ العَادَاتِ وَالمَعَانِيْ الجَاهِلِيَّةِ ، وَاعْتَبَرْتُ نَفْسِيْ مِنْ ذَلِكَ الحِيْنِ مُكَلَّفاً مِنْ قِبَلِ حَضْرَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَدَعْتُ بِأَمْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ❁ وَدَعَوْتُ النَّاسَ إِلَى اللهِ بِهِ وَلَهُ عَلَى أَثَرِ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ❁ فَاسْتَجَابَ لِلدَّعْوَةِ بِفَضْلِهِ تَعَالَى وَبَرَكَةِ نَبِيِّهِ أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ، هَذِهِ دَعْوَتُنَا وَطَرِيْقَتُنَا أَمْرٌ وَتَكْلِيْفٌ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّـــمَ وَاقْتِفَـــاءٌ لِأَثَـــرِهِ، وَاغْتَـــرَافٌ مِـــنْ نَبْعِـــهِ❁}.

*- ويقول أيضًا:- '' حُبُّ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ جَرَّدَنِيْ مِمَّا سِوَاهَا ❁ كُنْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ سَاهِراً فِيْ هَوَاهَا ❁ فَرَأَيْتُ بَعْدَمَا غَلَبَنِيْ النَّوْمُ رُؤْيَا لَا أَحَدَ مِنْ أَهْلِ عَصْرِيْ رَآهَا ❁ رَأَيْتُ أَنِّيْ بِوَادِيْ العَرِيْشِ، وَرَأَيْتُ الخَلْقَ فِيْهِ مُجْتَمِعِيْنَ، ثُمَّ رَأَيْتُهُمْ يُهَرْوِلُونَ نَحْوَ البَحْرِ مُسْرِعِيْنَ ❁ فَتَعَجَّبْتُ مِنْهُمْ ، وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ أَيْنَ تَقْصِدُونَ؟ ❁ تَجْرُونَ نَحْوَ البَحْرِ أَفِيْهِ سِرٌّ دَفِيْنٌ ؟ ❁ قِيْلَ أَلَمْ تَعْلَمْ مَاذَا جَرَى لنَبِيِّنَا الأَمِيْنِ ؟ ❁ إِنَّهُ عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ مَرِيْضٌ يُعَانِيْ سَكَرَاتِ المَنُونِ ❁ فَأَصَابَنِيْ فَزَعٌ وَحُزْنٌ لِشِدَّةِ حُبِّيْ لِسَيِّدِ العَالَمِيْنَ ❁ وَقُمْتُ نَحْوَهُ كَأَنِّيْ طَائِرٌ سَرِيْعُ الجَنَاحِ ❁ أَوْ كَأَنَّمَا تَحْمِلُنِيْ أَقْوَى الرِّيَاحِ ❁ وَسَبَقْتُ الجَمِيْعَ عَلَيْهِ ❁ فَوَجَدْتُهُ مُتَّكِئاً عَلَى يَدِهِ اليُسْرَى ❁ وَرَأْسُهُ قُرْبَ المَاءِ ❁ وَرِجْلَاهُ فِيْ مَسِيْلِ الوَادِيْ ❁ وهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنَازِعُ سَكَرَاتِ المَوْتِ ❁ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَوَضَعْتُ أُصْبَعَ يَدِيْ اليُمْنَى فِيْ فَمِيْ ، ثُمَّ وَضَعْتُهُ عَلَى صَدْرِهِ الشَّرِيْفِ بِقَصْدِ مُدَاوَاتِهِ مِنْ مَرَضِهِ ❁ فَقَالَ:- هَا هُنَا التَّقْوَى ❁ وَقَامَ مِنْ مَرَضِهِ كَمَا يَقُومُ الجَمَلُ مِنَ العِقَالِ ❁ كُلُّ هَذَا حَدَثَ مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ❁ فَأَصْبَحْتُ مُتَحَيِّراً مِنْ هَذَا الَّذِيْ رَأَيْتُهُ فِيْ المَنَامِ ❁ وَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُكْرِمَنِيْ بِعَالِمٍ يُفَسِّرُ الأَحْلَامَ ❁ وَلَهُ الحَمْدُ إِذْ سَاقَ لِيْ أَحَدَ رِجَالِهِ الكِرَامِ ❁ اِسْمُهُ الشَّيْخُ طَاهِرٌ ❁ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ رُؤْيَايَ فَاسْتَنَارَ وَجْهُهُ بِالِابْتِسَامِ ❁ وَقَالَ :- مَا أَعْظَمَ هَذِهِ الرُّؤْيَا ، أَبْشِرْ بِهَا يَا غُلَامُ ❁ أَمَّا مَرَضُ الرَّسُولِ فَهُوَ اِنْصِرَافُ النَّاسِ عَنِ الإِسْلَامِ ❁ وَاتِّبَاعُهُمُ البَاطِلَ وَحُبُّ الشَّهَوَاتِ وَفِعْلُ الحَرَامِ ❁ وَأَنْتَ يَا صَاحِبَ الرُّؤْيَا هَنِيْئاً لَكَ بِرَحْمَةِ الرَّحْمَنِ ❁ إِنَّهُ سَيُحْيِيْ عَلَى يَدَيْكَ الحَقَّ وَيَنْشُرُ الإِيْمَانَ ❁ وَيَرْفَعُ بِكَ رَايَةَ دِيْنِنَا الإِسْلَامِ ❁ وَهَذَا تَفْسِيْرُ وَضْعِ أُصْبَعِكَ عَلَى صَدْرِهِ الشَّرِيْفِ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ❁ وَشِفَاؤُهُ مِنْ مَرَضِهِ رَمْزٌ لِرِفْعَةِ الإِسْلَامِ ❁ فَحَمَدْتُ اللهَ وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ فَهُوَ صَاحِبُ الفَضْلِ وَالإِنْعَامِ ❁ وَقَدَّمْتُ فِدْيَةً لِوَجْهِهِ تَعَالَى شُكْراً لِمَا رَأَيْتُهُ فِيْ المَنَامِ ❁ وَلَمَّا شَاءَ اللهُ تَعَالَى نَادَيْتُ النَّاسَ بِصَوْتٍ رَفِيْعٍ ❁ أَنْ هَلُمُّوا بِعَوْدَةٍ لِهَدْيِ المُشَفَّعِ الشَّفِيْعِ ❁ كَفَاكُمْ مَا مَضَى مِنْ حَيَاةِ الجَهْلِ وَالتَّضْيِيْعِ ❁ لَا أُرِيْدُ مِنْكُمْ جَزَاءً بَلِ اِبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ القَادِرِ السَّمِيْعِ ❁ وَدَعْوَتِيْ لَيْسَتْ عَلَى عَاتِقِيْ بَلْ هِيَ تَكْلِيْفٌ وَتَشْرِيْعٌ ❁ وَعِنْدَمَا تَبَيَّنَ لِيْ طَرِيْقُ النُّورِ دَعَوْتُ إِلَيْهِ الجَمِيْعَ ❁ وَتَوَكَّلْتُ وَأَنَبْتُ وَقَضَى اللهُ مُرَادِيْ ❁ وَعَاهَدْتُ اللهَ أَنْ أَكُونَ لِمَنْ يَتَّبِعُ هَدْيَ الرَّسُولِ خَادِماً بِاجْتِهَادِ ❁ لِأَنِّيْ مَا وَجَدْتُ مَقَاماً أَرْفَعَ مِنْ مَقَامِ المُتَحَابِّينَ فِيْ اللهِ تَعَالَى وَنَبِيِّهِ الهَادِيْ ❁ وَهَدَى اللهُ عَلَى يَدَيَّ مَنْ أَرَادَهُمْ لِلْوِدَادِ ❁ وَاجْتَمَعْنَا عَلَى الحُبِّ نَتَعَاطَاهُ وَإِلَيْهِ نُنَادِيْ ❁ وَتَعَاهَدْنَا فِيمَا بَيْنَنَا عَلَى الخَيْرِ وَتَرْكِ الفَسَادِ ❁ نُحِبُّ فِيْ اللهِ مَنْ أَطَاعَ وَفِيْهِ نُعَادِيْ ❁ شَرْعُهُ لَنَا ظَاهِرُ السَّعْيِ وَحُبُّهُ شُعْلَةٌ فِيْ الفُؤَادِ ❁ وَعِنْدَهَا ذَكَرْتُ مَا رَأَيْتُ فِيْ المَنَامِ وَحَمَدْتُ وَلِيَّ الهُدَى وَالرَّشَادِ ❁ ''، فقوله قَدَّسَ الله تعالى سره، وَطَيَّبَ الله ثراه:- '' وَدَعْوَتِيْ لَيْسَتْ عَلَى عَاتِقِيْ بَلْ هِيَ تَكْلِيْفٌ وَتَشْرِيْعٌ'' يدل دلالة واضحة وصريحة بأن هذه الدعوة الطيبة المباركة ما هي إلا تكليف صريح من رسول الله ﷺ، وإذن من حضرته عليه الصلاة والسلام لشيخنا الجليل للقيام بها، وكلُّ ما في الدعوةِ ما هو إلا ''تشريعٌ واقتفاءٌ والتزامٌ واتباعٌ لِسُنَّةِ الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله ﷺ''، ويؤكد هذا قوله رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- '' هَذِهِ دَعْوَتُنَا وَطَرِيْقَتُنَا أَمْرٌ وَتَكْلِيْفٌ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ وَاقْتِفَاءٌ لِأَثَرِهِ، وَاغْتِرَافٌ مِنْ نَبْعِهِ'' فكان شيخنا الجليل قَدَّسَ الله تعالى سره، وَطَيَّبَ الله ثراه أهلًا لهذه الدعوة، والقيام علي خدمتها، والتفاني من أجل رفع رايتها، وتسخير كل طاقاته وإمكانياته وقدراته من أجل النهوض بها، وردِّ الناس إلى عهد النبوة الصحيح الصادق، كما يرضى الله تبارك وتعالى، ويرضى حبيبه المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى آتت الدعوة أكلها، وعاد الناس من حياة الجهل والتضييع، إلى نور العلم واليقين، ومن حياة القبلية والعصبية إلى حياة الإيمان والإيثار، والبذل والعطاء، والتضحية والفداء، والكرم والسخاء، ولقد غطت زوايا طريقته سيناء كلها، بل وأصبحت سيناء كلها وقفًا وحكرًا على طريقة شيخنا المبارك الجليل،

بل وامتدت طريقته لتغطي بعض البلدان العربية المجاورة، وانتشرت زوايا طريقته في فلسطين والأردن، على منهاج النبوة الأول، أي على كتاب الله وسنة حبيبه المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد أصبحت زوايا طريقته ملاذًا ومأوىً للغريب والمسافر وابن السبيل وعابر الطريق، يَؤُمُّهَا الناس فيجدون فيها بغيتهم من المحافظة على الصلاة في جماعة، ومجالس الذكر، وتعليم القرآن الكريم، وحديث رسول الله ﷺ، وسيرة الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام وسيرة السلف الصالح، ومديح الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ، فكانت جميع زواياه بكل حقٍّ وصدقٍ من رياض الجنة، كما قال ﷺ في الحديث:- { إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا وما رياض الجنة يا رسول، فقال:- حلق الذكر، وفي رواية مجالس الذكر}، هذا بالإضافة إلى ما يلقاه من يَؤُمُّهَا من الخدمة المتناهية وكرم الضيافة، وتقديم الطعام له في جميع الأوقات من أشهى ما يملكون، ويؤثرون الضيوف بعملهم هذا على أهليهم وذويهم وأولادهم مع فاقتهم الماسة، وحاجتهم الشديدة، ممتثلين قول الله عزَّ وجلَّ:- {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}،(الحشر:-٩)، وذلك لأنه:- { من أكرم ضيفا لا يعرفه فقد أكرم الله ومن أكرم من يعرفه فقد أو كأنما أكرم رسول الله ﷺ }، مع تأمين المبيت والراحة التامة لكل من يأتيهم، مبتغين بذلك الأجر من أحكم الحاكمين ممتثلين قول الله تبارك وتعالى في كتابه المبين:- {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}،(الإنسان:-٩)، ولقد تبوأ شيخنا قدس الله تعالى سره ذروة هرم الولاية في عصره وزمانه، وتربع في قمته، فكان بكل حقٍّ وصدق ''غوث أهل الله أجمعين'' رضي الله تعالى عنه وعنا به، كما يقول في هذا المعنى البديع الجليل:- { وجعلني لا شكَّ غوثًا لمن أحبني ولاذ بيا}.

*- والشيخ الحقيقي الموصول إذا أتاه مريدٌ وهو قد أُخْبِرَ أنه ليس من أولاده المُقَدَّرِيْنَ له، يَدُلُّهُ على الشيخ المُقَدَّرِ له، والذي يناسب مشربه.

*- والمريد الصادق للشيخ الحقيقي يكون موصولًا بشيخه ليس فقط عن طريق الاتصال العادي ولكنه يتصل به روحيًّا، سواء كان هذا الشيخ مازال من الموجودين في الحياة الدنيا أو يكون قد انتقل ولا فرق،

ويشرب من مشربه الطريق حسب قدرته وتوفيق الله له، فالمريد كما قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني:- لا مصدر له من العلم إلا قلب شيخه، أدرك ذلك أم لم يدرك، حتى يفطم ويقول له شيخه ها أنت وربك وها أنت ورسول الله ﷺ.

*- أهل الطريق لهم مذهبان في المريد الذي انتقل شيخه قبل الفطام؛ الأول وهو الرأي الأرجح أيضًا أن الشيخ المربي يكمل تربية مريديه من البرزخ ونحن على يقين من ذلك، لأن مدد المربي لا ينقطع بموته، لأن مدد سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ باقٍ إلى يوم القيامة، والأولياءُ كُلٌّ منهم واردٌ على ينبوعِ صدرِ الرسولِ المُكَلَّلِ بالدُّرَرِ الجوهرية ﷺ، لا ينطق عن الهوى بل وحي من الحضرة الإلهية، ولله در القائل:-

وكلهم من رسول الله ملتمـــــس غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

*- أما الرأي الثاني فيقول:- إن على المريد الذي توفي شيخه أن يذهب لشيخ آخر يكمل له الطريق، وأنا أعتقد والله تعالى أعلم أن هذا متعلق بحالة واحدة وهي أن يكون المريد لم تنشأ بينه وبين شيخه الرابطة الروحية التي تسمح بالاتصال المباشر قبل انتقال الشيخ، ولم يترك الشيخ ممن رَبَّى من يمكنه أن يتولى هو التربية من بعده.

*- والكل يعلم أن الله سبحانه وتعالى يقول:- {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}،(الشورى:-١٣)، ولذلك قيل:- إن جذبةً من جذباتِ الحقِّ تساوي عمل الثقلين، لذلك قال أهل الله:- ''ليس الطريق لمن سبق، إنَّ الطريق لمن صدق''.

*- إن الأصل الناتج عنه القول السابق صحيح في شريعة الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ، وبعد ذلك أقرته طبيعة الأشياء، ثم تجربة الممارسة والحال.

*- أما ما جاء في الشريعة السمحة الغراء، فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:- { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }،(النحل:-٤٣)، وقوله تعالى:- { الرَّحْمَنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيْراً}،(فاطر:-١٤)، وقوله تعالى:- { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ }،(الأنعام:-٩٠)، وقوله تعالى:- { وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}،(لقمان:-١٥)، وقوله تعالى:- { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ }،

(الممتحنة:-٤)، وقال سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث الثابت الذي رواه ابن ماجه وأبو داود والدارامي والدارقطني:- " هلا سألوا، فإن دواء العي السؤال".

*- إذاً فلا بد من هادٍ مرشدٍ إلى الطريق وقدوة، سؤول ذي ذكر، خبير بوسيلة العودة إلى الله، والفرار والهجرة إليه سبحانه وتعالى.

*- ألم ترَ إلى سيدنا موسى- عليه وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام – كيف طلب المرشد لِيَتَّبِعَهُ كما جاء في سورة الكهف، وكيف كان أدب سيدنا موسى مع مرشده!.

*- وفى حياتنا العملية إذا كان لا بد لكل طالب يريد حفظ كتاب الله من مقرئ خبير بأحكام التجويد يُقَوِّمُ له لسانَهُ، وَيُبَيِّنُ له أحكامَ التلاوةِ، وصحةَ الأداءِ، ولو تُرِكَ هذا الطالب ونفسه لاستحال عليه الأمر وتعذر عليه أن يُحَصِّلَ حق التلاوة وصحة الأداء، وبالتالي اضطربت معه مفاهيم الآيات، وغابت الأحكام، وقلْ مثلَ ذلك في كلِّ علمٍ من علوم الشريعة، واللغة، وكلِّ علمٍ من علوم الدنيا سواء كانت عقلية، أم بدنية جسمانية عملية.

*- كما نلحظ هذا الأمر في جميع الحرف والصناعات والمهن، وما شابهها، مهما علت أو دنت، ونلحظ أنه لا بد لمن يريد ممارستها وتعلمها من مُعَلِّمٍ متمرسٍ، خبيرٍ بتلك المهنة أو الصناعة، أو الحرفة، هو هنا بمقام " الشيخ" لتلك المهنة، وكم عرفنا ذلك جليًّا في جميع بلدان العالم، ولديهم مصطلح:- ''شيخ الصاغة''، ''وشيخ النجارين''، ''وشيخ الحدادين''،.... إلخ ذلك من أسماء المهن، وما كان يُسْمَحُ لأحدٍ بممارسةِ تلكَ المهنةِ إلا إنْ أَذِنَ له "شيخُ" تلك المهنة بممارستها، بعد التَّدَرُّبِ والتَّرَيُّضِ عليها عند معلمٍ معترفٍ به بين أهل تلك الصناعة.

*- أما عند ساداتنا الصوفية ما يسمى بـ"الإذن" سواء في التلقين أو التربية، أو التزكية، أو التعليم، فلماذا نقبل في أعمال الدنيا وممارساتها " الرخصة" في ممارسة المهنة ، و"الإذن" في تعليمها،؟؟ ولا نقبل في الدين وسلوك الطريق إلى الله تعالى "الإذن" في التربية وتلقين الذكر، وتعليم الشرع الشريف! فإذا كان في

العلوم الدنيوية كالطب والهندسة والطيران والكيمياء وغيرها، لا بد لطالبها من تعلمها على يد أستاذٍ مجازٍ من أعلى الهيئات والمراجع العملية يأذن له بتعليم تلك المهنة أو ذلك الاختصاص.

*- فإذا كان ذلك في العلوم الدنيوية وضرر الجهل بها مؤقت ينتهي بانتهاء الدنيا مهما طالت، فما بالك بطب القلوب، وهندسة الطريق إلى الله تعالى، والطيران إلى حضرة الحق عزَّ وجلَّ، وكيمياء الروح وسائر علوم الآخرة التي تبقى بقاء الآخرة ؟!.

*- من هنا كان لا بد للمريد والسالك في طريق الله تعالى من شيخٍ تقيٍّ نقيٍّ صالحٍ عارفٍ بالله تعالى وبشرع الله يربي المريد، وإمامٍ يرشده ويوجهه، ويسدد خطاه، ويكشف له أحابيل الشيطان في عباداته ومعاملاته، وخطراته النفسية، وإراداته القلبية، والواردات التي قد تكون خطراً على صاحبها أكثر من الكفر الصريح.

*- وفي سائر كتب سلفنا الصلح المعتبرين من هذه الأمة نرى حرص كل واحد منهم على تسجيل أخذه وتلقيه عن كبار شيوخهم، كابراً عن كابر، بالإجازةِ الشريفةِ، والثَّبْتِ المُحْكَمِ، سواء كان ذلك في العلوم، أو في تَلَقِّي البيعةِ الصوفيةِ الشريفةِ، واتصالِ السندِ.

*- وقديمًا قالوا:- " لا تأخذ العلم من صحفي، ولا القرآن عن مصحفي".

*- فالصحفي:- هو الذي يجمع محصوله من الصحف وحدها دون مرشد، والمصحفي:- من قرأ القرآن وحده من غير شيخ، وهذا مَجْرَحٌ عند أهل العلم.

*- وإن لالتقاء روح الطالب والأستاذ وتبادل الود وانسجام الإرادة، واندماج الشخصيتين بالحب والتسامي، والإخلاص لله في القصد، كل ذلك له أكبر الأثر الروحي والنفسي كما هو مقرر عند أهل العلم في القديم والحديث، وعندما يكون السند متصلًا يكون من ورائه سرٌّ مجرَّبٌ، يسميه ساداتنا الصوفية بـ " بركة السند"، ألا ترى قوله تعالى:- { وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ}،(الأحزاب:-٤٦)، [تأمل:- فمن هنا تبدأ البركة، ثم تتسلسل لمن له أصلٌ بها].

*- ويقول ابن تيمية في الفتاوى:- (فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي ﷺ وتلقاه عنهم التابعون وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان، فكما أن المرء له من يعلمه القرآن والنحو فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر)،(ج١١ ص٥١٠).

*- والوارث المحمدي أهل للاقتداءِ، وعليه وقار الله وبه يتأدب المريدونَ ظاهراً وباطناً، قال الله تبارك وتعالى:- {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}،(الأنعام:-٩٠)، وقال أيضاً:- {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}،(السجدة:-٢٤)، وهكذا جعلَهم الله أئمةَ المتقين.

*- وقال ﷺ حاكياً عن ربه:- (إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت هِمَّتَه في ذكري، عشقني وعشقته ورفعت الحجَاب فيما بيني وبينه لا يسهو إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقّاً، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبةً ذكرتهم فيها فصرفته بهم عنهم).

*- ومجالسة الناس للوارث المربي تزيد في إيمانهم، وتحيي أرواحَهم وقلوبهَم فلا يتكلم المربي إلاّ لله، ولا ينطق إلاّ بخير، يُنْتَفَعُ به من قربه كما يُنْتَفَعُ من بُعده، رؤيته تذكرك بالله أو كما قيل (تستفيد من لحظه كما تستفيد من لفظه)، ويكون بينه وبين مريديه تآلفٌ مأخوذٌ عن وجه التآلف الإلهي:- {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}.

*- ويكون في الشيخ معنى التخلق بأخلاق الله تعالى، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح:- {تَخَلَّقُوا بأخلاق الله}، وكما في الحديث القدسي:- (ألا طالَ شوقُ الأبرارِ إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشدُّ شوقاً)، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- {لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}،(الأنفال:-٦٣).

*- فبتوفيق الله الذي يؤلف بين القلوب، وبما يكون من حسن التآلف بين الفاضل والمفضولِ، يصير السالك جزءَ الشيخ كما أن الولدَ جزءُ أبيه الصُلْبي، والولادة هنا ولادة معنوية، فالولادة الصُلْبية تربطُ الوَلدَ بِعَالَمِ الملكِ (ظاهر الكون)، والولادة المعنوية تربطُ الولدَ بِعَالَمِ الملكوتِ (باطن الكون)، وهذه الولادة تصل المريد من خلال شيخه بميراث النبي ﷺ، فهو لها مستحق من خلال سنده المتصل عَبَر أشياخ شيخه إلى

رسول الله ﷺ، كما قال الله تبارك وتعالى تعالى:- {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}،(الأنعام:-٧٥).

*- يقول الشيخ ابن عطاء الله في هذا الصدد:- " سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه".

*- فهو رجل ورث الأنوار المحمدية، وأصبح قلبه مستهلكًا فيها، والأولياء المحمديون يتفاضلون في مقاماتهم بحسب نصيبهم من هذا الإرث المحمدي، فهناك الكامل والأكمل.

*- إن الوارث المحمدي المستهلَك قلبه في الأنوار يصبح "سلكًا إنسانيًّا" ناقلًا لها إلى قلوب مريديه والمعتقدين في ولايته الخاصة.

*- إن المريد الذي يُفْنِي إرادته في إرادة شيخه يكسر إرادة نفسه التي تعتبر رأس هذه النفس، وبقطع رأسها تموت النفس موتًا معنويًّا، وبموتها يحيا القلب.

*- أما بدونِ شيخٍ مربٍّ واصلٍ موصلٍ يكون كلٌّ من يريد أن يخرج عن إرادة نفسه، وبالتالي عن فعله كالغريق الذي يريد أن ينقذ نفسه بنفسه، أو كالذي يريد أن يتقاضى إلى قاضٍ هو خصمه في نفس الوقت، أو كمن يريد أن يوقظ نفسه وهو مستغرق في نوم عميق.

*- فالنفس لا يمكن أن تصدر حكمًا إلا لصالحها لتكريس هيمنتها وتعزيز قبضتها، لذلك كان تدخل الشيخ المربي أمرًا ضروريًّا لا مناص منه، فهو طوق النجاة بالنسبة للغريق، والقاضي المحايد العدل بالنسبة للمتخاصم، والمستيقظ الذي يمكنه إيقاظ غيره.

*- وفي غيابه فإن النفس هي التي تتولى تدبير شخصية العبد حيث تحرص على تحصيل حظوظها العاجلة التي تتنافى مع حقوق الربوبية والتي يعتبر الالتزام بها منفذًا للقلب.

*- فالشيخ المربي يلعب دور المرآة الصافية التي يرصد فيها المريد اتجاه تطوره الروحي من خلال نظرته إلى شيخه، فإذا كان للمريد استعداد خاص للولاية والخصوصية فإن نظرة من شيخه تحيي رميم روحه، وتفجر فيه محبة الله ومحبة رسوله ﷺ يسافر معها قلبه إلى آفاق جديدة لا محدودة.

*- إن من أخطر القدرات التي تملكها النفس الإنسانية أنها تستطيع أن تسخر العقل لخلق المبررات لأفعالها، والعقل إذا سُخِّرَ للنفس أخضعَ الإنسانَ بجمعيته لها، فكل ما يقوم به الإنسان يخيل إليه أن مصدره عقلاني مطابق للشريعة، وهو في الواقع نفساني، وهذه النقطة الخطرة نَبَّهَ عليها مشايخُ الطريقةِ وذهبوا إلى التحذير من هيمنة النفس التي تظهر على مستوى (إرادتها) فهي تريد كذا، لذا تزين بالمبررات العقلية أهمية ما تريده وضرورته، وتنفي بعقلانية واضحة كل أثر للنفس في هذه (الإرادة) بل قد تذهب إلى أبعد من ذلك فتظهر انتفاء الأنانية ووضوح الإيثار في هذه (الإرادة) بالذات، وهذا واضح ومعروف لمن خبر (النفس) وتلمس مداخلها.

*- لذلك رأى مشايخ الطريقة أن أصوب الطرق في محاربة النفس هو تسليم هذه (الإرادة) إلى (الغير)، فلا يكون للنفس في هذه الإرادة نصيب، فتضعف النفس تدريجيّاً على مستوى الشهوات وتبرز (الروح) في الإنسان، وهذا (الغير) الذي تسلمه الذات (إرادتها) هو المشار إليه عند أهل الطريقة (بالشيخ) فهو الدليل في سفر الإنسان إلى معرفة الحق، وهو مربٍّ يشذب شطحات النفس، وهو مؤدب يُعدّ المريد للوقوف بين يدي الحضرة بما يليق بآدابها.

*- يقول حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني في أسلوب التربية الذي يتبعه المشايخ الكاملين مع مريديهم:- '' إن الشيخ يقبل المريد لله عزَّ وجلَّ لا لنفسه، فيعاشره بحكم النصيحة ويلاحظه بين الشفقة ويلاينه بالرفق عند عجزه عن احتمال الرياضة، فيربيه تربية الوالدة لولدها والوالد الشفيق الحكيم اللبيب لولده وغلامه، فيأخذه بالأسهل ولا يحمله ما لا طاقة له به، ثم بالأشد فيأمره أولًا بترك متابعة الطبع في جميع أموره واتباع رخص الشرع حتى يخرج بذلك عن قيد الطبع وحكمه ويحصل في قيد الشرع وَرِقِّهِ، ثم ينقله من الرخص إلى العزيمة شيئًا بعد شيء، فيمحو خصلة من الرخص ويثبت مكانها خصلة من العزيمة، فإن وجد ابتداء أمره فيه صدق المجاهدة والعزيمة وَتَفَرَّسَ فيه ذلك بنورِ اللهِ عزَّ وجلَّ ومكاشفةٍ وعلمٍ من قبل الله عزَّ وجلَّ على ما قد مضت سُنَّةُ الله في عباده المؤمنين من الأولياء والأحباب الأمناء العلماء به، فحينئذ لا يسامحه في شيء من ذلك بل يأخذه بالأشد.

*- وَيُصَغِّرُ في عينه أحواله وأعماله لئلا يهلك فإن العجب يسقط العبد من عين الله عزَّ وجلَّ''.

*- (انظر:- الغنية لطالبي طريق الحق عزَّ وجلَّ في معرفة الآداب الشرعية - الشيخ عبد القادر الجيلاني - دار الحرية - بغداد - ١٩٨٨ - ج٢ ص ٥٧١).

*- أما صحبة الشيخ العارف بالمسالك، أي بالطرق الموصلة إلى الله تعالى، الذي يقي صاحبه المهالك، ويذكره الله إذا رآه ويوصله إلى مولاه، فقال الشيخ الإمام العارف أبو عبد الله سيدي محمد بن عباد أثناء شرحه لقول السيد العارف ابن عطاء الله:- ''لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين'' ما نصه:- {ولا بد للمريد في هذه الطريق من صحبةِ شيخٍ مُحَقِّقٍ مرشدٍ، قد فرغ من تأديب نفسه، وتخلص من هواه، فليسلم نفسه إليه، ويلتزم طاعته والانقياد إليه في كل ما يشير به عليه، من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد، فقد قالوا:- ''من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه''}.

*- وقال أبو علي الثقفي رضي الله عنه:- {لو أن رجلًا جمع العلوم كلها، وصاحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخٍ أو إمامٍ أو مؤدبٍ ناصحٍ، ومن لم يأخذ أدبه من آمرٍ له أو ناهٍ يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، فلا يجوز الاقتداء به في تصحيح المقامات}.

*- قال المحشي "نحو قول أبي الحسن":- {لا يتمُّ لعالمٍ سلوكٌ في طريق القوم ولو ارتفعت درجته في العلم إلا بصحبة شيخٍ ناصحٍ}، وقول الجنيد:- {''الله سبحانه وتعالى سنَّ سُنَّةً أزليةً أن لا يجدَ السبيلَ إليه إلا من قَيَّضَ اللهُ له أستاذًا عارفًا بالله فيسوقه منها إلى عبوديته ومعارج روحه وقلبه، إلى أن قال:- وهذا معنى قولهم:- ''ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح''}.

*- وفي هذا المعنى يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره وطيب الله ثراه:- { إنك لن تفلح إلا بصحبة من أفلح، وإنك لن تصيب إلا باتباع المنيب، اسمع قوله تعالى:- '' وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ''}.

*- وقول بعض المشايخ:- من لم تمده المشايخ فهو كالشجر البريّ لا يطعم إلا طعامًا قليلًا ضعيفًا"

*- قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره المشهور عند تفسيره سورة الفاتحة:- {الباب الثالث في الأسرار العقلية المستنبطة من هذه السورة (الفاتحة) فيه مسائل... اللطيفة الثالثة:- قال بعضهم:- إنه لما

قال:- {اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ} لم يقتصر عليه بل قال:- {صِرَاطَ الَّذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}،(الفاتحة:-٧)، وهذا يدل على أن المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ يهديه إلى سواء السبيل، ويجنبه عن مواقع الأغاليط والأضاليل، وذلك لأن النقص غالب على أكثر الخلق، وعقولهم غير وافية بإدراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط، فلا بد من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل الكامل، فحينئذ يصل إلى مدارج السعادات ومعارج الكمالات} ["تفسير مفاتيح الغيب" المشتهر بالتفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ج١/ص١٤٢].

*- قال شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري الشافعي عند شرحه كلام الشيخ إبراهيم اللقاني صاحب "جوهرة التوحيد":-

وكنْ كما كانَ خيارُ الخـــلقِ حليفَ حِلْمٍ تابعاً للحـــــــــقِّ

(أي كن متصفاً بأخلاقٍ مثل الأخلاق التي كان عليها خيار الخلق... إلى أن قال:- وإذا كانت المجاهدة على يد شيخٍ من العارفين كانت أنفع، لقولهم:- ''حالُ رجلٍ في ألفِ رجلٍ أنفعُ منْ وعظِ ألفِ رجلٍ في رجلٍ''، فينبغي للشخص أن يلزم شيخاً عارفاً على الكتاب والسنة، بأن يزنه قبل الأخذ عنه فإن وجده على الكتاب والسنة لَازَمَهُ، وَتَأَدَّبَ معه، فعساه يكتسب من حاله ما يكون به صفاء باطنه، والله يتولى هداه)،["شرح الجوهرة" للباجوري ص١٣٣، والشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر في عصره وهو من العلماء الأعلام ومن المحققين في المذهب الشافعي توفي عام ١٢٧٧هـ].

*- قال الطيبي صاحب "حاشية الكشاف":- (لا ينبغي للعالم - ولو تَبَحَّر في العلم حتى صار واحدَ أهل زمانه - أن يقتنع بما عَلِمَهُ، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم، حتى يكون ممن يحدثهم الحق في سرائرهم من شدة صفاء باطنهم، ويُخَلَّصَ من الأدناس، وأن يجتنب ما شاب علمه من كدورات الهوى وحظوظ نفسه الأمارة بالسوء، حتى يستعد لفيضان العلوم اللدنية على قلبه، والاقتباس من مشكاة أنوار النبوة؛ ولا يتيسر ذلك عادة إلا على يدِ شيخٍ كاملٍ عالمٍ بعلاجِ أمراضِ

النفوس، وتطهيرها من النجاسات المعنوية، وحكمة معاملاتها علماً وذوقاً، لِيُخرجه من رعونات نفسه الأمَّارة بالسوء ودسائسها الخفية.

*- فقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً له، يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله بقلبه، ليصح حضوره وخشوعه في سائر العبادات، من باب ''ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب''، ولا شك أن علاج أمراض الباطن واجب، فيجب على كل من غلبت عليه الأمراض أن يطلب شيخاً يُخرِجه من كل ورطة، وإن لم يجد في بلده أو إقليمه وجب عليه السفر إليه)،["تنوير القلوب" للعلامة الشيخ أمين الكردي الشافعي ص٤٤ - ٤٥].

*- قال ابن القيم رحمه الله:- وقد اتفق السالكون على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها والظفر بها.

*- وقال سيدي أبو مدين رضي الله عنه:- ''من لم يأخذ الأدب من المتأدبين أفسد من يتبعه''.

*- وقال في لطائف المنن:- إنما يكون الاقتداء بوليٍّ دَلَّكَ الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته، فألقيت إليه القياد، فسلك بك سبيل الرشاد، يعرفك برُعونات نفسك في كمائنها ودفائنها، ويدلك على الجمع على الله، ويعلمك الفرار عما سوى الله، ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى أن يوقفك على إساءة نفسك، ويعرفك بإحسان الله إليك، فيفيدك معرفةُ إساءة نفسك الهربَ منها وعدمَ الركون إليها، ويفيدك العلمُ بإحسان اللهِ إليك الإقبالَ عليه والقيام بالشكر إليه، والدوامَ على ممر الساعات بين يديه.

*- قال:- فإن قلت:- فأين مَن هذا وصفه، لقد دللتني على أغرب من عنقاء مُغرِب؟

فالجواب:- أنه حين يشعر الطالب بحاجته إليه كشعور المريض بحاجته إلى الطبيب، عليه أن يصدق العزم، ويصحح النية، ويتجه إلى الله تعالى بقلبٍ ضارعٍ منكسرٍ، يناديه في جوف الليل، ويدعوه في سجوده وأعقاب صلاته:- (اللهم دلَّني على من يدلني عليك، وأوصلني إلى من يوصلني إليك).

*- وعليه أن يبحث ويفتش ويسأل عن المرشد بدقة وانتباه غير ملتفت لما يشيعه بعضهم من فقد المرشد المربي في هذا الزمان

*- يقول ابن عجيبة:- (والناس في إثبات الخصوصية ونفيها على ثلاثة أقسام):-

(١)- قسم أثبتوها للمتقدمين ونفوها عن المتأخرين؛ وهم أقبح العوام.

(٢)- وقسم أقروها قديماً وحديثاً، وقالوا:- إنهم أخفياء في زمانهم، فحرمهم الله بركتهم.

(٣)- وقوم أقروا الخصوصية في أهل زمانهم، مع إقرارهم بخصوصية السلف، وعرفوهم، وظفروا بهم، وعظموهم؛ وهم السعداء الذين أراد الله أن يرحلهم إليه ويقربهم إلى حضرته، وفي الحكم:- (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه؛ ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه)، وبهذا يُرَدُّ على من زعم أن شيخ التربية انقطع، فإن قدرة الله تعالى عامة، وملك الله قائم؛ والأرض لا تخلو ممن يقوم بالحجة حتى يأتي أمر الله) "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" {لابن عجيبة ج١/ ص٧٧}.

*- فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين، وإنما قد يعوزك وجود الصدق في طلبهم (جِدَّ صدقًا تجدْ مرشدًا).

*- ونجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى؛ قال سبحانه:- { أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ }،(النمل:-٦٢)، وقال سبحانه:- {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ}، (محمد:-٢١) فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الظمآن إلى الماء والخائفِ إلى الأمن لوجدت ذلك أقربَ إليك من وجود طلبك، ولو اضطررت إلى الله اضطرار الأم لولدها إذا فقدته لوجدت الحق منك قريبًا ولك مجيبًا، ولوجدت الوصول غيرَ متعذِّرٍ عليك، ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك.

*- وفي كلامه رحمه الله تعالى تنبيه على أن الشيخ من مِنَحِ الله وهداياه للعبد المريد إذا صدق في إرادته، وبذل في مناصحة مولاه جهد استطاعته لا على ما يتوهمه من لا عنده، وعند ذلك يوفقه الله لاستعمال الآداب معه لما أرشده على مرتبته ورفيع درجته.

*- أما مجرد قراءة كتب التصوف دون مجالسة الشيوخ العارفين بخبايا النفوس، وأمراض القلوب، ومصاحبتهم، والتربي على أيديهم، فمجرد هذه القراءة بلا معاناة، فهي لا تعدو كونها متعة ذهنية وثقافة

عقلية، بل قد تشارك فيها النفس الأمارة بالسوء، فتكون طريقًا إلى الضلالة طردًا وعكسًا كما هو مشاهد ومجرب عند الكثيرين الذين استغنوا عن ملاقاة الشيوخ، فاتخذوا من قراءاتهم مطايا لنفوسهم في جلب الدنيا، وإياك وهذه المزالق، فتقع في الهاوية ويأتي عليك يوم – لا قَدَّرَ الله تتمنى فيه أن تكون قد لقيت ربك أميّاً عاميّاً تقرأ كتاباً، ولم تدرِ مسألة علم تعلمتها.

*– كل هذا بسبب فتنة العلم، وعدم الإخلاص الذي لا ينال بالقراءة والمذاكرة، وإنما ينال بمجالسة المخلصين، ولقاء الصالحين العارفين، المحببين المتقين، العاشقين لله تعالى، وجناب سيدنا رسول الله ﷺ، فهؤلاء هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم، كما قال سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه:– {اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه يتجلى لهم أمور صادقة}، وكلما قرب القلب من الله، زالت عنه معارضات السوء، وكان كشفه للحق أتم وأقوى، وكلما بعد عن الله كثرت عليه المعاوضات، وضعف نور كشفه للصواب، فإن العلم نور يقذفه الله بالقلب، يفرق به العبد بين الخطأ والصواب، وغير هذا الطريق فهو مهواة مضيعة للدين والعمر، فقد قال ساداتنا:– " لمْ ينلِ المشاهدةَ منْ تركَ المجاهدةَ "، أي:– مجاهدة النفس ومحاربتها ورياضتها، وتخليتها من كل خلق ذميم، وتحليتها بكل خلق كريم والوصول إلى هذا دون شيخ التربية، ''فالسماء أقرب إليه منه، ولعن الله من كذب''.

*– فالشيخُ دليلٌ، ومنْ لمْ يسعَ لمْ يصلْ، ومنْ لمْ يلتمسِ المعارجَ لا يتسامى ولا يرتقي، ومنْ لمْ يتحركْ لم ينتقلْ، ومن اعتمد على ما عنده وحده اغترَّ وتاه، وضل وأضل، فاللهم إنا نضرع إليك، ونتوسل بجاه سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد ﷺ وآل بيته الكرام، وصحابته العظام، وأن توفقنا لصالح الأعمال وتتقبلها منا، وتستعملنا في مرضاتك يا رب العالمين، وأن لا تحرمنا كرامات شيوخنا، وساداتنا أهل الله العارفين، ونسألك سؤال المضطرين أن تورثنا أسراهم، وتنفعنا بهم وببركاتهم وأنوارهم وتمدنا بإمداداتهم في الحياة وبعد الممات، وأن تغفر لنا وترحمنا بكل وليٍّ لك أوابٌ أواهٌ يا رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلم بجلالك

وجمالك وكمالك على سيد الوجود حبيبنا محمد وآله، وأصحابه وأحبابه أجمعين، عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون.

*- ثم قال وعلامة وصول المريد إلى هذا المقام الحميد أن تستوي عنده الأحوال ولا يتأثر باطنه بما يواجه به من قبيح الأفعال والأقوال لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة الكمال، وقال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها، فإذا وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل إلى حضرة قدسه، وكان كما قال الشاعر:-

لك الدهر طوعاً والأنام عبيـــــد فعش كل يوم من زمانك عيد

وكما قال سيدي أبو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى:-

قولي لآمالي ألا فابعـــــــــدي وقد الأحباب لي موعـــــــدي

قد كنت قبل اليوم مستأنســـــــاً منك بِخِلٍّ مشفق مسعـــــــدي

وإن نسيم الوصل قد هب نحوهم رطيبًا فلي عندك ظلٌّ نـــــدي

وحيث لاحت لي أعلامهـــــــم فليس لي فقر إلى مرشـــــــد

*- إن السير إلى الله تعالى تحت إشراف الشيخ المربي هو سيرٌ داخل النفس الإنسانية لطي مراحلها، واختراق مسافاتها المعنوية، والرجوع إلى مصدرها الأصلي، وهو سير محفوف بالمخاطر بالنسبة لمن يغامر فيه بدون خريطة أو دليل.

*- إذ أن خطر "الانزلاق الروحي" يتهدد السالك في كل لحظة، وعند كل منعرج ومع اختلال توازنه النفسي والعقلي، وذلك أن الروح التي تدبر هيكله الترابي الجسدي وتحافظ على توازن قواه في حالة غياب الشيخ المربي والدليل إلى الله وغلبة أنوار الذكر عليها تنصرف عن هذه المهمة لكي تستغرق في الأنوار الإلهية مما يؤدي إلى اختلال توازن الجسم والعقل وهذه ما تسمى بـ(حالة الجذب).

*- فهذا شيء لا يكاد يذكر مما يقول به أهل الطريقة من أهمية الشيخ وضرورته في تقويم الحياة الروحية للمريد، وما نَبَّهَ عليه مشايخُ الطريقة من أهمية أن يتحول الإنسان من طريقته الخاصة في العبادة إلى طريقةِ شيخٍ عارفٍ كاملٍ خبرَ الطريقَ ومسالكَهُ وعرفَ مداخله ومخارجه، استنبطوه من عدة نصوص قرآنية منها، قوله تعالى:- {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}،(آل عمران:- ٣١).

*- فاتباع الرسول الأعظم في حياته كان متمثلًا باتباع شخصه الكريم وبعد انتقاله يكون باتباع ورثته الروحيين -(الوارث الروحي المحمدي:- هو من أخذ علوم الشريعة والطريقة على يد شيخ كامل وارث محمدي حيّاً عن حيٍّ إلى حضرة الرسول الأعظم، وهو وحيد في زمانه وإن تعدد المشايخ الكاملين)، ومنها قوله تعالى:- {الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}،(الرحمن:- ٥٩) - أيِ اِسْتَعْلِمْ عنه من هو خبير به، عالم به، فاتبعه واقتدِ به، كما يقول ابن كثير في تفسيره.

ومنها قوله تعالى:- {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ}،(هود:-١١٢)، وقد جاء في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي أن هذه الكلمة، كلمة جامعة في كل ما يتعلق بالعقائد والأعمال، سواءً كان مختصّاً به أو كان متعلقاً بتبليغ الوحي وبيان الشرائع، ولا شك أن البقاء على الاستقامة الحقيقية عسيرٌ جدًّا.

*- وعن ابن عباس:- ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آيةٌ أشدُّ ولا أشقُّ عليه من هذه الآية، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:- (شيبتني هود وأخواتها)، مجمع الزوائد.

*- وعن بعضهم قال:- رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت له:- روي عنك أنك قلت شيبتني هود وأخواتها فقال:- نعم، فقلت:- وبأي آية؟، فقال بقوله تعالى:- {فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}،(هود:- ١١٢)، التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) - الامام فخر الدين الرازي.

*- وغير ذلك من الآيات الكريمة الدالة على ضرورة أن يبحث الإنسان عن الخبير الذي وهبه الله تعالى علمًا لَدُنِّيًّا واختصاصًا ربانيًّا ليرشد الناس إلى بابه ويهديهم إلى طريقه المستقيم، كما قال تبارك وتعالى:-

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}،(الشورى:- ٥٢).

*- إن البحث عن الشيخ المرشد لغرض اتباعه والاستفادة من علومه وأسراره لهو من المنازل التي يختص الله تعالى بها عباده المكرمين، ولهذا يصف حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني المشايخ بأنهم:- « الطريق إلى الله، والأدلاء عليه والباب الذي يُدخل منه إليه »- الغنية - الشيخ عبد القادر الكيلاني، وإنما كانوا طريقًا إلى لله لأن كل حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم بأمر الله تعالى وإذنه كما أخبرنا بذلك سيدنا الخضر عليه السلام حين قال:- {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}، (الكهف:-٨٢).

*- وهكذا هم أولياء الله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بإذن الله تبارك وتعالى وأمره، وإذا كان شيخ الطريقة كما يقول حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني:- ''من إذا صحت صحبة المريد له، لَقَّمَهُ ورقةً مِمَّا في قلبه من طعام المعرفة وشرابها''، وكما يقول الشيخ أحمد الرفاعي الكبير هو:- « من إذا نصحك أفهمك، وإذا قادك دَلَّكَ، وإذا أخذك نهض بك،.... هو من يلزمك الكتاب والسنة، ويبعدك عن المحدثة والبدعة .. ظاهره الشرع، وباطنه الشرع)- الحكم الرفاعية - الشيخ أحمد الرفاعي الكبير.. فالأولى التسليم له والسير على طريقته فهي الأسهل والأقصر للوصول إلى الله تعالى.

*- قال سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث الثابت الذي رواه ابن ماجه وأبو داود والدارامي والدارقطني:- " هلا سألوا، فإن دواء العي السؤال".

*- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:- قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:- (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)، رواه أبو داوود والترمذي، وقال تعالى:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ}،(التوبة:- ١١٩)، وقد نصت الآية الكريمة على الصحبة، فلا بد للمريد من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا بواسطة الشيخ الكامل، لأن الطريقة ليست عملاً علميّاً ظاهريّاً ولا بحثاً نظريّاً، ولا يتم تعلمها بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية، بل إن ما كتبه مشايخ الصوفية أنفسهم لا

يستخدم إلا كحاضرٍ مقوٍّ للتأمل، ولا يفهمه إلا من كان أهلاً لفهمه، ممارساً لسلوك الطريقة، فلا يمكن التطهر من النجاسات المعنوية (الكذب – الحسد – الرياء – الكبر . . الخ) إلا بالسلوك على يدِ شيخٍ كاملٍ عالمٍ بعلاجِ أمراضِ النفوسِ ليخرجه من رعونات النفس الأمارة بالسوء ودسائسها الخفية).

قال أحدهم:–

منْ يأخذِ العلمَ منْ شيخٍ مشافهـةً يكنْ عنِ الزيغِ والتصحيفِ في حرمِ

ومنْ يكنْ آخذاً للعلمِ منْ صحفٍ فعلمُهُ عندَ أهلِ العلمِ كالعـــــــدمِ

ونستنتج مما ذكرنا أن علم التزكية أو التصوف أو مقام الإحسان هو الهجرة إلى الله سبحانه وتعالى ولا يؤخذ بالدراسة أو القيل والقال، بل بالصبر والمجاهدة والإتباع بصدق وإخلاص للمربي الروحي الشيخ الكامل ليكون سنداً وراعياً للمريد السالك في سلوكه، فالطريق وعرة وفيها الكثير الكثير من الترغيب والترهيب والباطن يتأثر بما يرد عليه من الأشياء، وهنا تكمن ضرورة وجود الشيخ الكامل لتحصيل المريد السالك على نور العلم:– { يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ }،(النور:–٣٥).

*– وكما قال أهل الله الصالحون:– إن الطريق إلى الله تبارك وتعالى عسرة المسالك، ضيقة على السالك، بكى فيها آدم، وناح لأجلها نوح، ورُمِيَ في النار إبراهيم، وَأُضْجِعَ للذبح إسماعيل، وابْتُلِيَ أيوب، وبيع يوسف، والتقم الحوت يونس، ونشر زكريا، وذبح يحيى، وهام مع الوحش عيسى، وعالج الفقر محمد عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

*– فلا بُدَّ للمريد من المربي ليصحح مسيره، ويراعي مراحل ترقيه في القرب من الله تبارك وتعالى.

*– ويقول الشيخ مصطفى البكري في ورد السحر:– (إلهي دلني على من يدلني عليك، وأوصلني يا مولاي إلى من يوصلني إليك).

*– فجميع المربين والمرشدين الكاملين قد نصحوا السالكين في سيرهم إلى الله وأبانوا لهم أن الطريق العملي الموصل إلى الله تعالى وإلى رضوانه هو الإكثار من ذكر الله في جميع الحالات، وصحبةُ الذاكرين، لأن أنفاس الذاكرين تقطع شهوات النفس الأمَّارة بالسوء.

*- فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، ويثمر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها، كان أعظم لثمرتها وفائدتها، وذلك أنَّ العبدَ إنْ لَمْ يستيقظْ مِنْ غفلتِهِ لمْ يمكنْهُ قطعُ منازلِ السيرِ الموصلةِ إلى معرفة الله تعالى التي خُلِقَ الإنسان لأجلها، قال تعالى:- {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، (الذاريات:-٦)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:- يعبدون أي:- يعرفون، ولا يستيقظ المرء إلا بالذكر، فالغفلة نوم القلب أو موته.

*- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال:- قال النبي ﷺ:- "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربَّهُ مثل الحي والميت"،[رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات].

*- وإن امتثال الصوفية لأمر مولاهم عزَّ وجلَّ بالإكثار من ذكره جعل حياتهم كحياة الملائكة، لا تخطر الدنيا على قلوبهم، ولا تشغلهم عن محبوبهم، نسوا أنفسهم بمجالستهم لربهم، وغابوا عن كل شيء سواه فتواجدوا عندما وجدوا.

*- وَسُمِعَ أبو بكر الشبلي في مجلسه يقول في (الرسالة القشيرية):-

ذَكرتك لا أني نسيتكَ لمحـــــةً وأيسرُ ما في الذكرِ ذكرُ لساني

وكدتُ بلا وجدٍ أموتُ من الهوى وهامَ على القلبِ بالخفقـــــانِ

فلما أراني الوجدُ أنك حاضــري شهدتُك موجوداً بكل مكـــــانِ

فخاطبتُ موجوداً بغيرِ تكلـــمٍ ولاحظتُ معلوماً بغير عنـــــانِ

*- يذكر الصوفي ربه في كل أحيانه، فيجد بذلك انشراح الصدر، واطمئنان القلب، وسمو الروح؛ لأنه حظي بمجالسة ربه عزَّ وجلَّ "أهل ذكري أهل مجالستي... الحديث"،[من حديث قدسي أخرجه الإمام أحمد في مسنده].

*- وعن عبد الله بن بِسر أن رجلاً قال:- (يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كَثُرَتْ عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به)، قال:- "لا يزال لسانُك رَطْباً من ذكر الله"،[رواه الترمذي في كتاب الدعوات وقال:- حديث حسن].

*- فالذكرُ صقالُ القلوبِ، ومفتاحُ بابِ النفحاتِ، وسبيلُ تَوَجُّهِ التجلياتِ على القلوب، وبه يحصل التخلق، لا بغيره، لذلك فالمريد لا يصيبه غمٌّ أو همٌّ أو حزنٌ إلا بسبب غفلته عن ذكر الله، ولو اشتغل بذكر الله لدام فرحه وقرت عينه، إذ الذكر مفتاح السرور والفرح، كما أن الغفلة مفتاح الحزن والكدر.

*- وعن أنس رضي الله عنه قال:- قال رسول الله ﷺ:- "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا:- يا رسول الله وما رياضُ الجنة ؟ قال:- حِلَق الذكر"،[أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات وحسنه].

*- قال ابن قيم الجوزية:- (ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا تُرك صدئ، فإذا ذكر جلاه، وصدأ القلب بأمرين:- بالغفلة، والذنب؛ وجلاؤه بشيئين:- بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكماً على قلبه، وصدؤه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه؛ فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، لأنه لمَّا تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هي عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ، وَاسْوَدَّ، وركبه الرانُ فَسَدَ تصورُه وإدراكه فلا يقبل حقّاً، ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوباتِ القلب.

*- وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى، فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره، قال تعالى:- {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً}،(الكهف:-٢٨)،["الوابل الصيب من الكلم الطيب" لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ ص٥٢].

*- قال العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره عند قوله تعالى:- { وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}، (الأعراف:-١٨٠)،(إن الموجب لدخول جهنم والعياذ بالله تعالى هو الغفلة عن ذكر الله تعالى، والمخلِّص من عذاب جهنم هو ذكر الله تعالى، وأصحاب الذوق والمشاهدة يجدون من أرواحهم أن الأمر كذلك، فإن

القلب إذا غفل عن ذكر الله، وأقبل على الدنيا وشهواتها، وقع في باب الحرص وزمهرير الحرمان، ولا يزال ينتقل من رغبة إلى رغبة، ومن طلب إلى طلب، ومن ظلمة إلى ظلمة، فإذا انفتح على قلبه باب ذكر الله ومعرفة الله تخلَّص من نيران الآفات، ومن حسرات الخسارات، واستشعر بمعرفة رب الأرض والسموات)،[تفسير الفخر الرازي ج٤/ص٤٧٢].

*- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:- قال رسول الله ﷺ:- "إن لله ملائكةً يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا:- هلموا إلى حاجتكم، قال:- فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال:- فيسألهم ربهم عزَّ وجلَّ وهو أعلم بهم:- ما يقول عبادي؟ قال:- يقولون:- يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال:- فيقول:- هل رأوني- ؟ قال:- فيقولون:- لا والله ما رأوْك؛ قال:- فيقول:- وكيف لو رأوْني- ؟ قال:- يقولون:- لو رأوْك كانوا أشد لك عبادةً وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً، قال:- يقول:- فما يسألونني- ؟ قال:- يقولون:- يسألونك الجنة، قال:- يقول:- هل رأوْها- ؟ قال:- يقولون:- لا والله يا رب ما رأوْها، قال:- فيقول:- فكيف لو أنهم رأوْها؟ قال:- يقولون:- لو أنهم رأوْها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال:- يقول:- فمِمَّ يتعوذون؟ قال:- يقولون:- من النار، قال:- يقول:- وهل رأوْها- ؟ قال:- يقولون:- لا والله ما رأوها، قال:- يقول:- فكيف لو رأوها- ؟ قال:- يقولون:- لو رأوْها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، قال:- فيقول:- أُشْهِدُكم أني قد غفرت لهم، قال:- يقول ملك من الملائكة:- فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال:- يقول:- هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"،[أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات].

*- ففي هذا الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك، وإن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل عليهم ربهم إكراماً لهم؛ وإن لم يشاركهم في أصل الذكر، وبمجالسته لهم صار سعيداً لأن من جالس جانس؛ إن صحَّت النية.

*- قال الإمام الشعراني:- (الذكر سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم من الجن والإنس وبه يدفعون الآفات التي تطرقهم).

*- وقال:- (الذكر منشور الولاية ومرسوم من الله للعباد بالولاية كمراسيم ملوك الدنيا بالوظائف "ولله المثل الأعلى " فمنْ وُفِّقَ لدوامِ ذكرِ اللهِ فقدْ أُعْطِيَ المرسومَ بأنه وليٌّ الله، ومنْ يُسْلَبْ منَ الذكرِ فقدْ عُزِلَ من الولاية)،(الأنوار القدسية).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين.

الباب الثالث

’’صفات الشيخ المربي’’

***- صفات الشيخ المربـــــــــــي:-**

*- هو الرجل العالم العامل الذى وهبه الله عزَّ وجلَّ النور الكاشف للظلمات والشبهات، ومنحه الفقه في دين الله وتأويل المتشابهات، وفك رموز الخفيات من آيات القرآن وحديث رسول الله ﷺ.

*- وهو الفرد الذى تتنزل عليه الفيوضات من العلوم اللدنية والوهبية، والنفحات النورانية، ووداٍ في المعية، أي في معية الحق تبارك وتعالى، زياده على ما حصله من العلوم الكسبية والاجتهادية.

*- وهو العبد الذى آتاه الله رحمة في قلبه بعباد الله حتى قام يبذل كل ما لديه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ويبين لهم معاني الدين الحنيف، ويجدد لهم آثار السنة المطهرة، ويعيد إلى الأذهان ما خفي من هدي الأئمة الأعلام، وما اندثر من دروس وآداب وأحوال وسلوك السلف الصالح رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وللمرشد صفات كثيره يتعرف بها عليه:-

*- وقد أشار إليها الله عزَّ وجلَّ في قوله:- { فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا }،(الكهف:-٦٥)، فهو رجل يُبَيِّنُ للناسِ كلامَ الله عزَّ وجلَّ وحديثَ رسولِ اللهِ ﷺ بما يناسب عقولهم مع الرحمة بهم بالحكمة الرشيدة، والبصيرة النافذة، كما قال الله سبحانه وتعالى:- { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ }،(يوسف:-١٠٨).

*- ولقد بلغ به الكمال اِتِّبَاعُهُ لسيدنا رسول الله ﷺ مقامًا لا يقدر أن يلتفت عن رسول الله ﷺ طرفة عين ولا أقل، ولا أن يخالفه في أي شيء مهما كان صغيرًا، عَلَّمَهُ الله عزَّ وجلَّ علمًا من لدنه سبحانه وتعالى، وهذا العلم ينفع الله به الناس في زمانه، وإنه علمٌ قريبُ العهدِ بالله تبارك وتعالى قد أُكْرِمَ به من حضرة الله عزَّ وجلَّ، وهذا العلمُ يقيمُ به الحُجَّةَ على المعاندين والمجادلين وتتضحُ به الطريقةُ والمَحَجَّةُ للمؤمنين والمسترشدين.

*- وقد ورث عن رسول الله ﷺ علوم الشريعة وعلوم الطريقة وعلوم الحقيقة، وجعله الله خبيرًا بمعاني تجليات الحق تبارك وتعالى، وعليمًا بأسراره القدسية، وجعله الله حفيظًا على هذه الأسرار فلا يبيح منها

شيئًا إلا لأهلها بقدر طاقاتهم وحسب حاجاتهم، قال الله تبارك وتعالى:- { الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}،(الفرقان:-٥٩)، فهو قائمٌ لله بالحق لا يتزحزح عنه، وإن خالفه الناس أجمعون.

*- قلبه مع الله عزَّ وجلَّ ومع ورسوله ﷺ وإن كان جسمه مشغولًا بالإعمال الكونية أو بهداية الناس إلى الله تعالى، فهو مع الحق بسره ومع الخلق بجسمه، رجلًا أذلَّ نفسه للمؤمنين والمؤمنات، وأعزها على أهل الكفر أجمعين، وفي هذا المعنى تقول سيدة العشق الإلهي السيدة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها وأرضاها:-

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثـــــي وأبحت جسمي لمن أراد جلوســـــي

فالجسم مني للجليس مؤانـــــس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيســـــــي

وزادي قليل ما أراه مبلغــــــــي أَلِلزَّادِ أبكي أم لطول مسافتــــــي

أتحرقني بالنار يا غاية المنــــى فأين رجائي فيك أين مخافتــــــي

*- هذا الرجل هو بغيةُ كلِّ مؤمنٍ، ومقصدُ كلِّ مُحْسِنٍ، وأملُ كلِّ فردٍ من أهل الصفاء والإخلاص، وإنَّ الكلَّ يبحث عنه ويسعي في طلبه.

***- أخلاقــــــــــــــــــــــــــــــــه:-**

*- أما الأخلاق فهي أخلاق الله عزَّ وجلَّ، وأخلاق الرسول الأعظم ﷺ، وأن يكون حكيمًا رحيمًا على النفوس، مُعْتَقَدًا عند الناس، مشهودًا له باتباع كتاب الله تبارك وتعالى والسُّنَّةِ والعمل بهما، متباعدًا عما يُنَفِّرُ القلوب من كل الأعمال والأحول والأخلاق.

*- لأنه كان الليث بن سعد يقول:- {إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة}، فقال الشافعي:- قصر الليث رحمه الله، {بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة}.

*- وأن يكون متمكنًا من أصول التوحيد طبيبًا حاذقًا بأمراض النفوس، خبيرًا بمداراة الناس، فاهمًا منزلة كل إنسان، وله معرفة حقيقية بسمات الناس التي تدلُّ على خفيِّ طباعهم وغرائزهم ومكنون أخلاقهم،

يؤلف الناس ويتحمل أذاهم حتي يألفوه، ويرغبهم في الأخلاق الكريمة، ويجاهد نفسه ليعمل أولًا بعلمه، ثم يدعوا الناس إلى ذلك لا يفرق بين الناس بسبب الفقر أو الغنى، أو الجاه أو النسب في الإقبال عليهم والبشاشة لهم، لا يستحي إذا كان لا يعلم أن يقول لا أعلم.

*- وفي هذا المعنى البديع الجميل يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره وطيب الله ثراه:- { وأمرني قلبي بإقامة الوزن بالقسط بينهم في الكلام، وقال لا تشطط وضع نفسك تحت الأقدام، تحفك عناية القوم وترجع نقيًا سالمًا من الآثام}.

*- ولا يستحي أن يطلب العلم ممن فوقه دون التعصب لشيخه، وبذل ما في اليد للناس تأليفًا لهم، وعدم التطلع إلي ما في أيديهم، وترك الجدال مرة واحدة إلا ما كان لبيان حكمٍ من الإحكام الشرعية مُخْتَلَفًا فيه، ويكون بالتي هي أحسن، وله صبر على جفوة من يدعوهم، والإحسان إلى المسيء، وصلة القاطع، وتأليف النافع، والتباعد بالكلية عن تنفير الخلق أو نية السوء أو قصد الشر أو التكلم بما لا يليق من قبيح الكلام في غيبة الناس أو في مواجهتهم، والتباعد عن سماع الشر في حق الناس والمسارعة إلى فعل الواجبات والفضائل والمكرمات، والشفقة والاجتهاد في دفع المصائب وتخفيف الآلام، والغضب لله والرضى لله، والحب في الله والبغض لله، ودعوة الخلق على قدر عقولهم، ومداراة الناس والتحصن بحصون الشريعة السمحة الغراء.

***- علومـــــــــــــــــــــــه ومعارفـــــــــــــــــــــــــــه:-**

*- لا بد للشيخ أن يكون عارفًا بالعلوم التي يحتاج إليها الناس ويذوق أسرار الأحوال والمقامات، ومن علومه علم الآيات، ويقصد بها العلامات الدالة على قدرة الله عزَّ وجلَّ في الكون وفى الإنسان، وهي المشار إليها بقول الله عزَّ وجلَّ:- { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}،(فصلت:-٥٣).

*- وفى ذلك يقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:- (تَرَكَنَا رسولُ اللهِ ﷺ وما في السماءِ طائرٌ يطيرُ بجناحيه إلا ذكرَ لنا عنه علمًا)، ومن هذه العلوم:-

١- علم تزكية النفوس:- وهو العلم الذي تصفو به النفس من شوائب الرياء وعلائق الحق وأضرار الحسد وبواعث الحظ والهوى حتي تنال مقام الإخلاص، ولا تُحَقِّقُ العبادةُ الغايةَ منها إلا بعد تزكيه النفوس وتصفيتها لقول الله عزَّ وجلَّ:- { قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) }، (الأعلى:-١٤-١٥)، وهذا هو الطورُ الهامُّ الذى جاهد فيه رسول الله ﷺ الأصحاب حتى فطرت على الصفاء والوفاء وذلك لمده اثنتا عشرة سنة حتي تأهلت النفوس لعبادة حضرة الله عزَّ وجلَّ، ثم بدأ نزول العبادات بالصلاة وغيرها.

٢- علم الكتاب:- وهو علم الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأخلاق والأسر والمجتمعات والسلم والحرب وهو ما يسمي الآن بعلم الفقه.

٣- علم الحكمة:- وهول العلم الذى يهبه الله عزَّ وجلَّ للإنسان فيكون حكيمًا في تصرفاته بليغًا في أحواله وهيئاته، مسددًا في أقواله وتحركاته حتي يكاد الناس غير الحاسدين الحاقدين لا يرون فيه عيبًا في أحواله وأفعاله، وهذا كله نتيجة التوفيق من الله تبارك وتعالى، فقد أخبر الله عزَّ وجلَّ:- أن صاحب الحكمة قد أعطاه اللهُ البرَّ والفضلَ الكبيرَ في قوله تعالى:- { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ }،(البقرة:-٢٦٩).

٤- العلم الوهبي:- وهو ما ينتج عن الإخلاص في تنفيذ الأعمال والصدق في المتابعة لسيدنا رسول الله ﷺ حيث يفاض على صاحب هذا القلب علومٌ وهبيةٌ وأسرارٌ من باب قول الله عزَّ وجلَّ:- { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }،(البقرة:-٢٨٢)، قول الرسول عليه الصلاة والسلام:- (منْ عملَ بما علمَ وَرَّثَهُ اللهُ بما لا يكن يعلم)، وهذا العلم حقائق صادقة في صدور العارفين، فينقلوها إلى خاصة المحبين، ولما كان العلماء ورثه الأنبياء أئمة أهل الطريق لأنهم الذين يقومون بتربية مريديهم وتهذيب سلوكهم وتجميل أخلاقهم وهذا دأب الصالحين في كل زمان ومكان.

***- أوصـــــــاف الداعـــــــــــي الحكيـــــــــــــم:-**

*- للداعي الحكيم أوصافٌ وعلاماتٌ كثيرة يُعرف بها، أشار إلى بعضها الإمام الغزالي رضى الله عنه في إحياء علوم الدين فقال:- (وقيل:- خَمْسٌ من الأخلاق، هي من علامات علماء الآخرة – مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عزَّ وجلَّ:- "الخشية، والخشوع، والتواضع، وحسن الخلق، وإيثار الآخرة على الدنيا – وهو الزهد".

*- فأما الخشية فمن قوله تعالى:- { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء }،(فاطر:-٢٨).

*- وأما الخشوع فمن قوله تعالى:- {خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً }،(آل عمران:-١٩٩).

*- وأما التواضع فمن قوله تعالى:- { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }،(الحجر:-٨٨).

*- وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى:- { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ }،(آل عمران:-١٥٩).

*- وأما الزهد فمن قوله عزَّ وجلَّ:- {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}،(القصص:-٨٠).

*- ويمكن إجمال أوصاف الداعي الحكيم فيما يلي:-

أولاً:- التواضع لله تعالى في كل حال، وخصوصاً عند رواية العلم أو بيانه بالكتابة أو الدراسة، فالتواضع أكمل علامة للعلماء، لأنها تدل على حقيقة الخشية من الله تعالى، وقد حصر الله تعالى خشيته في العلماء، لأن شأن العالم العارف لنفسه بنفسه الممتلئ من معرفة ربه، المتحلي بواردات قُدْسِهِ لا يرى لنفسه حالاً ولا مقالاً، بل يرى نفسه أقل من كل شيء، وهذا هو النظر التام، كما قيل:-

إذا زادَ علمُ المرءِ زادَ تواضعـــــــاً وإذا زادَ جهلُ المرءِ زادَ تَرَفُّعـــــاً

وفي الغصنِ منْ حملِ الثمارِ مَنَالُهُ فإنْ يَعْرُ عنْ حملِ الثمارِ تمنّعـاً

ثانياً:- الحلم والأناة، لأنهما خصلتان يحبهما الله تعالى، وإذا تجرد منهما العالم هلك، لأنه يتصف بالحماقة والعجلة، فالعجلة توقعه في الخطأ، والحماقة تنفر منه الخلق والحقّ، فيكون ضاراً، وقد يُبْتلى –

إذا لم يتصف بالحلم والأناة – بالإعجاب برأيه والتعصب له، فيجادل من خالفه ويؤيّد رأيه بالحجج – ولو كان باطلاً.

ثالثاً:– من أكمل صفات العلماء أن يُعلِّموا كل فريق من الناس ما لابد لهم منه، ويخفوا الحكمة إلا عن أهلها، كما قيل:– { لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تعلموها غير أهلها فتظلموها }، ومن علّم الحكمة لغير أهلها فتح على نفسه باباً من الشرّ، وعلى المسلمين باباً من الفتنة، فالعالم الربانيُّ يُعلِّمُ الناس على قدر عقولهم ويداريهم كما قال ﷺ:– { كلِّموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون!، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله؟ }،(رواه البخاري موقوفاً على الإمام عليٍّ كرَّم الله وجهه، ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي النعيم).

رابعاً:– السكينة والرحمة، فإن السكينة دليل على التمكين، وبرهان على الرسوخ في العلم، والرحمة من أخص صفات العلماء، بحكم الوراثة عن رسول الله ﷺ، وأجمل صفاته صلوات الله وسلامه عليه ما أثبتها الله تعالى له بقوله:– { حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }،(التوبة:–١٢٨)، وقدَّم الله عزَّ شأنه وجلَّ ثناؤه الرحمة في الإيتاء على العلم للعالم الرباني فقال سبحانه وتعالى:– { آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا }،(الكهف:–٦٥).

خامساً:– من أجلِّ علامة العلماء الربانيين، العمل بالعلم في السر والجهر؛ خشية من الله تعالى، والأخذ بالعزائم – ولو كان في ذلك ما تكرهه نفوسهم، أو تتألم منه أبدانهم – إرضاء لله تعالى، ولا يأخذون بالرخص من غير أسبابها، وذلك لكمال اقتدائهم برسول الله ﷺ، فقد كان – فيما يروى عنه صلوات الله وسلامه عليه – يأخذ نفسه بالأشد، ويأمر غيره بالأيسر، ولذلك كان كُمَّلُ أصحابه رضوان الله عليهم يقتدون بفعاله قبل أقواله، لأن الاقتداء بأفعاله عزيمة.

سادساً:– التحفظ من أن يرى رأياً فيحكم به من غير أن يتثبت من أنه حكم الله تعالى، وحكم رسوله ﷺ، أو أنه مأخوذ بالاستنباط من الكتاب والسنة، أو من عمل أئمة السلف، أو له نظير أو شبيه من أعمال السلف رضوان الله عليهم.

سابعاً:- الاجتهاد في سدّ باب الذرائع والفتن، وإراحة أفكار المسلمين من الاشتغال بما يضرُّ ولا ينفع، الأمر الذي سبَّبَ فرقة المسلمين، ووقوع العداوة والشحناء بينهم، وجعل غير المسلمين يظنّون أن الدين الإسلامي مؤسسٌ على التعصب لأشياء لا حقائق لها، ومثال ذلك فتح باب التفاضل بين الصحابة والعلماء، أو في الآراء والمذاهب والاعتقادات.

*- وكذلك فتح باب الفتن بالتكلم فيما سكت الله عنه، وسكت عنه رسوله ﷺ رحمة بالمسلمين، فلم يحرّمها، فيقوم هؤلاء الذين تحصَّلوا على قشور من أحكام الشريعة المطهرة، وينصبُّوا بكليتهم على فتح أبواب الشُّبَه، وشغل المسلمين بما يضر ولا ينفع!!

*- ناهيك عن الفظاظة في الأخلاق، والغلظة في الطباع، والسخف في القول عند الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر!! مُتَذَرِّعِيْنَ بحجة أن هذا من الدين، وأن هذه نصيحة، وأن هذه الطريقة الشرعية التي أمر الله بها، ويجهلون أنهم بذلك وقعوا في كبائر لا تحصى؛ منها مخالفة رسول الله ﷺ في أخلاقه، ومخالفة سنته في الدعوة، وتنفير عباد الله ووقوعهم في بغض الدين وبغض أهله، وظنوا أنهم أحسنوا!!!

*- وربما كان الذي يدعون إليه من الأمور المرغّب فيها خلاف الأولى، أو كان الذي ينهون عنه أيضاً خلاف الأولى، وذلك في مثل نهيهم عن الاجتماع على ذكر الله، أو قراءة سورة الكهف في المساجد يوم الجمعة، وما شابه ذلك.

ثامناً:- أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال، وعما يفسدها ويشوش القلب، ويهيج الوسواس، ويثير الشرّ، فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل:-

عرفت الشَّرَّ لا للشَّرِّ لكن لتوقِّيه ومن لا يعرف الشَّرَّ من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة، وأعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها، وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه، وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة.

*- ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأقربهم هدياً من الصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعًا، وكان أكثر كلامه في خواطر القلب، وفساد الأعمال، ووساوس النفس، والصفات الخفيَّة الغامضة من شهوات النفس، وقد قيل له:- (يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك!! فمن أين أخذته؟ قال:- من حذيفة بن اليمان رضى الله عنه).

*- وقيل لحذيفة:- نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة!! فمن أين أخذته؟ قال:- { خصَّني به رسول الله ﷺ:- كان الناس يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه }، وقال مرة:- { فعلمت أن مَنْ لا يعرف الشرَّ لا يعرف الخير }، وفي لفظ آخر:- { كانوا يقولون:- يا رسول الله، ما لمن عمل كذا وكذا؟ يسألونه عن فضائل الأعمال، وكنت أقول:- يا رسول الله، ما يُفسد كذا وكذا؟ فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصَّني بهذا العلم } (أخرجه البخاري ومسلم).

*- وكان حذيفة رضى الله عنه أيضاً- قد خُص بعلم المنافقين، وأُفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه، ودقائق الفتن، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة، وكان عمر رضى الله عنه إذا دُعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر، فإن حضر حذيفة صلَّى، وإلا ترك، وكان يُسَمَّى:- ''صاحب السر''.

*- فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة، لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى، فيهتمون بمعرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة.

تاسعاً:- أن يكون اعتماده في علومه - بعد تحصيل ما يلزم، كما أشرنا آنفاً - على حكمته وبصيرته وإدراكه بصفاء قلبه، لا على الصحف والكتب، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره، وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه يقول لأتباعه - مادحاً أهل علوم الإلهام رضى الله عنهم أجمعين:- (حدثونا بما فتح الله عليكم، لا بما نقلتموه عن غيركم).

*- فإذا قلَّد صاحب الشرع ﷺ فيما أمر به وقاله، فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسراره، فإن رسول الله ﷺ ما فعله إلا لسرٍّ فيه، ولا يكون عالماً إلا إذا كان شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال، فإن اكتفى بحفظ ما يُقال كان وعاءً للعلم، ولا يكون عالماً.

عاشراً:- أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور، وإن اتفق عليها الجمهور، فلا يغرنَّه إطباق الخلق على ما أحدث بعض الصحابة رضى الله عنهم، وليكن حريصاً على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم، وما كان فيه أكثر هَمُّهم، فقد كان ذلك في الخوف والحزن، والتفكر والمجاهدة، ومراقبة الظاهر والباطن، واجتناب دقيق الإثم وجليله، والحرص على إدراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان، إلى غير ذلك من علوم الباطن.

*- واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحقِّ أشبههم بالصحابة، وأعرفهم بطريق السلف، فمنهم أُخذ الدين، ولذلك قال الإمام علي رضى الله عنه لَمَّا قيل له:- خالفت فلاناً!، قال كرم الله وجهه:- { خيرنا أتبعنا لهذا الدين }.

*- وما أجمل حديث التستري رضى الله عنه عن العلماء العاملين، والأولياء المحققين، ومكانتهم، حيث يقول:- {قال الله لآدم:- يا آدم إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي وخاف غير عدلي لم يعرفني، يا آدم:- إن لي صفوةً وضنائنَ وخيرةً من عبادي أسكنتهم صلبك، بعيني من بين خلقي، أعزهم بعزي، وأقربهم من وصلي، وأمنحهم كرامتي، وأبيح لهم فضلي، وأجعل قلوبهم خزائن كتبي، وأسترهم برحمتي، وأجعلهم أماناً بين ظهراني عبادي، فبهم أمطر السماء، وبهم أنبت الأرض، وبهم أصرف البلاء، هم أوليائي وأحبائي، درجاتهم عالية، ومقاماتهم رفيعة، وهِمَمُهُم بي متعلقة، صحَّتْ عزائمهم، ودامتْ في ملكوت غيبي فكرتُهم، فارتَهنتْ قلوبُهم بذكري، فسقيتهم بكأس الأنس صرف محبتي، فطال شوقهم إلى لقائي، وإنِّي إليهم أشد شوقاً، يا آدم من طلبني من خلقي وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فطوبى يا آدم لهم ثم طوبى، ثم طوبى لهم وحسن مآب، يا آدم هم الذين إذا نظرت إليهم هان عليَّ غفران ذنوب المذنبين لكرامتهم عليَّ }،(حلية الأولياء، عن سهل بن عبدالله).

*- وقال أيضاً:- إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام:- { يا داود:- إذا رأيت لي طالباً فَكُنْ له خادماً }، فكان داود عليه السلام يقول في مزاميره:- { وَاهًا لهم! يا ليتني عاينتهم!!، يا ليت خدّي موطأ نعلهم!! }، ولله در شيخنا قدس الله تعالى سره، وطيب الله ثراه إذ يقول:- { وضع نفسك تحت الأقدام، تحفك عناية القوم وترجع نقيًّا سالمًا من الآثام}.

*- قال سهل بن عبد الله ذلك، ثم اصفرَّ لونُهُ وجعل يقول:- (جعل الله نبيَّه وخليفته خادماً لمن طلبه لو عقلت - وما أظنَّك تعقل - قدر أولياء الله وطلابه!! ولو عرفت قدرهم لاستغنمتَ قربهم ومجالستهم، وبرَّهم وخدمتهم وتعاهدهم)،(حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ١٠ ص ١٩٣، ١٩٤).

*- **وَصِيَّـــــــــــــــــــــــة**.. (هذه الوصية نقلناها بتصرف من كتاب مذكرة المرشدين والمسترشدين للإمام أبي العزائم رضى الله عنه لشمولها وأهميتها):-

*- أخي الداعي:- يا مَنْ وهبه الله تعالى العلم والحكمة وجمال الأخلاق، وأعانه على صرف الأوقات في عمل القربات والطاعات.

*- أخي الداعي:- اعلم - حفظني الله وإياك من حبِّ الدنيا والرغبة فيما فيها - أن تلك الإقامة التي أنت مقيم فيها هي:- وظيفة العلماء الربانيين، والأمناء الروحانيين ورثة رسل الله عليهم الصلاة والسلام وأبدال الصديقين والشهداء؛ فمن أقامه الله تعالى مقام رسله جعل له علامات، وهي الحجج المؤيدة لصدق إقامته، والبراهين التي في قوة تصديق الله أنه سبحانه وتعالى قد منَّ عليه بميراث الرسل عليهم الصلاة والسلام وتلك العلامات هي:-

*- الحرص على عباد الله من أن يقع أحدهم فيما يُغضب الله بسببهم، والرأفة والرحمة بالمؤمنين، ولين الجانب، والخلق العظيم، والصبر على جفوة مَنْ يَدْعُونهم، ودعوة الخلق كلٌّ على قدر عقله، ومداراة الناس، والغضب في الله، والإحسان إلى المسيء، وصلة القاطع، وتأليف النافر، وترك الجدال مرة واحدة - إلا ما كان لبيان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه، ويكون بالتي هي أحسن، والتباعد بالكلية عن تنفير الخلق، أو عن نية السوء، أو قصد الشرِّ أو العزم عليه، أو التكلم بما لا يليق من قبيح الكلام في

غيبة الناس أو في مواجهتهم، والتباعد عن سماع الشرِّ في حق الناس، والزُّهد فيما في أيديهم، وبذل ما في اليد لهم تألّفاً لهم، والمسارعة إلى فعل الواجبات والفضائل والمكرمات، ومنافستهم في ذلك حتى يقلِّدوا الداعي.

*- والشفقة عليهم، والاجتهاد في دفع المصائب عنهم، وتخفيف آلامهم، ومشاركتهم في مهماتهم - مشاركة عملية بالمال والنفس، وذكر محاسنهم، وستر عيوبهم في غيبتهم، والاجتهاد في تنبيههم لترك المعاصي التي يقع فيها بعضهم، وعمل الفضائل التي تركها بعضهم - بطريقٍ محفوظٍ من أن يتوهم أحدهم أنه مقصود بالذات، خشيةً من التنفير، بل يكونُ بتنبيهٍ عامٍّ يبين فيه قبح المعصية وسوء عاقبتها، ويبين حسن الفضيلة وجميل مآلها.

*- فهذه الأخلاق هي التي يجب أن يكون عليها المتصف بصفات الداعي إلى الله، أو النائب عنه لأنها من أخص صفات رسول الله ﷺ، والخادم إذا ناب عن سيده يلزمه أن لا يخالفه، فإن خالفه هلك أو أهلك.

*- فمن أقامه الله بدلاً عن الصديقين والشهداء، ونائباً عن العلماء الربانيين، ثم غلبته نفسه فغضب أو شتم آخر أو سبَّه، أو كرهه بقلبه، أو ظن في أخيه سوءً، أو قطع أخاً له لغرض من أغراض الدنيا أو لِعِلَّةٍ من عِلَلِ الحظوظ، أو تهاون بواجب، أو ترك المنافسة في عمل الخيرات ونافس في عمل الشرور، فمن كان هكذا، فكأنه يريد أن لا يقبل فضل الله ونعمته، لأن هذا الفضل العظيم يمنح بالفضل من الله تعالى، ويدوم ذلك الفضل بمراعاة تلك المعاني، ونعوذ بالله من حال عَبْدٍ يتفضل الله عليه فيأبى فضل الله، وينعم الله عليه فيرد نعمة الله.

*- أيها العالم الرباني:- بِمَ صرت عالماً؟ قل معي:- {هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي}،(النمل:-٤٠)، نعم! فعليك أن تشكر ربك جلَّ جلاله بمجاهدة نفسك، حتى تتصف بصفات أهل الفضل، احذر أن تمنح الفضل بالفضل، وتنسى المتفضِّلَ وفضله، فيسلب - والعياذ بالله - الفضل بالعدل، واستعذ بالله - أيها الداعي - من السلب بعد العطاء.

*- تودّد إلى الأباعد، وأحسن إلى الأقارب، وغض بصرك عن عيوب إخوانك المؤمنين، واستر زلَلَهم، واعف عن مسيئهم، واصفح عن ظالمهم، واشكر الله الذي جعلك من أهل الفضل عِلْماً وخُلقاً وحالاً وعملاً.

*- وتحقق أن أجمل نعمة ينعم الله بها على عبده، ويدوم بها الفضل العظيم، ويبقى في ذريته بعده:- هي أن ينعم الله عليك بجميل الأخلاق، وأن يملكك نفسك فلا تخرج بك عن طاعة الله، ولا توقعك في معاصي الله، وبذلك يحبُّك الله، وملائكة الله، ورسل الله، ويحبك الناس أجمعون، إلا مَنْ كرهك لأنك على الحقِّ وهو على الباطل في الاعتقاد والرأي والعمل، فلا يكرهك أحدٌ من الخلق لحماقة لأنك حليم، ولا يكرهك لعمل سوء لأنك رحيم، ولا يكرهك لجفاء وقوة لأنك رءوف، ولا يكرهك لبخل لأنك كريم، ولا يكرهك لنفور منك لأنك صفوح عفو، ولا يكرهك لطمع منك لما في أيديهم لأن الله أغناك عن شرار خلقه وجعل غناك في قلبك، ولا يكرهك لترك واجب لمسارعتك لعمل الواجب والمندوب، ولا يكرهك لسوء أدب لخشيتك من الله.

*- وتحقق أنَّ بُغْضَ الناس - خصوصاً الأقارب، وبالأخص الوالدين والأولاد - دليل على أنك من أهل الكبائر القلبية أو البدنية، فبادر بسرعة وتُبْ إلى الله، وجاهد نفسك متخلقاً بأخلاق العلماء الربانيين، والعارفين الروحانيين، ليدوم لك الفضل العظيم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة، وتدبر قوله تعالى:- { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ }،(الرعد:-١١)، أسأل الله تعالى الحفظ والسلامة، والنعم والإحسان، والفضل العظيم، والمعونة على الشكر إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*- وشروط الشيخ المرشد عند الإمام الجيلاني رضي الله عنه:-

قال سيدي وقرة عيني سلطان الأولياء والعارفين الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في القصيدة العينية المشهورة:-

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا إلى شيخٍ في الحقيقة بـــــارع

فقم في رضاه واتبع مـــــــــراده ودع كل ما من قبل كنت تسـارع

ولا تعترض فيما جهلت من أمــره عليه فإن الاعتراض تنـــــــازع

ففي قصة الخضر الكريم كفايـــة بقتل غلامٍ والكليم يدافـــــــــع

فلما أضاء الصبح عن ليل ســره وسل حساماً للغياهب قاطـــــع

أقام له العذر الكليم وإنـــــــــه كذلك علم القوم فيه بدائـــــــع

*- ولقد أسس الإمام الجيلاني رضي الله عنه طريقته وفق الكتاب والسنة ولم يَحُدْ عنهما قيد أنملة، ووضع لها ضوابط شرعية لتكون منارة لكل مريد يسلك طريقته من بعده، وحتى لا يكثر الشطط والنقصان والتغيير والابتداع، ويدعي المشيخة من يقدر ومن لا يقدر ومن يعلم ومن لا يعلم، فوضع الشيخ رضي الله عنه ضوابط وشروط ينبغي أن تتوفر بالشيخ المرشد الذي يتصدر للإرشاد وهذه الشروط هي:-

*- جاء في كتاب السير والمساعي ص(٢٠٨) هذه الأبيات المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه:-

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائـد وإلا فدجالٌ يقود إلى جهـــــــل

عليم بأحكام الشريعة ظـاهـــراً ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل

ويظهر للورَّادِ بالبشر والقـــرى ويخضع للمسكين بالقول والفعـــل

فهذا هو الشيخ المعظم قـــدره عليم بأحكام الحرام من الحـــــــل

يهذب طلاب الطريق ونفســه مهذبة من قبل ذو كرم كلـــــــــي

*- لقد بين سيدي الشيخ رضي الله عنه في هذه الأبيات بعض شروط الشيخ المربي وهي خمس، فإن لم تتوفر فيه فليس لديه الأهلية للإرشاد وهذه الشروط هي:-

١. أن يكون عالماً بأحكام الشريعة والدين عالمًا بالحلال والحرام، عالمًا بحدود الشرع، وعالمًا بالسنة النبوية، وعالمًا بما عُلِمَ من الدين بالضرورة، وهذا معنى قول الشيخ:- (عليم بأحكام الشريعة ظـاهراً).

٢. أن يكون عالماً بعلم الحقيقة والطريقة، وعالمًا بأحوال القلوب والنفوس وطرق تزكيتها وخبير بأحوال السالكين وتدرجهم في الطريق إلى الله، ويكون قد أخذ هذا العلم من شيخ مرشد كامل عبر سند متصل إلى رسول الله ﷺ وهذا معنى قول الشيخ:- (ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل).

٣. أن يكون كريماً سخيّاً مع ضيوفه، والسخاء من صفات رب العالمين ومن خلق الرسول الكريم ﷺ والصالحين، فلا يليق بالمرشد أن يكون بخيلاً كما جاء في الحديث:- ''ما جبل ولي الله إلا على السخاء وحسن الخلق''، فيكرم ضيوفه ورواد زاويته دون التقصير بحق ضيافتهم وأن تدوم البسمة على وجهه وأن يكون رحب الصدر وهذا معنى قول الشيخ:- (ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى).

٤. أن يكون متواضعاً للمؤمنين يخضع لهم بالقول والفعل، وهذه الخصلة هي من خصال النبي ﷺ حيث أمره الله فقال له:- {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}،(الحجر:- ٨٨)، وقال تعالى:- { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ لدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ مْرُهُ فُرُطًا}،(الكهف:- ٢٨)، والتواضع هو من أحسن الصفات التي يتحلى بها المؤمن، وينبغي على كل شيخ مرشد يتصدر للمشيخة أن يجعل نفسه خادماً للفقراء والمساكين، وكان سيدي الشيخ رضي الله عنه معروفاً بتواضعه للفقراء وكان يجلس معهم ويطاعمهم ويتجنب مجالسة الأغنياء والكبراء والأمراء والوزراء إلا إذا أراد نصحًا لهم وهذا معنى قول الشيخ:- (ويخضع للمسكين بالقول والفعل).

٥. أن يكون قد ناجحاً في تربية المريدين وتزكية نفوسهم، ولن يكون له هذا إلا إذا كان قد زكى نفسه قبل ذلك على يد شيخ خبير بارع، وأن يكون قد أُذِنَ له بالإرشاد والمشيخة من قبل شيخه وفق سند متصل وهذا معنى قول الشيخ:- (يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي).

*- جاء في كتاب قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر ص(١٣):- ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في بيان صفة الشيخ المرشد الكامل، لا يجوز لشيخ أن يجلس على سجادة النهاية ويتقلد بسيف العناية حتى يكمل فيه اثنتا عشرة خصلة:-

• اثنتان من صفات الله تعالى وهما أن يكون الشيخ ستاراً غفاراً.

• واثنتان من صفات النبي ﷺ وهما أن يكون شفيقاً رفيقاً.

• واثنتان من صفات أبي بكر رضي الله عنه وهما أن يكون صادقاً متصدقاً.

• واثنتان من صفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهما أن يكون أَمَّاراً نَهَّاءً.

• واثنتان من صفات عثمان بن عفان رضي الله عنه وهما أن يكون طَعَّاماً للطعام، ومصلياً بالليل والناس نيام.

• واثنتان من صفات علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهما أن يكون عالماً شجاعاً.

*- وقد ورد في كتاب {الجنيّ الداني في مناقب القطب الجيلاني} للبرزنجي:- أن الشيخ رضي الله عنه كان يقول:- لا يصلح لإرشاد الناس إلا من توفرت فيه ثلاث صفات:-

• علم العلمـــاء.

• حكمة الحكماء.

• سياسة الملـوك.

*- أخي السالك:- أعتقد أنه فيما ذكرنا وأوردنا عن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في صفات الشيخ المرشد ما يكون حجة على كل سالك منا، وعلى كل شيخ مرشد يتصدر للإرشاد، وقد جمع رضي الله عنه أعظم الصفات وأحسنها التي ينبغي لكل شيخ أن يتحلى بها، وكلها مأخوذة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله الكريم صلى اله عليه وسلم، وقد وردت عنه آثار كثيرة في صفات الشيخ اكتفينا بهذا القدر منها فرضي الله عنه وأرضاه وأمدنا بمدده وأفاض علينا من بركته.

*- وقال صلى الله ﷺ:-" مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك أما أن يحذيك وأما أن تبتاع منه وأما أن تجد منه ريحا طبية، ونافخ الكير أما أن يحرق ثيابك وأما أن تشم منه رائحة كريهة "

*- ومن هنا كان طلب المرشد واجبًا على المؤمن، لأنه يحمل المسك، وهو المعلم الذى يؤثر في النفوس، ويجد المؤمن رائحته في نفسه فيهش له القلب ويبش، ويشتاق المؤمن إلى الجمالات والكمالات الحقيقية من معاني الدين الشريف، وهي الأمور التي تتجدد بها الإيمان، من الحب في الله والبغض في الله، والثقة بالله، والتوكل على الله، والتفويض لله، والصبر والرضى، والزهد والورع، والايثار والبر والإحسان، والعفو والمسامحة، والصلة والمودة، والمروءة والنجدة والشجاعة، والبعد عن محارم الله وعن كل ما يكرهه الله ورسوله ظاهرًا وباطنًا، حتى يكون عبدًا قائمًا لله عزَّ وجلَّ بما يحبه ويرضاه، في كل وقت من أوقاته، بل في كل نفس من أنفاسه.

*- وهذا لا يكون إلا بصحبة العارف بالله، الخبير بأمراض النفوس وكيفية علاجها، لأنه يستخرج الشفاء من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وقال الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه:- " اللهم لا تُخْلِ الأرض من قائم لك بحجة، إما ظاهرًا مشهورًا، أو باطنًا مستورًا، لئلا تبطل حجج الله وبيناته "

*- وقال أيضا رضى الله عنه:-

فلا تصحبن إلا تقيًّا مهذبـــــًا عفيفًا زكيًّا منجزًا للمواعـــــــــــد

*- والمرشد المطلوب من أجل الترقي في المقامات، والرفعة إلى أعلى الدرجات، لأن المقامات غيب خفي، والمرشد ينزل بالسالك فيها على قدر قواه الروحانية من غير إرهاق ولا إجحاف، قال تعالى:- { وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝ }،(الكهف:-٧٣).

*- وكان ذلك على لسان سيدنا موسى للخضر عليهما السلام أثناء صحبتهما، وقال تعالى:- { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ }،(الكهف:-٢٧).

*- وكان ذلك على سيدنا شعيب لسيدنا موسى عليهما السلام، وعندما طلب منه أن يعمل أجيرًا ثماني سنوات، وأن يتمها من عنده عشرًا، وذلك في مقابل مهر ابنته التي زوجها له.

*- وتلك هي شروط الصحبة في الله ورسوله ﷺ التي بينها القرآن الشريف لنا حتى تكون نبراسًا يضئ لنا في كل زمان ومكان.

*- ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أئمة الهداة والعارفين والمرشدين، رضى الله تعالى عنهم أجمعين، فهم في الذروة من كل مجد وسناء، ومن كل خلق كريم وصفاء، ولقد أفلح القائل:-

قم للمعلم وَفِّهِ التبجيـــــــــــــلا كاد المعلم أن يكون رســـــــــــولا

أرأيت أفضل أو أجل من الـــــــذى يبنى وينشئ أنفاسًا وعقـــــــــــولا

*- وقال الإمام علي عليه السلام:-

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنســـــــــان

ولله در القائل:-

أُقَدِّمُ أستاذي على حقِّ والـــــــدي وإنْ كانَ لي من والدي النسبُ والشرف

فذاكَ مربي الروحِ والروحُ جوهـــــرٌ وهذا مربي الجسمِ والجسمُ منْ صــدف

*- ويقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:-

هَذِّبِ النفسَ إنْ رُمْتَ الوصـــــولَ غيرَ هذا عندنا علمُ الفضـــــــــول

حَصِّلِ العلمَ بعزمٍ صـــــــــادقٍ لا تكنْ في العلمِ كسلًانا ملـــــــــول

عَلِّمِ النفسِ بتوحيدِ العلـــــــــي من بيان الآي عنِ الفردِ قـــــــــؤول

واصطفى الرؤوف الرحيم اسعى إلى من يزكي النفس عنه لا تحـــــــــول

حَصِّلِ الأحكامَ بالقدرِ الـــــــذي يقتضيهِ الوقتُ لا قالَ يقـــــــــــول

*- فالمرشد يكشف لنا عن أسرار هذه الأحكام وحكمتها، من هذا العرض السريع، ينكشف لك يا أخي السائل، ضرورة التعرف على المرشد الكامل، ومجاهدة النفس في صحبته، وإن كان معنا وبيننا العلماء الحافظون لأحكام الشريعة، والمفتون لنا في مشكلاتنا، إلا أن المرشد يكشف لنا عن أسرار هذه الأحكام وحكمتها، ويعرف أمراض النفوس وكيفية علاجها، ولأن حاله يشرق على النفوس فيزكيها، وعلى القلوب فيطهرها، وعلى الأرواح فيرقيها، وعلى الجوارح فتقشعر من خشية الله وتلين إلى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإن الحكمة العالية تتراءى لنا من خلال أحاديثه، تهدي العقول والأفكار إلى سواء السبيل

والمؤمن الطالب للوصول إلى رضوان الله الأكبر ومعية رسوله ﷺ، فيجب عليه أن يلازم المرشد رضي الله عنه بقدر استطاعته، حتى يعيش في دائرة الحياة الحقيقية التي دعانا الله عزَّ وجلَّ إليها بقوله:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }،(الأنفال:-٢٤).

*- فإن انتقل المرشد إلى الحياة البرزخية، صاحب المريد أشبه الناس بأعماله وأقواله، وأخلاقه وآدابه، وسيرته حتى لا يحرم المؤمن صحبة المرشد في صورة من صوره القريبة منه في المعاني والحقائق، وذلك معنى قول الله عزَّ وجلَّ على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام:- { وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}،(الشعراء:-٨٤).

*- أي إنسانًا من أهل الصدق في أعماله وأقواله، وأحواله، بحيث يكون وارثًا لما أكرمتني به من النبوة والعلم والحكمة، فيكون هذا الإنسان الذى ورثني في ذلك، امتدادًا لعمري الكوني لحياتي العلمية والعملية، وكأنني بذلك أعيش وأعمل الخير، ولي ثواب ذلك وأجره من غير أن ينقص من أجر الوارث شيء، وقال ﷺ:- { من سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا }.

*- وطلب المرشد وصحبته، صارت أمرًا لازمًا للمؤمن، يذكرنا به القرآن الكريم في قول الله عزَّ وجلَّ:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }،(التوبة:-١١٩).

*- والمتدبر لهذه الآية الشريفة يرى أن الله عزَّ وجلَّ يأمر فيها المؤمن بأمرين:- الأمر الأول هو:- تقوى الله عزَّ وجلَّ، والأمر الثاني هو:- أن يكون المؤمن مع الصادقين حيث يكونوا، وكون الأمر الثاني مترتب على الأمر الأول، وهو تقوى الله ويعطى أهمية بالغة للأمر الثاني، وهو ضرورة البحث عن الصادقين الذين صدقوا مع الله ورسوله ﷺ، وضرورة صحبتهم وملازمتهم، حتى يعيش المؤمن في دائرة الصدق والصادقين والصديقين، فلا يجد المؤمن فراغًا من وقته يلعب به الشيطان في اللهو والهزل، والبعد عن الله ورسوله ﷺ، فيضيع وقته، وهو أغلى شيء عنده، فإنه بفقده يفقد نفسه وحياته وكل شيء، ولا

يمكن عودة ما مضى من الوقت، ولا إدراك ما فاته فيه، فإن لكل وقت واجبًا مخصوصًا، وحقًّا معينًا، قد فات بفواته، وضاع بضياعه.

*- وصحبة الرجال تجعل الإنسان منهم، وعلى الأقل يكون من أهل معيتهم، كما قال ﷺ:- " هم القوم لا يشقى بهم جليسهم "، ولله در القائل:-

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فـــــــــلاح

فكل من تشبه بهم ينال من فضلهم الذى ينعمون فيه، وكذلك صحبتهم تحفظ الإنسان وتصونه من المعصية وأسبابها لأنهم حصونُ أمنِ العارفينَ بالله ، فهم يتولونه بالرعاية والنظر والمتابعة، قال تعالى:- { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا }،(المائدة:-٥٥)، فولاية الله للمؤمن التفضل عليه بسابقة الحسنى أزلًا، وعنايته به أبدًا، وولاية رسول الله ﷺ للمؤمن إخراجه إياه من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى:- {رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}،(الطلاق:-١١).

*- وولاية العارفين بالله للمؤمن أمرهم له بالمعروف، ونهيهم له عن المنكر، بالأسلوب الذى يجعله يعشق المعروف ويسارع إلى عمله، ويبغض المنكر ويفرُّ من الوقوع فيه، قال الله تعالى:- { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }،(التوبة:-٧١).

*- فكلما هَمَّتْ نفسُ المؤمن بمعصية أو بمكروه، وجد من يذكره وينبهه، ويعيد إليه رشده وصوابه، لأنه في دائرة ولاية العارف بالله تعالى ورعايته، وكل راع مسئول عن رعيته، وكذلك يكرم بالمعارف والعلوم التي تكشف عنه سحب الجهالة والغفلة والبعد عن رضوان الله ورسوله ﷺ، وهناك كثير من الآيات القرآنية التي تحث المؤمن على الصبر في صحبة العارفين والتأسي بهم، قال الله تعالى:- { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ }،

(الكهف:-٢٨)، وقال سبحانه على لسان مؤمن آل فرعون:- { وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ}،(غافر:-٣٨)، وقال الله تعالى:- { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ }،(لقمان:-١٥).

*- وقال ﷺ :- " اذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتًا وزهدًا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة " والمتأمل في أحوال العارفين بالله تعالى ورسوله ﷺ، يجد أنهم أمناء الله ورسوله على دين الله ورسوله، وخلفاء الله ورسوله على عباد الله، والحريصون على خير الناس كلهم، والمجاهدون في سبيل إيصال هذا الخير لعباد الله، متخذين في سبيل ذلك كل الوسائل والحيل، أملًا في نجاة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وقد استودع الله الرحمة والحلم في قلوبهم، وجعل الإخلاص والصفاء والطهر من شيمهم:- كما قال الله تعالى:- { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }،(الحشر:-٩)، ومعنى { وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا } يعنى أن صدورهم ليس فيها حاجة ورغبة إلى شيء من متاع الدنيا وَنِعَمِهَا، التي أَكْرَمَ اللهُ بها إخوانهم المهاجرين، فلا تستشرف نفوسهم، ولا تتطلع إلى شيء مما أعطاه الله ورسوله لإخوانهم المهاجرين، وإن صدورهم قد ملئت بالرضا عن الله ورسوله ﷺ، وعن إخوانهم الذين آتاهم الله ورسوله من فضله، وذلك ميزان دقيق جدًّا يزن الله به أحوال الرجال العارفين بالله تعالى، فإن العبد الذى يجد في نفسه غضاضةً، أو ألمًا، أو كراهيةً، أو استياءً من رزق ماديٍّ أو روحيٍّ ساقه الله لأحد من إخوانه المؤمنين، فلن يشم رائحة المعرفة بالله عزَّ وجلَّ، لأنها حَظْرٌ على هذه الصدور المتبرمة بفعل الله وعطاء الله تبارك وتعالى.

*- وإنما هذه أوصاف لمن يحبه الله من عباده المقربين، أينما كانوا وكيفما كانوا، وفي أي زمان كانوا، لأن العبرة في كلام الله ورسوله ﷺ إنما تكون بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن الله يضع مبادئ عامة، وقواعد كلية، ونظامًا شاملًا يسير عليه المسلمون إلى يوم القيامة، من هذا العرض السريع، ينكشف لك يا أخي السائل ضرورة التعرف على المرشد الكامل، ومجاهدة النفس في صحبته، وإن كان معنا وبيننا العلماء الحافظون لأحكام الشريعة، والمفتون لنا في مشكلاتنا، إلا أن المرشد يكشف لنا عن

أسرار هذه الأحكام وحكمتها، ويعرف أمراض النفوس وكيفية علاجها، ولأن حاله يشرق على النفوس فيزكيها، وعلى القلوب فيطهرها، وعلى الأرواح فيرقيها، وعلى الجوارح فتقشعر من خشية الله وتلين إلى طاعة الله ورسوله ﷺ، وإن الحكمة العالية تتراءى لنا من خلال أحاديثه، تهدي العقول والأفكار إلى سواء السبيل، وفقنا الله جميعًا لمعرفة المرشد الكامل، لأنه صورة رسول الله ﷺ التي تعيش معنا وبيننا، ورزقنا الله تعالى جميعًا صحبته ومحبته، آمين وصلى اللهم على سيدنا محمدٍ المُمِدِّ بروحانيته أرواحَ الأئمة المهتدين، والأمناء الناصحين، وعلى آله وصحبه وأحبابه أجمعين.

***- السالـــــك فـــي طريـــق الله تبـــارك وتعالـــــــى:-**

*- العبد السالك في طريق الله تبارك وتعالى هو إنسان انكشفت له حقيقة هذه الحياة الدنيا فأيقن بزوالها، وأنه راجع إلى الله تعالى كادح في العودة إليه، فإنه يقطعُ أنفاسَهُ مرورُ الزمنِ في الإسراع إلى لقائه جلَّ شأنه، فاشتدت رغبة هذا الإنسان بل وألحت عليه ضرورة الرجوع إلى الله تعالى في أن يتعرف على الله عزَّ وجلَّ.

*- وأن يطلب الله وحده، وأن يجاهد نفسه في معرفه أخلاق الله وآداب الله وصفات الله وأسماء الله، وبعد معرفته لله سبحانه وتعالى وتحققه بكمال رأفته وشفقته وعظيم حنانه ورحمته جَلَّ جلاله بالإنسان، فعند ذلك يحصل له وجدان وشوق وإحساس قوي يبعث في نفسه الوله والاحتراق والعشق الشديد إلى التخلق بمعاني أخلاق الله وصفاته الكريمة وأسمائه الحميدة، لأن الله سبحانه وتعالى يحب في العبد المؤمن أخلاقه وصفاته كالإحسان والكرم والشفقة والرحمة والعطف والمودة والحنان والنصح والإرشاد والصبر والرضا.

*- والعبد السالك يسير على الصراط المستقيم يقطع المسافات والمراحل إلى معرفة الله وحب الله ومزج كل ما في الوسع في ترك صفات البهائم وأخلاق الشياطين، حتي يتحقق الإنسان بإنسانيته، وأنَّ له مركزًا خاصًّا بين العوالم، ومكانة رفيعة فوق كل المخلوقات، وهو مقام الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم.

*- وكذلك يعتقد الإنسان أنَّ الله قد ابتلاه بأخلاق البهائم وأوصاف الشياطين ليحرز شرف الجهاد الدائم في ذات الله تعالى، ويقوم له بجهاده مقامًا لا يصل إليه ملك مقرب، وأخلاق البهائم هي شهوة الأكل والشرب والنكاح والراحة وغيرها من صفات البهائم الخاصة وهي ''العجماوات'' كالجور والتعدي، وهذه الصفات وان كان يشترك الإنسان فيها مع البهائم، إلَّا الإنسان المؤمن جاهد نفسه في تهذيبها وتزكيتها والتوسط والاعتدال فيها، فأخذ من هذه الصفات ما هو ضروري لحياته ولبقاء نوعه الإنساني، فيكون أكله ضرورة، وشربه ضرورة، ونومه ضرورة، ونكاحه ضرورة، فلا تكون هذه الأشياء مقصودةً لذاتها، ولا مطلوبةً لملاءمتها للميول والأهواء، وموافقتها لطبيعة النفس، ولكن يأخذ المؤمن منها بقدر حاجته بحيث يتفرغ لمهمته العظمي، ورسالته الكبرى التي جاء من أجلها، وهي معرفة الله وعبادته وحبه سبحانه وتعالى والتقرب إليه ﷻ، والمسارعة فيما يحبه ويرضاه، والبعد عما يبغضه الله تعالى ويكرهه' والقيام بعمارة هذه الحياة بالخير والعدل والتسامح والصفاء والحب والزراعة والتجارة والصناعة وغيرها.

*- والعبد السالك لابد أن يتخلى عن الفطر التي فطر الإنسان عليها، ويبتعد عن أخلاق الشياطين كالبعد عن الكبر والحسد والظلم والفساد والعداوة والشحناء والبغضاء والكراهية والأحقاد والأضغان والبغي والتفريق بين الناس وغير ذلك من صفات الشياطين التي ابتلى بها الإنسان.

*- والعبد السالك قسم أوقاته وقتًا للعبادة، ووقتًا للعمل، ووقتًا للراحة وأكله وشربه وشهوته في الحلال، ووقتًا لطلب العلم النافع الذى تزكو به نفسه، ووقتًا يتفكر فيه في كل مخلوقات الله.

*- والعبد السالك أعطى كل ذي حق حقه، فيعطي للجسم حقه، وللأهل والصديق حقه، وللمسلم والكافر حقه، ومع ذلك كله أخلص النية لله تعالى، وصدق العزيمة في نيل رضوان الله عزَّ وجلَّ، وجدد التوبة في كل مرحلة من المراحل حتي ينتهي به الحال إلى تغيير أحواله، فيحصل له الشوق والوله والحنين إلى الله تعالى وذلك لا يكون إلا بصحبه مرشد وعالم عامل وذلك هو نهاية السالكين.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***- العبـــــــــــد الواصـــــــــــــل:-**

فالواصل إلى الله عزَّ وجلَّ:- هو المجاهد بكل ما فيه من الغرائز والقوى والفطر والعادات والصفات البشرية والحيوانية والإبليسية، وإنما يفرح فرحًا شديدًا بل ويتلذذ بما فاته من الأمور التي تعين هذه القوى على تحصيل متعتها وشهواتها، وما يناسبها من زهرة هذه الحياة الدنيا وبهجتها، لأن الواصل في مقام يُوَجِّهُ فيه كل عزمه وهمه وإرادته وكل خواطره وملكاته وقواه جميعها في الوصول إلى مقصوده والحصول على مطلوبه، وهي تبديل أخلاقه وأحوله بأخلاق الله تعالى وصفاته وآداب الله ورسوله ﷺ، حتي يكون عبدًا نورانيًّا قرآنيًّا طاهرًا ذكيًّا يمنح الخير ويفيد البر والنفع على أهله ورفاقه وعلى كل المسلمين من غير أن يطلب منهم أجرًا ولا شكرًا، وإنما يرجو بذلك رضا الله سبحانه وتعالى ورضا رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم.

*- والواصل بغيته ومقصوده محبة الله ورضوانه عزَّ وجلَّ، وإذا نال شيئًا من متع الحياة الدنيا ولذتها وشهواتها بل وطيبها ومسراتها مما هو مباح شرعًا ولا إثم في نواله من مأكل شهيٍّ، ومشربٍ هنيٍّ، وفراشٍ ناعمٍ وطيٍّ، قام هذا العبد الموصول بالله عزَّ وجلَّ فبذل كل ذلك وتركه من أجل الله ورسوله ﷺ برضىً وسرورٍ وانشراحِ صدرٍ، وطيبِ خاطرٍ، وآثر به وهو راضٍ، فيعطيه الله عوضًا لا حدَّ ولا عدَّ له، ويمنحه نورًا في نفسه، وفى جميع قواه الحسية والروحية يرى به نعيم الله سبحانه وتعالى، ويكون العبد الواصل الذى تَشَبَّهَ بمعاني الأخلاق، وجاهد نفسه في التحلي بها حتى تنموَ المشابهةُ بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدوم بها البسط والسرور في معية العزيز الغفور.

*- والواصلون قد اهتدت فطرتهم ونمت طبيعتهم حتي أحبوا من استوحش من غيرهم، وانتقلوا من سجن العادات إلى جمال العبادات والقربان وفسيح الرياضات والسياحات، فاستقامت فطرتهم على هذه الأحوال واتحدت جميع قواهم وعناصرهم، وتوحدت كل هذه الحقائق في طلب الله سبحانه وتعالى، وطلب حبه ورضاه، واعتادوا على حب كل ما يخالف هواهم وحظهم الفاني، وتعودوا على الرغبة في ما يؤلمهم وفقًا بين الأضاد، وجمعًا بين الأخلاط المتعادية في نفوسهم، وصهروا كل هذه الحقائق المتنافرة في بوتقة

الجهاد الأكبر الذى يقهر كل معاند ومخالف على الذل والانقياد لله ورسوله ﷺ، حتي تصطلح هذه القوى مع النفس الملكية، والروح القدسية على موالاة الله ورسوله ﷺ، ومعاداة ومجاهدة أعداء الله ورسوله ﷺ في نفس الإنسان وفى أهله وإخوانه والناس أجمعين.

*- فكل محبوب لله ورسوله ﷺ فهو حبيبهم وأليفهم ومرغوبهم، وكل مكروه لله ورسوله ﷺ فهو عدوهم حتى وإن كانت نفوسهم التي بين جنبيهم، أو أولادهم أو وزوجاتهم، أو حتى أقرب الأقربين إليهم، وبذلك تتم فطرتهم وتستقيم طبيعتهم ويتحقق وصولهم إلى الله تعالى ورسوله المصطفى ﷺ.

*- الواصلون رضي الله عنهم تركوا الضروريات التي بها حياة أجسادهم في هذا الكون شوقًا إلى الله تعالى وإلى رسوله المصطفى ﷺ، وهم يعتقدون أنهم باعوا رخيصًا فانيًا واشتروا أغلى وأثمن من كل ما تتصوره العقول، وتتخيله الأوهام، فجهاد الواصلين جهاد من نوع خاص، لأنه تراءى للواصل أنوار نفسه، وجمالات نفسه، وكمالات نفسه، فيحسُّ أنه اتصل بعالم الغيب الأعلى، ويأنس بهذه المشاهدة، ويظن أنه غايه الوصول، ويقف عند هذا الحال ويحجب عن باقي المقامات التي لا نهاية لها عند الله تبارك وتعالى، لذلك يجاهد نفسه ليترقى من مشهدٍ إلى مشهدٍ، ومن حالٍ إلى حالٍ، ومن معنىً إلى معنىً، إلى ما شاء الله، فهذا الجهاد يكون بمعونة الله تعالى، ومدد الله عزَّ وجلَّ يقوى به العبد على استمرار هذا الجهاد، إنه والله دائم الجهاد في كل أنفاسه وفى كل حركاته وسكناته، في نومه، وفى يقظته، وفى حِلِّهِ وفى ترحاله، مع أصحابه ومع أولاده وزوجته، في عمله وفي كل نفس يتنفسه، بل وفي كل طرفة عين، فهو في جهاد مستمر متصل، له جهادٌ خاصٌّ، وذلك هو نهاية الواصلين وبداية المقربين.

***- العبـــــــــــــدُ المُقَـــــــــــــــــرَّبُ:-**

*- فالعبدُ المُقَرَّبُ لا يَرَى له جهادًا ولا يشهدُ إلا فضل الله عليه، قد أكرمه الله به، ويوقن بأن ما أقامه الله فيه من المقامات الكريمة والأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة والمجاهدات الفادحة إنما هي دلائل الحب من الله تعالى، وعلامات الإقبال من الله عزَّ وجلَّ عليه، والقبول والرضا منه عنه، فهو يحمد الله على ما أولاه.

*- وأهل القرب رضي الله عنهم يعملون ويجاهدون في ذات الله تعالى، وهم في قربهم وحركتهم وسكونهم لله سبحانه وتعالى لا يطلبون بعملهم هذا القرب من الله تعالى، وإنما يعبدون الله سبحانه وتعالى مخلصين له الدين.

*- والمقربون رضي الله عنهم في مقام خطير، ومركز كبير لأنهم يَحْيَوْنَ بين مشاهد التوحيد العلية وبين أسرار الحكمة الروحانية، وهذا من أجلِّ المنازل وأكبر المراتب، وهم يخشون الله في قربهم ويرهبون جنابه جَلَّ جلاله، وقد وهب الله الإنسان الحياة والرزق والسمع والبصر والشم والذوق، وكم من عامل حُرِمَ القبول، وكم من سالك رُدَّ دونَ الوصولِ، وكم من طالبِ قُرْبٍ لم ينلْ غيرَ الإبعاد، وأن الفضل بيد الله ولا حول ولا قوه إلا بالله.

*- وقد يخاف أهل القرب من البعد وهم في قربهم، ومعني ذلك أنهم يخافون أن يعرض الله تعالى عنهم ولا يُقْبِلُ بوجهه الكريم عليهم لأدني حركةٍ تهمسُ بها قلوبهم، أو أقلِّ خاطرٍ يخطر عليها، وهم في هذه الحظوة القدسية، قال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه:- { لا أمان لمكر الله ولو كانت إحدي رجلي في الجنة }، وقال الله عزَّ وجلَّ:- { أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ }، (الأعراف:-٩٩)، وأوجب على طالب الوصول أن يبحث عن العبد المتصل بالله الموصول بالله ورسوله ﷺ وهو شاطئُ الأمانِ، وجوديُّ السلامِ والاطمئنانِ.

*- وإذا أراد الله بعبد خيرًا أكرمه بالعبد الموصول، ووفقه إليه وعرفه به، وَدَلَّهُ عليه، ورزقه صدق اتباعه لأنه خبير بمقامات الوصول، ومراتب القرب من الله عزَّ وجلَّ، كما قال الله سبحانه وتعالى:- { الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا }،(الفرقان:-٥٩).

***- عبـــــــــــــادة المقربيـــــــــــــن:-**

*- حبيبي وقرَّة عيني وانشراح صدري قال الحبيب المصطفى سيدنا محمد رسول الله ﷺ في الحديث الجامع المانع الذى يتكون من ثلاث كلمات فقط قدرها فوق موازين جميع الجبال:- {كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقة}، فتعالوْا معي ننظر إلى حكمة هذا النبي الأُمي العربي الأبطحي المكي القرشي الهاشمي، الذي جعله مولاه معجزة

للعلماء والمتعلمين من بدء الدنيا إلى يوم الدين؛ لقد تلا ﷺ على أصحابه – وهو يعلم مقدار شغفهم بحب الله ومبلغ تعلقهم بالقرب من حضرة الله – خطاب الله في الحديث القدسي الذى يبين فيه الله الطريق المستقيم السوي لكل تقي يريد أن ينال محبة الله جلَّ في علاه، هذا الخطاب يقول فيه الله تبارك وتعالى لأولى الألباب:– { وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ}.

*– سمع الأصحاب الكرام هذا الخطاب – وهم كما ذكرت يريدون أن ينالوا محبة العليِّ الوهاب فسارعوا في نوافل العبادات، فمنهم من سارع في قيام الليل، ومنهم من ابتدر صيام الأيام المتتالية من النهار، ومنهم من واصل تلاوة القرآن ليل نهار حتى كان بعضهم يختمه في ثلاث، وبعضهم يختمه في كل يوم وليلة مرة، وبعضهم سارع في كثرة الأذكار.

*– فنظر النبي المصطفى المختار ﷺ بعين بصيرته النورانية الربانية، وفطنته النبوية المصطفوية، ورأى أن أعمالهم الإيمانية الجليلة التي يقومون بها ما هي إلا طلبًا للقرب من الله تبارك وتعالى، وحرصًا على بلوغ محبته، ونيل رضاه، فأحب أن يلفت أنظارهم وتوجيه أبصارهم أيضًا إلى الحرص والمداومة على نفع إخوانهم، وبذل أقصى الجهد وبقدر الاستطاعة في ذلك، فهذا العمل أيضًا يعتبر من أجلِّ القربات، وأعظم الطاعات عند قيوم الأرض والسماوات، بل هي من أجلِّ وأعظمِ النوافل بعد الفرائض على الإطلاق، وقال لهم ﷺ فيما روته كتب السنة:– {لَيْسَ مِنْ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِي كُل يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ قِيلَ:– يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمِنْ أَيْنَ لَنَا صَدَقَةٌ؟ فَقَالَ:– إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ، التَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ وَتَهْدِي الأَعْمَىٰ، وَتَدُلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَىٰ بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ صَدَقَةٌ، وَهَدْيُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَّة صَدَقَةٌ}.

*- فعدَّد ﷺ أبواب العبادات للمؤمنين، بل جعل كل أعمال المؤمنين إن كانت لأنفسهم أو كان لغيرهم إذا سبقتها نيَّةٌ طيّبةٌ لله فهي عبادةٌ يتقرب بها المرء إلى مولاه، وقد بَيَّنَ فضيلة شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سره، وطيب الله ثراه، هذا المعنى البديع العظيم الجليل حيث نقل لنا خطاب الحق تبارك وتعالى في حديث التجلي على قلبه فقال:- { واجعل عبادتك بعد الفرض نفع إخوانك، وأشركهم في فضل رزقك فذا مصداق إيمانك، وبالنفس والمال جاهد دون أوطانك، أجزل لك الأجر من فضلي بإحسانك، ما دام قصدك وجه الحق في ذلك، فإنني أنا الحق أنا المقسط فاطلبني تجدني }.

*- ما أعظمك يا شيخنا الجليل، وما أعظم كلامك، وما أجلَّ قدرك، وما أعلى مكانتك، قُرْبٌ من الله، أُنْسٌ بالله، طَاعَةٌ لله ورسوله، دَلَالَةٌ للخلق على الله عزَّ وجلَّ، إرشادٌ لهم على ما يرضي الله ويرضي رسوله المصطفى ﷺ، وعلى كل ما يحبه الله ورسوله، وعلى كل ما يقرب إلى الله تعالى من قول أو فعل أو عمل، قَدَّسَ الله سِرَّكَ يا شيخنا الجليل، ورزقنا الأدب بين يديك، والتسليم التام لك ولتوجيهاتك الطيبة النورانية المباركة التي تدلنا على الله ورسوله ﷺ، فنعم الشيخ شيخنا ونعم المربي إمامنا، وإن أعظم ما تقرب به المتقربون إلى الله عزَّ وجلَّ هو التقرب بالفرائض، مصداقًا لقول الله تبارك وتعالى في الحديث القُدُسِيّ الجليل:- (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه).

*- فَأَحَبُّ ما يتقرب به المتقربون إلى الله عزَّ وجلَّ:- {هو التقرب بالفرائض}، وذلك مصداقًا لقول سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:- {واعلم يا عمر أن لله تعالى فرضًا بالليل لا يقبله بالنهار، وأن لله تعالى فرضًا بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا تُقْبَلُ نافلةٌ حتى تُؤَدَّى فريضةٌ}.

*- ثم يأتي بعد ذلك التقرب إلى الله تعالى بالنوافل، وذلك بعد إتمام أداء الفرائض كاملة، حتى ينال العبد درجة المحبوبية، ويحظى بدرجة القرب من رب البرية، والنوافل كثيرة وكثيرة لا حصر لها، لأنها من أعمال الخير التي ندب لها الشارع الحكيم مصداقًا لقوله تعالى:- { وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}،

(الحج:-٧٧)، وأعلى هذه النوافل قاطبة، {هو التقرب إلى الله تعالى بنفع الإخوان وخدمتهم} والقيام بواجباتهم اسمع قول فضيلة شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سره:- {وضع نفسك تحت الأقدام، تحفك عناية القوم وترجع نقيًّا سالمًا من الآثام}.

*- نعم والله إن التقرب إلى الله تعالى بما ينفع الإخوان، ويعود عليهم بالنفع والفائدة، من أَجَلِّ القربات، وأعظمِ الدرجات عند قيوم الأرض والسماوات، اسمع قول رسول الله ﷺ:- {من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق، كل خندق أبعد مما بين الخافقين}، ولقوله ﷺ:- {ومن مشى مع أخيه في حاجة فناصحه في الله؛ جعل الله بينه وبين النار يوم القيامة سبعة خنادق، [بين الخندق] والخندق كما بين السماء والأرض}، وقوله ﷺ:- {ولأنْ يمشيَ أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته؛ أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين}، وأشارَ بِأُصْبَعَيْهِ.

*- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:- {أن رجلًا جاء إلى النبي فقال:- يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله:- أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشيَ مع أخي في حاجة أحبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة) شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له، أثبت الله قدمه يوم تَزِلُّ الأقدام، وإن سوءَ الخلقِ يُفْسِدُ العملَ، كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العسلَ}.

*- من أجل هذا كله كان لزامًا علينا وحريًّا بنا وواجبًا علينا، أن نتفانى في خدمة إخواننا، وأن نحفظ حرمتهم، وأن نتأدب في مجالسهم، وأن نؤثرهم على أنفسنا بقدر الاستطاعة، حتى أنه من خرج في كل صباح يسعى ليُحصِّل قوته وقوت أولاده، يقول فيه صلوات ربى وتسليماته عليه في حديث آخر:- {إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ}، فنفقته على نفسه صدقة، وكذا على أهله وهى

واجبة عليه لا مفرَّ ولكنه إذا احتسبها عند الله وأداها بنفس طيبة كانت صدقة، وكذا كل عمل من الأعمال التي يقوم بها المسلم ابتغاء مرضاة الله تعالى، وطلبًا لقربه عزَّ وجلَّ، فإذا رفع الأذى من طريق المسلمين فتلكمُ عبادة، وإذا أرشد ضالاً ولو إلى أين الطريق أي لو كان يريد أن يصل إلى عنوان ولا يعلم الشارع الموصِّل إليه فأرشده فهذا له عبادة، وإذا قاد أعمى كذلك عبادة عظيمة، كما أوجب على المسلم أيضًا أن يتعلَّم اللغات الأجنبية لتكون له عبادة من العبادات إن قصد بذلك وجه الله تبارك وتعالى، فمن ترجم الكلام من العربية – والعكس– لأى لغة أعجمية (أي أجنبية بلغتنا اليوم) كانت هذه الترجمة له صدقة، فما بالك لو علَّمه العربية لغة كتاب الله جلَّ في علاه، بل زاد النبي في الأُلفة بين المسلمين فجعل حركاتك وكلماتك لإخوانك المسلمين عبادة، وكلما نظرت في وجه مؤمن فتبسمت في وجهه:– {تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ}، وإذا لم تتبسم فلا تكشِّر في وجهه أو تعبس عند لقائه، فإذا كلمته بكلمة طيبة عندما تلقاه أو تراه فانظر للأجر:– { الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ}، فإذا زدت قليلاً ومدَّدت يدك لتصافحه نلت أجرًا عظيمًا، وثوابًا جزيلًا كما قال ﷺ:– {إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ أَخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا ذُنُوبَهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ الوَرَقُ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِيْ يَوْمِ رِيْحٍ عَاصِفٍ وَإِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوْبَهُمَا مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ}.

*– فجعل أعظم العبادات وأكبر النوافل التي يتقرب بها العبد إلى رب البريات هي النوافل التي تتعلق بعباد الله المسلمين، وأرجو أن تدققوا الفهم هنا جيدًا، ليست نوافل العبادات (من الصلاة والصيام والزكاة والحج وكثرة الذكر) فقط هي التي تقربك إلى الله عزَّ وجلَّ، ولكنها بالإضافة إلى ذلك '' هي النوافل التي تنفع المؤمنين والمؤمنات''، النوافل التي تصلح المجتمعات، النوافل التي تيسر الأمور للفقراء والمساكين والبائسين وهي والله أعظمُ قدرًا، وأرفع درجة، وأجلُّ قربةً عند الله تعالى، فهل اتضح الأمر بعد؟.

*– مَن الذى يريد أن يكون مع رسول الله ﷺ في الجنة، وفي منزلته ودرجته؟ وما العمل الموصل إلى ذلك؟ يقول لنا ﷺ في ذلك:– {السَّاعي على الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ كالمُجَاهِدِ في سَبِيلِ الله، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ الْنَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَكُونُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ}، أرأيتم هذه العبادة من يسعى على أرملة أو مسكين تكون

أيامه كلها مكتوبة عند الله صياماً ولياليه كلها عند الله محتسبة قياماً، يا الله بل ونهاره وليله أيضًا كالمجاهد في سبيل الله عزَّ وجلَّ على الدوام! وهل هذا فقط ؟ لا والله!! بل ثمَّ في الآخرة يُرزق برفقة وصحبة النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام في الجنة ماذا نريد بعد هذا، ألم يقل أيضًا ﷺ:- { أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه يعني السبابة والوسطى }، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، فأي خير والله بعد هذا كله!!.

*- بل ويؤكد هذا المعنى مرة أخرى للنساء لِمَنْ تَقِفْ نَفْسَهَا على أولادها، امرأةٌ تَأَيَّمَتْ على أولادها ولم تتزوج لتربيَ أولادها فهي مع النبي ﷺ في الجنة.

*- ويضرب لأصحابه مثالاً عمليّاً في ذلك، فقد كانوا سائرين للجهاد في سبيل الله في إحدى الغزوات وكان بعض الجند صائمين وبعضهم مفطرين، وكان من هديهم وحسن أدبهم ألا يعيبَ الصائمُ على المفطرِ، ولا يرى أنه خيرٌ منه بصيامه، ولا يعيبَ المفطرُ على الصائمِ، ولا يرى أنه خيرٌ منه بعمله أو جهده، ولكنهم كانوا ينظر كل رجل منهم إلى أخيه على أنه أفضل منه، وكان يوماً شديد الحرارة ونزلوا بأرض وأمر النبي ﷺ بإقامة معسكر الجيش في هذا المكان، فذهب الصائمون إلى ركنٍ ركينٍ بحجة أنهم صائمون ومرهقون وقعدوا واستظلوا، وقام المفطرون بدقِّ الأوتاد ونصب الخيام وطهي الطعام وإحضار الماء وكل ما يحتاج إليه المعسكر من خدمات فقال ﷺ:- {ذَهبَ المُفْطِرونَ اليَوْمَ بالأَجْرِ}، لأنهم سعوا في خدمة إخوانهم الَّذين سعوا في خدمة أنفسهم.

*- فالنوافل:- نوافل البر والقربات منها ما تكون للإنسان في نفسه فقط، وهى التي يقول الله عزَّ شأنه فيها:- {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}، ومنها ما هو أغلى وأعلى وأنفعُ وأعزُّ وأنفسُ وأثمنُ وهي خير النوافل والقربات التي ترفع العبد عند مولاه، هي التي فيها نفعٌ للمسلمين وفيها إصلاحٌ لأحوال المؤمنين وفيها رفعةٌ لشأن المجتمعات الإسلامية وإصلاحٌ لشئونها، ولذلك قال الحبيب ﷺ فيمن يسعى للصلح بين المسلمين:- {أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ:- ''إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ''}، الإصلاح بين المسلمين أعظم عند الله في ميزان النوافل من قيام

الليل ومن صيام النهار لماذا؟ لأن هذا العمل عملٌ يحتاجه مجتمع أهل الإيمان مجتمع الذين يقول فيهم النبي العدنان ﷺ:- { تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَىٰ لَه سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ}.

*- وعن أبى هريرة قال:- قال رسول الله ﷺ:- {كلُّ سَلامىٍّ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ الشَّمْسُ قال:- تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةً، وتُعِينُ الرَّجُلَ عَلى دَابَّتِهِ تَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ مَتَاعَهُ عَلَيْهَا صَدَقَة، وقال:- الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وقال:- كُلُّ خطوةٍ يَمْشيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ }.

*- ولأنَّ دينَ الإسلامِ دينُ حياةٍ فقد جعل الله بفضله ومَنِّه وجوده وكرمه كل أعمال الإنسان إذا سبقتها نيَّةٌ صالحةٌ لحضرة الرحمن طاعةً عظمى للديان، طاعةً لا تساويها نوافل العبادات ولا الشكليات التي يتمسك بها من ينتسبون للدين والصلاح في هذا الزمان، إن ديننا هو دين العمل الاجتماعي وهو دين التواصل بين المؤمنين، ودين المودة والتعاطف بين الموحدين، دين يُدخل الرجل الجنة بشهادة المؤمنين له!! كيف ذلك؟ سمعوا أحبتي الكرام ما ورد في الحديث الشريف أنه ﷺ:- {مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرَاً، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ:- وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ:- وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، قَالَ عُمَرُ:- فِدَى لَكَ أَبي وأُمّي مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ:- وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، ومُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقُلْتُ:- وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ}.

*- يواظب أحدنا على الصلاة بالمسجد فإذا شهدنا له فإن الله يوم العرض والحساب يُحضر ملفات أعماله وقد تكون كلها أو بها قبائح لا تعدُّ ولا تحدُّ فيُحضر الله الشهود الذين شهدوا له بالإيمان ويُطلعهم على عمله وملفه فيسألهم سبحانه وهو أعلم بهم:- لِمَ تشهدون لعبدى وهذا عمله؟ فيقولون كما جاء بالخبر:- يا رب أنت الذى علَّمتنا ذلك فيقول ربُّ العزة وأين ذلك؟ فيقولون:- قلت لنا في القرآن:- {وَمَا

شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ}، شهدنا لأننا رأيناه يدخل المسجد ولم تأمرنا أن ننقِّب عن القلوب أو نفتِّش على الأحوال أو نَطَّلع في صحائف الأعمال، لأن ذلك أمر خاص بالواحد المتعال، ولذلك حذَّر النبي ﷺ من كل مَن يصفُ المسلمَ بوصفٍ غيرِ تقيٍّ كأن يقول:- أنت منافق أو يا منافق أو يقول عنه في غيبته إنه منافق أو يقول له:- أنت نصراني أو أنت يهودي، أو كما استسهل الناس في زماننا هذا بقول "يا كافر أو هو كافر" سواء في حضوره أو في غيبته، لذلك قال ﷺ:- {إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ:- يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا }، يصيب نفسه بهذا السبِّ وهذا الشتم وهذا اللعن الذى خصَّ به أخاه لأنه لا يطَّلع على القلوب إلا حضرة الله جلَّ في علاه، ولا يليق بمسلم مهما كان شأنه أن يصف مؤمناً بالنفاق أو يصف مؤمناً بغير ما وصفه به الله من الإسلام والإيمان، وإنما الأمر كما علَّمنا النبي العدنان صلوات ربى وتسليماته عليه:- {إِني لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أُنَقِبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ}، لم يأمرنا أن نفتِّش على السرائر أو ننقِّب في الضمائر وإنما أمرنا أن نحكم على الناس بحسب الظاهر ونشهد لهم بحسب الظاهر، فإذا شهد المؤمنون لرجل بالإيمان وجبت له الجنة، بل إنه قال في الحديث الآخر والذى يفتح باب عموم فعل الخير على مصراعيه فيدخل العبد الجنة بشهادة المؤمنين والمؤمنات أو الناس أو جيرانه كما ورد في الأحاديث الصحيحة، ولذا أمر الله المؤمنين أن يتعارفوا وأن يتآلفوا وأن يتكاتفوا وأن تكون بينهم صلات وقربات على كتاب الله وعلى سُنة رسول الله ﷺ وعلى منهج أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

*- وها نحن نصلي في مساجدنا ببلادنا لكنَّ جُلَّنا أو معظمَنَا لا يعرف الآخر! لماذا ؟ لماذا يا إخواني؟ مع أننا إخوةٌ في الإيمان؟ ما دمنا في محلة واحدة ونجتمع في بيت الله لابد أن نُنَفِّذَ قول الله تعالى:- {إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}، لابد أن نتعارف ونتآلف، ولكن قد تكون حجة البعض لِمَ أتعارف وأنا عندي سكني وعندي أموالي وعندي ما أحتاج إليه، ولا أحتاج إلى أحد، إن لم تحتج إليه في الدنيا فأنت في أَمَسِّ الحاجة إليه في الدار الآخرة، ولو كان فقيراً مسكيناً تحتاج إلى شهادته لتدخل الجنة، ربما تحتاج إلى شفاعته، ولذلك قال الحبيب ﷺ في صحيح سُنته:- ربما تحتاج إلى أخيك

في شفاعة يوم القيامة، فإن للعالِمِ سبعين شفاعة يشفعها في سبعين رجلاً كلهم قد استوجب النار، وكل مؤمن له شفاعة وكذا وكذا من أنواع الشفاعات والمكرمات، بل إن من إكرام الله لنا جماعة المؤمنين أنه ربما أتعرف على رجل ذو وجاهة ومنزلة عند الله تعالى وأنا بعملي القاصر لا أبلغ منزلته، ولكنى تعرفت عليه وتآخيت معه في بيت الله عزَّ وجلَّ، وكما نعلم كلنا أنه من ضمن السبعة الذين يُظلُّهم الله بظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه "رجلان تآخيا في الله اجتمعا على الله وافترقا عليه" لأن أُخوة الإسلام هي الرابطة التي حرص عليها المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهي التي حلَّت مشاكل المسلمين عندما هاجر الفقراء المهاجرون إلى الأنصار أصحاب المدينة الأفضل حالاً أو المؤثرين فَحُلَّتْ مشاكلُهُمْ بالأُخُوَّة بينهم بفعل سيد الأولين والآخرين ﷺ، ونحن كذلك لن تُحلَّ مشاكلنا إلا إذا تآخينا فيما بيننا وتواصلنا في بيت ربنا وفى شوارعنا ومع جيراننا ومع سكان شوارعنا، ووضعنا أيدينا في أيدى بعض، وقد قال الحبيب ﷺ:- {لاَ يَزَالُ اللَّهُ فِي حَاجَةِ العَبْدِ مَا دَامَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ}.

*- وأجاب النبي ﷺ السائل له:- أي الأعمال أفضل؟ فقال له:- {إِدخَالُكَ السُّرُورَ عَلَى مُؤْمِنٍ أَشْبَعْتَ جَوْعَتَهُ أَوْ سَتَرْتَ عَوْرَتَهُ أَوْ قَضَيْتَ لَهُ حَاجَتَهُ}.

*- لذلك أكد فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره، وطيب الله تعالى ثراه على التفاني في خدمة الإخوان بقدر الاستطاعة، بذل أقصى الجهد في ذلك فقال:- '' كن للأعتاب خادمًا والله يجزيك، وبرحمته يُخلك جنته ويدنيك، إنه على ما يشاء قدير، اسهر مع الأعتاب ولا تتطاول عليهم، وكن مؤدبًا حولك حولهم وقوتك قوهم في محبة الله ورسوله، الأعتاب هم إخوانك في الله تعالى كن خادمًا لهم، وتلقَ الجزا ما حالك، واعمل معهم بقوله تعالى:- { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا }،(آل عمران:-١٠٣).

*- ولقد أدرك السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم هذا المعنى العظيم الذي نشده رسول الله ﷺ، وهو أن خدمة الإخوان والتفاني في ذلك أعظم درجة من نوافل جميع العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة.

*- فهذا هو المحدث أمير الأتقياء، العالم الرباني وسيد العلماء في زمانه، عبدالله بن المبارك رضي الله تعالى عنه وأرضاه، العابد الزاهد الذي عنه يُرْوَى الكثيرُ من الأخبار التي تدل على صلاحه وتقواه حتى امتلأت بها كتب الزهد والسلوك، ولنتعرض لبعضٍ مما ذكر عن هذا الولي التقي الكبير في موسم الحج.

*- ومما ذكر عن عبد الله بن المبارك أنه كان ينفق على أصحابه ويجهزهم للحج، وكان إذا أراد الحج من بلده "مَرو" جمع أصحابه وقال من يريد منكم الحج؟، فيأخذ منهم نفقاتهم فيضعها عنده في صندوق، ويقفل عليه ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة، ويطعمهم أطيب الطعام، ثم يشتري لهم من مكة ما يريدون من الهدايا والتحف، ثم يرجع بهم إلى بلده، فإذا وصلوا صنع لهم طعامًا ثم جمعهم عليه، ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم فرد إلى كل واحد نفقته، وكان عبدالله بن المبارك يحج عامًا ويغزو في سبيل الله عامًا.

*- وفي العام الذي أراد فيه الحج، خرج ليلةً ليودع أصحابه قبل سفره، فوجد امرأة في الظلام تنحني على كومة من القمامة تفتش فيها، حتى وجدت دجاجةً ميتةً فأخذتها وانطلقت لتطهوها وتطعمها صغارها، فتعجب ابن المبارك ونادى عليها وقال لها:- ماذا تفعلين يا أمة الله؟ وذكرها بالآية التي يقول فيها الله تبارك وتعالى:- {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ}.

*- فقالت له:- يا عبد الله - اترك الخلق للخالق فَلِلَّهِ تعالى في خلقه شؤون، فقال لها ابن المبارك:- ناشدتك الله أن تخبريني بأمرك، فقالت المرأة له:- أما وقد أقسمت عليّ بالله، فَلَأُخْبِرَنَّكَ:- إن الله قد أحلَّ لنا الميتة، وأنا أرملة فقيرة وأم لأربع بنات ولا يوجد من يكفلنا، وطرقت أبواب الناس فلم أجد للناس قلوبًا رحيمة فخرجت ألتمس عشاءً لبناتي اللاتي أحرق لهيب الجوع أكبادهن فرزقني الله هذه الميتة، أَفَمُجَادِلُنِي أنت فيها؟.

*- وهنا بكى عبدالله ابن المبارك، وقال لها:- خذي هذه الأمانة وأعطاها المال كله الذي كان ينوي به الحج وعاد إلى بيته ولازمه طوال فترة الحج، وخرج الحجاج من بلده فأدوا فريضة الحج، ثم عادوا، وذهبوا لزيارته في بيته ليشكروه على إعانته لهم طوال فترة الحج.

*- فقالوا له:- رحمك الله يا ابن المبارك ما جلسنا مجلسًا إلا أعطيتنا مما أعطاك الله من العلم، ولا رأينا خيرًا منك في تعبدك لربك في الحج هذا العام، فتعجب ابن المبارك من قولهم، واحتار في أمره وأمرهم، فهو لم يفارق البلد، ولكنه لا يريد أن يفصح عن سره، ونام ليلته وهو يتعجب مما حدث.

*- وفي المنام يرى رجلًا يشرق النور من وجهه يقول له:- السلام عليك يا عبد الله ألست تدري من أنا؟ أنا محمد رسول الله -ﷺ- أنا حبيبك في الدنيا وشفيعك في الآخرة جزاك الله عن أمتي خيرًا، يا عبد الله بن المبارك، لقد أكرمك الله كما أكرمت أم اليتامى، وسترك كما سترت اليتامى، إن الله – سبحانه وتعالى – خلق ملكاً على صورتك كان ينتقل مع أهل بلدتك في مناسك الحج، وإن الله تعالى كتب لكل حاجٍ ثواب حجة وكتب لك أنت ثواب سبعين حجة، فهؤلاء قوم فهموا حقيقة العبادة التي ترضي الله عزَّ وجلَّ، وأجلُّها على الإطلاق إدخال السرور على قلب أخيك المسلم، لأن يد الله مع الجماعة والتفرق جاهلية، وديننا والله دين جماعة، ولله در القائل:-

رص الصفوف عقيـــــــدة أوصى الإله بها نبيـــــه

ويد الإله مع الجماعـــــة والتفرق جاهليـــــــــة

*- ومن مواقف عبدالله ابن المبارك كذلك في الحج قال سويد بن سعيد:- رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة، فقال:- "اللهمَّ إنَّ ابنَ أبي الموالِ حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال:- "ماء زمزم لما شرب له"، وها أنا ذا أشربه لعطش يوم القيامة، ثم شربه.

*- ومن التفاني في خدمة الإخوان المؤمنين الستر عليهم، والرحمة بهم رجل بشره رسول الله ﷺ بمرافقته في الجنة:- ''فالإنسان حجمه عند الله بحجم عمله الصالح''.

*- وتلك القصة كما يلي:- يوجد بالشام حي اسمه (سوق ساروجة) وفيه جامع مشهور اسمه (جامع الورد)، ولهذا الجامع خطيب... والقصة قديمة جداً.

*- هذا الخطيب رأي بالمنام رسول الله -ﷺ- يقول له النبي الكريم ﷺ:- "قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة!"

*- وجاره بَقَّالٌ! (أي سَمَّانٌ)، وهذا الخطيب يحمل شهادات عليا، وصاحب فصاحة وبيان...! فأصابه قلقٌ شديدٌ...!

*- فتوجه إلى جاره، فلما طرق بيته، قال له:- "والله لك عندي بشارة من رسول الله ﷺ، ولكنني لن ألقيها لك، إلا إذا أخبرتني ماذا فعلت مع ربك تبارك وتعالى...!"

*- يبدوا أن هذا البقال تَمَنَّعَ، وأصرَّ أن لا يقول، فلما ألحَّ عليه، تكلم... وقال له:- "قبل فترة عقدتُ القران على امرأة، ومضى على زواجنا خمسة أشهر، وكانَ حَمْلُهَا في الشهر التاسع!!" أي أنها زانية والولد ليس منه...!

*- فقال له:- "بإمكاني أن أطلقها وهذا عدلٌ، وبإمكاني أن أفضحها وهذا عدلٌ، وبإمكاني أن أذكر السبب، والناس معي، وحتى أهلها معي، لأنها فضحتهم، وكل من حولي معي... لكنني أردت أن أحملها على التوبة..."

*- فجاءت بمولدها وولدت طفلًا، فحمل هذا الجار الطفل تحت عباءته، ووقف أمام جامع (الورد) إلى أن نوى الإمام صلاة الفرض، فدخل، وضع الطفل وراء الباب، والتحق بالمصلين.

*- فلما انتهت الصلاة، بكى هذا الطفل الصغير، تجمع المصلون حوله، توجه إليهم، قال:- "خيرًا إن شاء الله؟!!" فقالوا:- "تعال انظر إنه طفل لقيط!" قال:- "أنا أكفله أعطوني إياه!!!"

*- أخذه أمام أهل الحي على أنه لقيط، ودفعه إلى أمه...!!!

*- هذه القصة تذكرني بقوله تعالى:- (إن الله يأمر بالعدل والإحسان).

*- الإحسان أرقى، العدل قسري، أما الإحسان طوعي.

*- بهذه الطريقة حملها على التوبة، وسترها، وسمح لها أن تربي ابنها...!

*- أيها الإخوة، حجمك عند الله، بحجم عملك الصالح، حجمك عند الله، بحجم إحسانك، حجمك عند الله، بحجم عطائك، حجمك عند الله، بحجم محبتك.!

*- فالباب مفتوح، وهذه فرصة في العمر مرة، لأنك إذا مِتَّ لن تعود إلى الدنيا مرة أخرى لتعمل خيرًا، وتتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ، فاستغلَّ الوقت قبل فوات الأوان، فبادر في حياتك وقبل مماتك بالطاعة والعبادة، وألحَّ في الدعاء بقلبٍ سليمٍ خاشعٍ متضرعٍ، وطرفٍ باكٍ، وسلِ الله أن يوفقك لطاعته وعبادته ومحبته، والتقرب إليه... فهذا من نعم الله الكبرى، فلنستغل وجودنا في الدنيا في طاعة الله تبارك وتعالى، ولنحرض على الاستفادة من كل لحظة من حياتنا في مرضاة الله عزَّ وجلَّ والتقرب إليه سبحانه وتعالى بكل ما يرضيه، فالدنيا ساعة، اجعلها طاعة، ونفسك الطماعة عودها على القناعة، لتفوز بأفضل بضاعة، وصلى الله على سيدنا محمد عبد الله ورسوله ﷺ.

*- وإن من أعظم القربات أيضًا عند قيوم الأرض والسماوات هو الصدقة على الأرامل واليتامى والمساكين، ابتغاء مرضاة أحكم الحاكمين، ألم يقل حبيبنا ﷺ:- { السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، أوِ القَائِمِ اللَّيْلَ، الصَّائِمِ النَّهَارَ}، وقولُ رَسُولُ الله ﷺ:- {وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا}، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئاً}.

*- حكِيَ أنَّ عبد الله بن المبارك قال :- حججتُ إلى بيت الله الحرام، فبينما أنا في الطواف إذ عييتُ، فجلستُ أستريحُ، فغلبني النومُ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ وهو يقول:- يا ابن المبارك، إذا أنت قضيت حجك، وحللت عقدك، ورجعتَ إلى أرض العراق، ودخلت دار السلام، فاقصد الحلة التي بها بهرام المجوسي، فإذا لقيته فأخبره أنَّ النبي العربي محمداً يسلِّمُ عليكَ، وهو يقول لكَ:- أبشرْ، فإنّ قصرك في الجنة غدًا من أقرب القصور إلى قصري.

*- قال عبد الله بن المبارك:- فانتبهتُ لذلك فزعاً مرعوبًا، وتفكرتُ ساعةً، فغلبني النوم ثانياً، فرأيت الرؤيا ذاتها، فاستعذت بالله واستغفرته، فغلبني النوم، فرأيت النبي ثالث مرة وهو يقول:- يا ابن المبارك، أنا محمد رسول الله، فلا ترتبك في ذلك، وامتثل أمري فهو حقٌّ، فقلتُ:- يا رسول الله أريد بذلك علامةً ألقاهُ

بها، فأخذ رسول الله كفِّي بيمينه ثم قال:- يا ابن المبارك، هذا المجوسي شيخٌ كبيرٌ قد أتى عليه مئة وأربعون سنةً، وقد ضعُفَ بصره، وثقُلَ سمعه، وابيضَّ شعره، ورقَّ عظمه، فإذا أتيته، وسلَّمتَ عليه وبشَّرتهُ بما قلتُ لكَ، وطلبَ منك علامةً، فامسح بيدك على رأسه، ومرَّ بها على وجهه وسائر جسده، فإنه يعودُ شابّاً، ويرجع إليه سمعه وبصره.

*- قال ابن المبارك:- فانتبهتُ وأنا كالولهان، فلما قضيت حجي عدتُ إلى بغداد، وسألتُ عن بيته، فأدخلني الحاجبُ إلى بيتٍ لم أرَ مثله قط، وإذا بكتبَةٍ وصيارف يحسبون الدراهم والدنانير، فقلتُ:- أفيكم بهرام؟ فقيل:- ادخل الدار الثانية، فإذا بشيخٍ على الصفة التي وصفها الرسول ﷺ، فسلمتُ، فردَّ عليَّ السلام، ثم قال:- منْ الرجلُ؟ قلتُ:- عبد الله بـن المبارك، فقال:- مرحباً بك، لقد شممتُ بكَ رائحةً زال بها الهمُّ عن قلبي.

*- فسألته:- كم تعد من السنين؟ قال:- مئة وأربعين سنةً، فقلتُ:- هل تعرف أنك عملت عملاً استوجبتَ به الجنة؟ قال:- لا، غير أني رزقتُ ثلاثة بنين وثلاث بنات، فزوجتُ بعضهم من بعض، وأعطيتُ لكلٍ منهم مالاً وداراً وعقاراً، فقلتُ:- لا تستوجبُ الجنة، بل تستوجبُ النار، فهل عملتَ شيئاً صالحاً لآخرتكَ؟.

*- قال:- قسمتُ ليلي ثلاثة أجزاء، جزء للمسامرةِ ، وجزء لعبادة النار، أسجد لها من دون الله الواحد القهار، وجزء أتفكر فيه لمعاشي ومعادي، فقلتُ:- هل لك فعلٌ غير هذا؟ قال:- لا، فقلتُ:- يفعل الله ما يشاء ويحكمُ ما يريد، فبمَ استحققتَ يا بهرامُ الجنة؟ قال:- ويحكَ يا ابن المبارك! أتقطعُ لي بالجنة وأنتَ عالِمُ المسلمين؟ منْ أخبركَ بذلك؟ قلتُ:- الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

*- وأخبرته بما رأيتُ في المنام، فقال:- يا ابن المبارك، هل لديك علامة ظاهرة؟ قلتُ:- نعم، ادنُ مني، فدنـــا، فمسحتُ بيدي على رأسه وجسده، فعاد شابّاً سميعاً بصيراً، فلما عاين ذلك قال:- امدد يدكَ يا شيخ، أنا أشهد ''أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله''.

*- ثم قال:- يا شيخ، أخبرك السبب الذي أوجب الله لي به هذه المنزلة؟ قلت:- نعم، قال:- أولمت وليمةً عامةً للمسلمين والنصارى واليهود، والمجوس خاصةً، فأكلوا وانصرفوا، فلما جنَّ الليل وانتصفَ ونام الخُدَّامُ إذا بطارقٍ على الباب، فقلتُ منْ بالباب؟ فقالتْ:- أنا امرأةٌ من جيرانك، فأوقد لي هذا السراج، قال:- فأوقدتُ لها السراج- مع أنّ المجوس لا ترى إخراج النار من البيت ليلاً - وانصرفت المرأة، وكررتْ ذلك ثلاث مرات، ثم قالت:- يا بهرام، والله ما جئتكَ لأجل السراج، لكن جئتكَ من أجل ثلاث بناتٍ شممن روائح طعامك، فهن مُلقياتٌ على وجوههن من شدة الجوع، فتصدقْ عليهن، فإنك إنْ شاء الله تملكُ بذلك الجنة، فقلتُ:- حبًّا وكرامةً، فجمعتُ لهن من كل أصناف الطعام الذي كان عندي، وأخرجت كيساً فيه ألف دينار، وعدداً من الأثواب، وشددتُ الجميع، وحملته على رأسي وأنا لا أقوى على مثل ذلك لكبر سني، فلما صرتُ في منزلها أخذتُ في إطعام البنات حتى شبعن، ثم قسمتُ عليهن الدنانير والثياب، ففرحنَ وتبسمنَ، فلما أردتُ القيام قلنَ بأجمعهن:- يا بهرام أصلح الله لك أمورك، وأدام سرورك، كما أصلحتَ أمورنا، وأدمتَ سرورنا، وفرَّحك يوم القيامة كما فرّحتنا، وختم لك بخيرٍ، وأنزلك أقرب قصرٍ من قصر نبينا ﷺ في دار الجنان، وأنا أقولُ:- آمين، وما زلتُ أرجو استجابة دعائهن، قلتُ:- يا بهرام أبشر، فإنّ الله تعالى قد حقق لك ذلك، قال ابن المبارك:- فتصدق بهرام في ذلك اليوم بمئة ألف دينار ومثلها من الدراهم، وأسلم أبناؤه وبناته، وفرَّق بينهم، وزوَّج بناته من المسلمين، وأبناءه من المسلمات، وأسلم كثير من المجوس، وتوفي بهرام بعد ذلك، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

*- وهذه قصة لمرأة مسلمة مؤمنة تقية شريفة { من كتاب الكبائر للأمام الذهبي- ذكر الامام الذهبي في كتاب الكبائر- ص٤٢ }:-

*- وقصتها إنها امرأة كانت تعيش مع زوجها في عزٍّ وخيرٍ وفيرٍ ونعمةٍ، وفجأة مات الزوج وترك لها أطفالًا صغارًا، فنزلت بهم الفاقة والحاجة، وكانت المرأة شريفة، فخرجت من بلدتها إلي بلدة أخري حتي لا يعرف أحدٌ بما أَلَمَّ بها، فنزلت إلي بلدة غريبة فدخل عليها الليل، فأوت إلي مسجد مهجور لأجل أن ينام

أولادها الصغار فيه، وسألت عن خيار هذا البلد فَدُلَّتْ علي رجلٍ مسلمٍ، كأنه كبيرهم وبمثابة شيخ البلد ''مثل المختار''، ورجل مجوسي، فقالت:- أبدأ بالمسلم فذهبت إليه وقالت:- أنا امرأة شريفة غريبة مات زوجي وَخَلَّفَ لي أطفالًا صغارًا أيتامًا، فأريد لهم طعامًا، فقال لها:- أقيمي البَيِّنَةَ علي أنك شريفة، قالت:- يا سيدي إنني غريبة لا يعرفني أحد هنا، فانصرفت من عنده كسيرة الخاطر، فذهبت للمجوسي فأكرمها وأطعم أولادها وأعطاهم من أفضل الكسوة والطعام، وجعل لهم مكانًا خاصًا في بيته يبيتون فيه، وأغدق عليهم من الخير وجبر خاطرهم، فنام الرجل المسلم فرأي في الروية كأن القيامة قد قامت، واللواء معقود علي رأس النبي ﷺ، وهو يقول عليه الصلاة والسلام:- هذا القصر من الزبرجد واللؤلؤ، فسأله المسلم لمن هذا يا رسول الله؟ قال لرجلٍ مسلمٍ موحدٍ، فقال الرجل:- أنا رجلٌ مسلمٌ موحدٌ، فقال له النبي ﷺ:- أقم البينة! قال كيف؟ قال:- كما طلبت من المرأة، فاستيقظ الرجل منزعجًا وراح يبحث عن المرأة وأولادها الأيتام، فعلم أنها عند المجوسي، فقال له:- اعطني المرأة وأولادها فأنا أولي بها منك، قال:- لا، قال له:- خذ ألف دينار وأعطنيها، ثم قال له:- والله إن الأمر كذا وكذا، ولقد رأيت والله الليلة هذه الرؤيا فأنا والله أولى بها منك، فقال له المجوسي:- وأنا كذلك رأيت نفس الرؤيا، وما أفرط في هذه المرأة التي من بركتها وبسببها ما بِتْنَا ليلتنا جميعًا إلا ونحن مسلمون، أنا وأهل بيتي أجمعون، وقد جاءني النبي ﷺ في المنام وبشرني ببشارة عظيمة، فيالها من بشرى عظيمة من سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، فأنعم بالصدقة والمتصدقين ابتغاء مرضاة الله رب العالمين، فهذه والله هي عبادة المقربين، بعد أداء الفرائض لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين.

***- أوصـــــــاف أهـــــل الطريـــــق وأهدافهـــــــم:-**

*- ثم يبين الإمام الأوصاف التي إذا اتصف بها كلُّ إنسانٍ صار من أهل الطريق، وأفاض الله عليه من إمداداتهم فيقول:- ((أهل الطريق:- قوم صفت قلوبهم، فلم يحقد أحدهم على الآخر لأن كل واحد منهم عون للآخر على مقصوده، وقال الله تعالى:- { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى }،(المائدة:-٢)، وكل واحد منهم مرآة لأخيه، يشهد فيها ما منَّ الله به عليه من المنن فيشكره، أو ما أَلَمَّ بنفسه من العيوب فيتطهر

منها، أو من الأمراض فيتداوى منها، فالأخ منهم يحنُّ إلى أخيه أكثر من حنينه إلى الماء البارد في اليوم الصائف، لأن لقاء أخيه المؤمن:- إما مزيدٌ من المواهب، وإما تخلصٌ من الأمراض والقطيعة والبعد، ولم تقع أبصارهم إلا على محاسن إخوانهم وفضائل أصحابهم، لاشتغال كل واحد منهم بعيوب نفسه عن عيوب أخيه.

*- إذا أغضبتهم اجتهدوا في أن يرضوا الله فيك، وسعوا في أن يداووك من فساد أخلاقك، ويرغبوك في ربك فهم يدرؤون السيئة بالحسنة، وإن أرضيتهم اجتهدوا في أن يرضوا الله فيك، فلا أَذِيَّتُكَ لهم تخرجهم عن مراقبة ربهم، ولا إرضاؤك لهم يلفتهم عن مواجهة مولاهم سبحانه وتعالى، اجتمعت قلوبهم وإن تفرقت أبدانهم، وتآلفت أرواحهم لأنها بالله تعارفت، قد بلغ بهم الحب في الله حتى منحهم الله من المواهب ما غبطتهم عليه الملائكة والأنبياء، هذه علامتهم، وتلك صفاتهم، فأين هم؟ ومن هم؟)).

*- ثم يوضح لهم الأعمال التي يجب أن يتنافسوا فيها فيقول:- ((اعلموا أن المزاحمة والمنافسة، إنما تكون في الفرار من الدنيا إلى الآخرة، وفي التخلي عن الرذائل النفسانية للتجمل بالفضائل الروحانية في عمل الخير النافع لجميع الإخوان، وفي السبق في عمل القربات والمسارعة إلى المنافسة في رفعة الدرجات عند الله لا عند الخلق، وفي احتقار نفسه ليعظمه الله، وفي الرضا بالفقر ليغنيه الله، وفي التواضع لعباد الله ليرفعه الله، وفي بغض الشهرة والسمعة والرياسة خوفاً من القطيعة عن الله، وفي اعتقاد أن الدار الدنيا فانية زائلة، وفي ذلك تكون المنافسة والمزاحمة، ينافس في ذلك أهل الله الصالحون وأحباب الله المقربون! كما قال الله عزَّ وجلَّ:- { وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ }،(المطففين:-٢٦)، وليست المنافسة والمزاحمة في جمع ما يفني من المال، وما لا ينفع من الشهرة والسيادة وما لا يدوم من ملاذ المأكل والمشرب والمنكح والملبس والمسكن)).

*- وهكذا يبين الإمام للصوفية أحوالهم، لتعلوا هممهم، ويوضح لهم أعمالهم ليتمسكوا بهدي سلفهم، ويوجههم إلى الميادين التي يجب أن ينزلوا فيها أنفسهم ليتمتعوا بأحوال الصالحين ويحظوا بصفات المتقين، ويكونوا من المقربين المخلصين، وفي هذا يقول بعض الصالحين { أي العارفين بالله تعالى } في

وصيةٍ جامعةٍ مانعةٍ نافعةٍ شاملةٍ عظيمةٍ مفيدةٍ جليلةٍ للتحذير من العلماء الذين يتصدرون لتربية المريدين دون علمٍ وفقهٍ ولا توسعٍ في علم الاعتقاد:-

*- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أخي الحبيب وفقك الله تعالى، فقولك:-(قد يوجد مرشد غير فقيه أو غير عالم بالشريعة ولكنه عالم بالعلم العيني وهذا يكفيه، فإن تعدى حدوده وتصدر لتعليم الشريعة وتوسع في تعليم العقيدة وهو غير فقيه ولا متوسع في علم الاعتقاد فهو مخطئ يجب التحذير من صحبته)، وهو مُعَارَضٌ بما ذُكِرَ من صفاتِ الشيخ الكامل فمن اتصف بما ذكرتَ فهو دعيٌّ لا وليٌّ وليس بصوفيٍّ، أليس القول على الله بغير علم معصية بل هو من الكبائر، فبالله عليك كيف يوصف المرشد بذلك، فَاتَّقِ الله تعالى ولا تظن بأولياء الله تعالى إلا خيرًا، فكلامنا معك عن الخلفاء لا الأدعياء، قال الإمام محمد السلمي رضي الله عنه(٤١٢ هـ):- " ليس بصوفي مَن جهل أحكامَ الله تعالى، وأحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ لمْ يُحْكِمْ أحكامَ الظاهرِ، لم يُوفَّقْ لتهذيبِ أحكامِ الباطنِ، فمن جهل أحكام الله تعالى عليه في الظاهر فليس بصوفي، ومن خالف أحواله العلم فليس بصوفي، ومَن باينَ أحواله السنةَ فليس بصوفي، ومَن لم يكن أخلاقه وآدابه على مُوجب الكتاب والسنة فليس بصوفي ".

*- وتأمل أخي الكلام السابق تجد فيه ما يدل على المقصود ففيه:- قال فضيلة الشيخ طارق بن محمد السعدي قدس الله سره:- " وعلامته:- العلم بما يحتاج إليه المُريدون من الأحكام الشرعيَّة والأعمالِ ظاهراً وباطناً، والحِكمةِ في الإرشاد بها، وحفظ حُرمات مَنْ أدَّبَهم وتأدَّبوا به".

*- وقول سيدي الشيخ حسني الشريف رضي الله عنه في كتابه "الدلالة النورانية:- "ومن صفات الشيخ المرشد أن يكون عالماً بالشريعة، عاملاً بأحكامها عالماً بالفرائض العينية وأركانها، متحققاً بالعقيدةِ وصحتها، مُزَكِّياً لنفسهِ على يد مربٍّ مرشدٍ، خابراً مراتب النفس وأمراضها، مدركاً أحوال القلبِ ومداخل الشياطين ووساوسها، مجازاً من قبل شيخ مرشد كامل يتصل سنده بالتسلسل شيخاً عن شيخ حتى رسول الله ﷺ، مقلداً متبعاً متشبهاً برسول الله ﷺ قلباً وقالباً، لا تعتري قلبه الآفات ولا قالبه النواقص، كأن يكون متكبراً معجباً بنفسه أو بخيلاً أو مغروراً أو حاسداً.

*- وأن يكون خاليًا من صفات العَوَر والصمم والبكم والعرج أو أي صفةٍ خَلْقيةٍ، لأن في ذلكَ مَساساً بالجناب المحمدي الذي يتشبه به، وما لذلك من أثر سلبي في نفوس أتباعه"، واعلم أخي أن الشيخ الكامل مُبَرَّأٌ عن هوى النفس.

*- قال الإمام السَّهروردي:- " الشيخ للمُريدين:- أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي، فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخُ في الإلهام، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ مُقتدٍ برسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، لا يتكلم بهوى النفس ".

*- واحذر أخي أن تُنَصِّبَ نفسك حكمًا على الناس تحكم بالعالمية لمن تشاء وتنفيها عمن تشاء، وبالمشيخة لمن تشاء وتنفيها عمن تشاء، فلا تغرنك نفسك ولا تصحب المفتونين، ولا يغرَّنَّكم القيل والقال، ولا دعاوى الأدعياء وأشباه الرجال.

*- قال الإمام أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠ هـ):- " الصوفية:- أرباب القلوب، المتسوّرون بصائب فراستهم على الغيوب، المراقبون للمحبوب، التاركون للمسلوب، المحاربون للمحروب، سلكوا مسلك الصحابة والتابعين، ومَن نحى نحوهم من المتقشفين والمتحققين، لا يستهين بحرمتهم إلا مارق، ولا يدعي أحوالهم إلا مائق، ولا يعتقد عقيدتهم إلا فائق، ولا يحنُّ إلى موالاتهم إلا تائق، فهم سُرُجُ الآفاق، والممدود إلى رؤيتهم بالأعناق، بهم نقتدي، وإياهم نوالي إلى يوم التلاق "،[الحلية:- ٢٧ – ٢٨].

*- واعلم أخي الحبيب وفقك الله تعالى لما يحبه ويرضاه:- أن التصوف هو ثالث أركان الدين فلا يعارض مصالحنا ولا يسبب الفرقة والشتات بين الأمة الإسلامية؛ بل هو يجمع القلوب، ويوحد الأمة، وهو خير كله، قال سيد الطائفة:- الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد (٢٩٧ هـ):- " التصوف:- هو صفاء المعاملةِ مع الله تعالى "..

*- والصوفية بهم يأمن المرء وتذهب عنه المخاوف، قال الإمام أبو عبد الرحمن السُّلمي:- " إن الصوفية:- أمان الله في أرضه، وأخدانُ أسراره وعِلمِه، وصفوته من خلقِه، وهم ممدوحون بلسان النبوة، فمن أنكر هذا المذهب فلقلة معرفته، وقِلة الاهتداء لحقائقه؛ اسمع قوله تعالى:- { وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ

فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ }"، فالله تعالى نسأل أن يرزقنا صحبتهم ومحبتهم وطاعتهم ورضاهم، والسير على منهاجهم وسبيلهم، واقتفاء آثارهم، وأن نقول لهم '' سمعنا وأطعنا'' لأن التسليم للعارفين هو ثمرة الإيمان، فبالتسليم لهم تبلغ مبلغ الرجال، وتكون من الأبطال، ومن الصفوة الأخيار، اللهم وفقنا لذلك، وللعمل به يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وخلفائه وورثته أجمعين.

البـــــــاب الرابـــــــع

آداب المـــــــــريد:-

١-مع شيخه

٢-مع إخوانه

٣-مع نفســه

***- وأما أدب المريد مع شيخه واحترامه له:-**

*- فله أصل أصيل جاء في قول النبي ﷺ " ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه"، رواه الترمذي بسنده عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، وورد أيضاً بألفاظ أخرى، وأدب الصحابة رضي الله عنهم مع سيدنا رسول الله ﷺ وتقبيل يده ورجله – تأمل هذا جيداً كما هو ثابت في الأحاديث الصحيحة، وكانوا يحملون عنه حذاءه ورداءه الشريفين، حتى قال بعض الصالحين عن نعل رسول الله ﷺ:- '' هُوَ نَعْلٌ نَعْلُو بِذِكْرِهِ''، وكيف لا يكون ذلك كذلك، وهو الذي داس بنعليه الطاهرتين الشريفتين على بساط النور في حضرة الملك الجليل الغفور جلَّ وعلا، ولله در القائل في هذا المعنى البديع:-

وأردتَ تَخْلَعُ نَعْلَ رِجْلِكَ هيبـــــــةً فأتى الندا لا تخلعنْ نعلاكـــــــــــا

دسْ يا حبيبي على البساطِ ولا تخـفْ أنتَ الحبيبُ وأنتَ أولُ منْ دنـــــــــا

ولله در القائل أيضًا:-

فوقَ البساطِ دنا وَنُوْدِيَ باسمـــــــه دسْ يا محمدُ لا تخف إرعابـــــــــا

أنت الحبيب ومن يطعك أطاعنـــي يا أشرف الخلق الجميع خطابـــــــا

لا أنت جبار ولست بكاهـــــــن لا كنت نمامًا ولا مغتابـــــــــــا

لا أنت مجنون ولست بشاعـــــر لُعِنَ الذي لك في الوجود أعابـــــــا

*- كما كان الصحابة لا يتقدمون عليه، ولا يقومون بين يديه، كما كانوا يتبركون بآثاره الشريفة- حتى أنهم كانوا يتبركون بنخامته، ويتسابقون لِتَلَقِّيْهَا ومسحِ وجوههم بها تبركاً بها- كما جاء في كتب السيرة النبوية المطهرة، والشمائل المصطفوية والخصائص، وحياة وأدب الصحابة رضي الله عنهم مع الحبيب الأعظم والرسول الأكرم ﷺ، وليس في ذلك خصوصية، فالأدب علم، والتصوف أدب مع الله ومع الناس.

*- فاحترام التابع للمتبوع، والصغير للكبير، أصل إسلامي توحيدي لا خلاف عليه، ألم تقرأ كيف كان أدب سيدنا موسى مع الخضر عليهما وعلى نبينا سيدنا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام ؟ وكيف كان

فتى سيدنا موسى عليه السلام " يوشع" يحمل عنه متاعه، وكيف أمرنا الإسلام باتخاذ الأمير وطاعته، مهما قَلَّ العددُ.

*- وفي هذا المعنى البديع الجيل يقول فضيلة شيخنا قدَّسَ الله تعالى سره، طيب الله ثراه:- {الحُبُّ فِيْ اللهِ شَيْءٌ عَظِيْمٌ وَلَيْسَ سَهْلاً يَسِيْرَاً ۞ وَلَا يَنَالُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ۞ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ فَلْيُسَلِّمْهَا لِلرِّجَالِ تَسْلِيْماً كُلِّيّاً عُلْوِيّاً وَسُفْلِيّاً هُوَ وَمَا تَمْلِكُ يَمِيْنُهُ ۞ قَالَ السَّلَفُ الصَّالِحُ :- (سَلِّمْ لِلرِّجَالِ وَلَا تُكَابِرْ ، فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيْقُ لِمَنْ رَآهُ ۞ وَمِنَّا مَنْ يَمُوتُ عَلَى وُضُوءٍ ، وَمِنَّا مَنْ يَمُوتُ عَلَى هَوَاهُ ۞ فَمَنْ مَاتَ عَلَى وُضُوءٍ فَالجَنَّةُ مَأْوَاهُ ۞ وَمَنْ مَاتَ عَلَى هَوَاهُ فَالنَّارُ مَأْوَاهُ ۞ الحُبُّ فِيْ اللهِ لَهُ شُرُوطٌ سِتَّةٌ ۞ الشَّرْطُ الأَوَّلُ :- هُوَ أَنْ تَجْعَلَ دَلِيْلَكَ عَلَى اللهِ هُوَ أَنْتَ عَلَى التَّمَامِ ۞ الشَّرْطُ الثَّانِيْ :- أَلَّا تَرْفَعَ صَوْتَكَ فَوْقَ صَوْتِهِ وَإِلَّا كُنْتَ مِنَ الخَاسِرِيْنَ ۞ الشَّرْطُ الثَّالِثُ :- أَنْ تَتَجَنَّبَ التَّمَثُّلَ بِهِ وَنَاسُوتِيَّتُهُ حَاضِرَةٌ ۞ الشَّرْطُ الرَّابِعُ :- عَدَمُ الحَاجَةِ لِرُؤْيَتِهِ إِنْ كُنْتَ مُحِبّاً وَمَحْبُوباً ۞ الشَّرْطُ الخَامِسُ :- أَنْ تَرَاهُ فِيْ سُوَيْدَاءِ قَلْبِكَ عَلَى مَرَامِكَ ۞ الشَّرْطُ السَّادِسُ :- الإِنْسِجَامُ فِيْ حَبِيْبِكَ كَالمَاءِ فِيْ القِرْبَةِ فَتَرَى أَنَّ كُلَّ مَا يَخْرُجَ عَلَى لِسَانِكَ هُوَ مِنْ شَيْخِكَ ۞ فَاعْمَلْ أَيُّهَا المُرِيْدُ بِهَذِهِ الشُّرُوطِ إِنْ أَرَدْتَّ أَنْ تَكُونَ فَارِساً فِيْ مَيْدَانِ المَحَبَّةِ ۞ أَمَّا شَرْطُ صَادِقِ المَحَبَّةِ فِيْ اليَقَظَةِ وَالعَيَانِ ، أَنْ تَنْظُرَ بِعَيْنِ البَصِيْرَةِ لَا بِعَيْنِ البَصَرْ فَتَجِدُ فِيْهَا مَا تُحِبُّ مُشَخَّصاً ۞ لِأَنَّ الكَونَ بِحَذَافِيْرِهِ فِيْ قَلْبِ العَارِفِ بِاللهِ كَحَبَّةِ خَرْدَلٍ فِيْ كَفِّ مُوسَى ۞ كَيْفَ أَشْعُرُ بِالبُعْدِ وَقَلْبِيْ قَرِيْبٌ أَعْقِلُ بِهِ ، فَإِنْ لَمْ أُطْفِئْ شَوْقِيْ مِنْ حَبِيْبِيْ وَأَنَا جَالِسٌ فَإِنَّنِيْ بُوْرٌ وَجَاهِلٌ ۞ فَمَنْ يَشْتَاقُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لَا يُحِبُّهُ ۞ فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَغِيْبُ عَنْ مُحِبِّهِ الفَانِيْ فِيْهِ، وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ :- (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَجَبَ عَلَيَّ أَنْ أَزُورَهُ قَبْلَ أَنْ يَزُورَنِيْ) ۞ وَمَعْنَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَحَقِيْقَتِهَا الحُبُّ المُتَكَاثِرُ فِيْ القَلْبِ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَائِرِ الأَرْكَانِ۞ قَالَ العَامَّةُ :- سِيْرُوا بِنَا لِحَجِّ البَيْتِ وَزِيَارَةِ نَبِيِّنَا المُخْتَارِ ۞ وَقَالَ خَاصَّةُ الخَاصَّةِ :- لاَ نَحْتَاجُ لِذَلِكَ إِلَّا لِإِسْقَاطِ الفَرِيْضَةِ ۞ أَمَّا حَبِيْبُنَا فَلَا يُفَارِقُنَا أَيْنَمَا سِرْنَا فِيْ الأَقْطَارِ ۞ لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيْ الشَّرِيْعَةِ بَشَرٌ رَسُولٌ ، وَفِيْ الحَقِيْقَةِ لُبُّ القُرْآنِ ، وَمكَانُهُ مَكَانُ عِزَّةِ الرَّحْمَنِ۞}.

*- ومن الآداب مع الشيخ أيضًا:- '' التسليم للعارف بالله تعالى، وامتثال أوامره، وطاعته فيما نهى وما أمر''، كما يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره، وطيب الله ثراه:- {اعلم يا أخي أن التسليم ثمرة الإيمان، فانظر يا أخي وتفكر في بديع خلق الرحمن، من الذي خلق الأرض واستخلف الإنسان، من الذي رفع السماء وأبدع البنيان، من الذي سخر لنا الشمس تجري بحسبان، من الذي قدر القمر منازل بزيادة ونقصان، من الذي نثر النجوم والكواكب بأكمل الإتقان، من الذي يتبع الليل النهار آية للعيان، من الذي خلق الأرواح وأحيى بها الأبدان، من الذي تفضل بنعمة العقل وكرم الإنسان، من الذي من الماء الواحد يخرج الأصناف والألوان، من الذي أرسل الرسل وزينهم بسيد ولد عدنان، من الذي نزل الكتب هدىً للناس وزينها بالقرآن، إنه الله الذي لا إله إلا هو الواحد الديان''.

*- ويقول أيضًا:- { سَلِّمْ نفسك وما ملكت يمينك للعارف بالله تعالى، لأنه سلطانك يحميك بمعرفته لمولاه، وأنت جاهل تحب عدوك ورفيق عدوك، والذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية، كما جاء في قول نبينا الحكيم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم}.

*- ولا تظن يا أخي الكريم أن هذا الكلام يصدق على كل من سَمَّى نفسه شيخاً أبداً، فإن المراد بالشيخ عند ساداتنا الصوفية رضى الله عنهم هو ''شيخُ التربيةِ التقيّ النقيّ، الصالحِ، العارفِ باللهِ تعالى''، الذي تخلص من رعونات النفس، وَتَرَقَّى هو نفسه على يدِ شيخٍ مربٍّ، عارفٍ عالمٍ ناصحٍ، وهكذا إلى سيدنا رسول الله ﷺ الذي قال عن نفسه:- " أَدَّبَنِيْ رَبِّيْ فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِيْ"، وهذه هي السلسلة الطاهرة الطيبة، والشريفة المباركة التي يتكلم عنها ساداتنا ويأمرون المريد إذا أراد الوصول لا بد له أن يكون بين يدي أحدهم " كالميت بين يدي المغسل".

*- أَمَا تراهُ يُقَلِّبُهُ كما يشاء بقصد تطهيره، ثم تكفينه، وتهيئتهِ لدخول حضرة الله تعالى، وهكذا المريض يسلم نفسه للشيخ – شيخ تربيته – لِيُقَوِّمَ له اعوجاجَ نفسه، وَيُرَوِّضَ له أخلاقه، ويعالجَ أمراض قلبه، وَيُهَيِّأَهُ لدخول حضرة ربه سليماً معافىً، هذا هو الشيخ المطلوب، وهكذا ينبغي أن يكون المريد مع شيخ تربيته، أدباً واحتراماً، لا تقديسًا وعبادة- وحاشاهم أن يخطر ببال أحدهم سواءً المريد أو الشيخ، حاشاهم

أن يخطر ببال أحدهم غير الأدب والاحترام، أما إذا انحرف الاحترام إلى التقديس فأمر مرفوض قولاً واحدًا، وما وصل من وصل إلا بالأدب، وما انقطع من انقطع إلا بترك الأدب، سواء كان هذا الأدب مع الله تبارك وتعالى أو مع رسوله ﷺ، أو مع شيوخه المربين، الصالحين العارفين الموصلين إلى حضرة الله تعالى.

*- وأخيراً اعلموا سادتي أنه لا يغني في السلوك إلى حضرة ملك الملوك مجرد العلم، ولا توصل إليها دروب الفلسفة، فالعلم والفلسفة أعمال عقلية، وهذه التجربة من الأعمال القلبية الوجدانية، وشتان ما بينهما، غير أن التعبيرات الصوفية إذا عولجت بالإحسان والتعمق، والمعاناة والتذوق، كانت قادرة على تغيير الباطن الذي به يتغير الظاهر، فيولد الإنسان ولادة جديدة، كلها إشراقٌ وحبٌّ وبركةٌ وإنتاجٌ، هكذا قال الشيوخ.

*- وفي تجربه حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه خيرُ شاهدٍ بَيَّنَهُ في كتابه " المنقذ من الضلال" فارجعْ إليهِ إنْ شئتَ ترَ أمامك شاهدَ عيانٍ، وخبيراً مجرباً عارك العلم والحياة، وعرف خباياهما، ثم قدم لك خلاصة تجربته في أوضح بيان، فجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ونفعنا به وبالصالحين في الدارين بجاه سيدنا رسول الله ﷺ.

*- فآداب المريد مع شيخه آداب كثيرة وكثيرة جدًّا، نذكر منها ما تيسر بتوفيق الله تعالى:-

بدايةً اللَّهمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ على سيِّدنا محمد صلاة تُخرجنا بها من ظلمات الوهم، وتكرمنا بنور الفهم، حتى توضح لنا ما أُشْكِلَ حتى يُفْهَمَ، فإنك تعلم ولا نعلم، وأنت علاَّمُ الغيوب، اللهم عَلِّمْنَا ما جَهِلْنَا، وارزقنا العمل بما علمتنا، عَلِّمْنَا علمًا نافعاً به تُقَرِّبُنَا، وفي الحضرة عندك تُحْضِرُنَا، أيادينا في يد إمامنا وسيدنا رسول الله محمد ﷺ.

*- فالحق عزَّ وجلَّ يحب التأدب مع حضرة النبي المصطفى ﷺ وحضَّ عليه في غير موضع، فقال جلَّ وعلا:- { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ

وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }،(الحجرات ١-٥)، وذلك لمحبته تعالى له ﷺ، ولارتفاع مكانته العلية، ولعلو منزلته النورانية، ولأنه جلَّ جلاله لا يقبل من العبد صرفاً ولا عدلاً ولا قربة بعمل افتقر إلى كمال الأدب مع حضرته الشريفة ﷺ، فالآداب معه ﷺ كثيرة ومعلومة للعامة من المسلمين والخاصة من أهل التزكية والمحبة، فأما العامة فيؤدونها وأما الخاصة فيتحققون بها.

*- ولما كان الشيخ العارف الكامل المربي هو الوارث المحمدي فَوَرِثَتُهَ ﷺ إنما هي العلم والمعرفة بالله عزَّ وجلَّ، والشيخ المربي هو من يقوم بمقام النبي ﷺ بتعريف العباد بربهم على وجه الحقيقة على خطى النبي ﷺ، آخذاً ذلك بالسند المتصل إلى سيدنا رسول الله محمد ﷺ، لذلك كان لزاماً التأدب مع الشيخ تأدباً للنبي ﷺ لكمال النفع والافادة منه، تأدباً لله ومع الله عزَّ وجلَّ، فالشيخ المربي يقوم بمقام خير الخلق وأحب العمل إلى الله تعالى محبة حبيبه والتأدب معه وله ﷺ، وكذلك التأدب مع أوليائه وكل ذلك تأدباً لله عزَّ وجلَّ ومحبةً في رضاه، ومخافةً من غضبه، فكما يجب التأدب واحترام وتقدير الشيخ فلا يكون ذلك تقديساً له فالتقديس عبادة لا تصرف إلا لله عزَّ وجلَّ، فاعلم أن تمام القصد هو الله عزَّ وجلَّ ولا غيره أبداً ويكون ذلك بما افترضه هو جلَّ في علاه، وليس بما اعتقدته أنت أيها المريد.

*- إن المقصود والمبتغى هو الله المعبود بلا شريك، وللوصول للمقصود لابد من سلوك الطريق، والطريق هو الآداب، والتصوف إنما هو سلوك للطريق الذي يوصل للحق عزَّ وجلَّ، وقد أجمع العارفون بالله أن التصوف كله آداب، ولا يمكن أن يكون سلوك بلا أدب، وسوء الأدب قاطع رئيسي، ولكلِّ وقتٍ أدبٌ، ولكلِّ فعلٍ أدبٌ، ولكلِّ حالٍ أدبٌ، ولكلِّ مقامٍ أدبٌ، فمنْ يلزمِ الأدبَ يبلغْ مبلغَ الرجالِ، ومنْ حُرِمَ الأدبَ فهو بعيدٌ منْ حيثُ يظنُّ القربَ، ومردودٌ منْ حيثُ يرجو القبولَ، والأدب دعامة أساسية في السلوك.

*- وذكر العارف بالله تعالى السهروردي في كتابه ''عوارف المعارف''- الباب الحادي والخمسون- ''باب آداب المريد مع الشيخ'' فقال:- "إن أدب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من مهامِّ الآداب، وللقومِ في ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وقد قال تعالى:- { يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بيْنَ يدي اللَّهِ ورَسُولِهِ واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ سميعٌ عليمٌ }.

*- قال الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره في وصيته " وأوصيك بالفقر"- وهو- وذكر فيما ذكر من صفات الفقر – " حفظُ حرماتِ المشايخِ ".

والآداب نوعان:- آداب باطنة وآداب ظاهرة.

*- فمن الآداب الباطنـــــــــــــــــــة:-

١- الاستسلام للشيخ وطاعته استسلام الميت لِمُغَسِّلِهِ، فَالْمُغَسِّلُ يُقَلِّبُ الميتَ لتنظيفه وتحضيراً له لسؤال القبر، والشيخ يُقَلِّبُ مريده ويطهرُهُ للدخول على حضرة القُدُسِ، وليس هذا من باب الانقياد الأعمى الذي يتخلى فيه المرء عن عقله وعن شخصيته، ولكنه من باب التسليم لذوي الاختصاص والخبرة، كما يستسلم المريض لطبيبه استسلامًا كليًّا ويتتبع نصائحه، وهو في هذه الحالة لا يعتبر متخليًا عن عقله وشخصيته بل على العكس يعتبر عاقلًا في اختياره لأنه سَلَّمَ نفسه لذوي الاختصاص لَمَّا كانَ طالبًا للشفاء.

٢- عدم الاعتراض على شيخه في طريقة تربيته لأن هذا من شأنه أن يضعف ثقته في شيخه ويحجب عنه خيرًا كثيرًا، ويقطع المدد الروحي بينه وبين شيخه، ولقصة سيدنا موسى عليه وعلى نبينا وسيدنا رسول الله ﷺ أفضل الصلاة وأزكى التسليم مع العبد الصالح أكثر من دلالة في هذا المجال.

٣- أن يعتقد كمال شيخه وتمام أهليته للتربية والإرشاد حتى لا ينصرف قلبه إلى غيره ويتشتت توجهه، فيكون كالمريض الذي يطبب جسمه عند طبيبين في وقت واحد فيقع في الحيرة والتردد ولا يتم له علاج لا بهذا ولا بذاك.

٤- أن يكون صادقًا في خدمة شيخه مُنَزِّهًا طلبه عن كل الأغراض والمقاصد وهذا في جميع شأنه لكمال الوصول، فالغرض نافٍ للصدق، ومن الغرض أن يتصل بشيخه طمعاً في منزلة أو جاه.

٥- أن يُعَظِّمَ شيخه ويحفظَ حرمته حاضرًا وغائبًا، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره:- "من وقع في عرض ولي ابتلاه الله بموت القلب".

٦- أن يحب شيخه محبةً كبيرةً وذلك بموافقته أمرًا ونهياً، والطاعة هنا محبة، والمعصية بغضاً، ولا يكون المريد مريداً وهو يبغض شيخه – أي يعصيه –.

٧- وأعزُّ أدبٍ للمريد مع الشيخ هو أن لا يتمنى منزلةً فوقَ منزلةِ شيخه، وأن يحب لشيخه كل منزلة عالية، وكل عزيز المنح والمواهب، فذلك هو أدب الإرادة وهو عزيز بين المريدين، قال السري رحمه الله:- "الأدب ترجمان العقل".

أما الآداب الظاهرة فمنهـــــــــــــــــا:-

١- أن لا يفعل شيئاً بدون إذن الشيخ بتاتاً من أوراد أو نوافل أو أي شيء آخر من أفعال المريدين، أو التصدر للكلام إلى الناس وتعليمهم حتى لو كان عالماً ظنّاً منه أنه يحسن التصرف، فلا يكون تصرف المريد إلا بإذن شيخه البتة فما الإذن إلا مدد من حضرة الشيخ.

٢- أن يلتزم السكينة والوقار في مجلسه، وأن لا يبادر إلى الكلام بحضرة شيخه إلا إذا استأمره الشيخ ووجد فسحة في ذلك، وأن لا يحدث شيخه إلا بمنقول الكلام وأن يكون متطلعاً إلى الاستماع لا إلى الكلام، ولا يحدث بما يحدث العجب عند الشيخ أو الحاضرين.

٣- أن يبادر إلى خدمته بقدر الإمكان، فمنْ خَدَمَ خُدِمَ، ويكون ذلك بالنفس والمال فلا يبخل بهما على شيخه أبداً وأن لا يعزَّ على شيخه مالاً أو جهداً، قيل لأبي منصور المغربي:- كم صحبت أبا عثمان؟ – شيخه – قال خدمته لا صحبته، فالصحبة مع الإخوان والأقران، ومع المشايخ الخدمة.

٤- أن يزوره بقدر المستطاع، فالانقطاع يحرم التعلم، ويطبع الجفاء في القلب، ويورث الغفلة، والغفلة تقطع الطريق.

٥- الصبر على مواقفه التربوية كجفوته وإعراضه، التي يقصد بها تخليص المريد من رعوناته النفسية.

٦- أن لا ينقل للناس من كلام الشيخ إلا بقدر أفهامهم وعقولهم حتى لا يسيء إلى نفسه وإلى شيخه ومن ذلك كثرة ذكره لكرامات الشيخ بدون تمكن في العلم أو إذن من الشيخ.

٧- وأن لا يَقطعَ كلامَهُ، ولا يمشي قُدَّامَهُ، ولا يُتِمَّ كلامَهُ، [أيْ يُكْمِلُ الكلامَ عنِ الشيخِ دونَ إذْنِهِ]، ولا يستعجلَ إفهامَهُ، ولا يقومَ أمامَهُ، ولا يُعَطِّلَ أحكامَهُ، ولا يقومَ مقامَهُ.

*- وهذه الآداب إنما تطلب من المريد الصادق الذي يريد دخول حضرة الأنس بالله وبرسوله ﷺ، فمنْ تَحَقَّقَ بها انتفعَ، ومنْ فَرَّطَ فيها انقطعَ، هذا والله أعلم وأحكم.

***- آداب المريـــــــــد مـــــــع إخوانـــــــــــه:-**

*- وفي هذا المعنى البديع الجليل يقول فضيلة شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سره للمريد:- { وضع نفسك تحت الأقدام تحفك عناية القوم وترجع نقيًّا سالمًا من الآثام }.

*- ويقول أيضًا:- { كن للأعتاب خادمًا والله يجزيك، وبرحمته يدخلك جنته ويدنيك، إنه على ما يشاء قدير، اسهر مع الأعتاب ولا تتطاول عليهم وكن مؤدبًا، حولك حولهم وقوتك قوتهم في محبة الله ورسوله، الأعتاب هم إخوانك في الله تعالى، كن خادمًا لهم، وتلقَ الجزا من حالك، واعمل معهم بقوله تعالى:- '' وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا''.

*- فحقيقة الإخوان أنهم هم سبب قبول الدعاء واستجابته، حيث يقول قدس الله تعالى سره، وطيب الله ثراه:- { يسأله بكم الرضا}، وهم سبب الهداية والمعرفة بعد الله سبحانه وتعالى، وهم هدية رسول الله ﷺ لك أيها المحب الصادق، فهم الأئمة في الصلاة، ونور الدرب، ومشكاة القلوب، ونور الأفئدة والأبصار، بل وحتى نور البصائر لأولي الألباب، وفي هذا المعنى يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:-

فَقُلْتُ لَمَّا سَقَونِـــــــــــــــــيْ كَأْسَ الرِّضَا وَالْحَيَـــــــــــــــــاةِ

رَمَيْتُمُوْنِيْ بِسَهْـــــــــــــــــمٍ أَنْعِمْ بِكُمْ مِنْ رُمَـــــــــــــــــاةِ

فِيْ الْبَحْرِ أَنْتُمْ سَفِيْنِـــــــــــــــيْ بِكُمْ بَلَغْتُ نَجَاتِـــــــــــــــــــي

وَفِيْ الْإِقَامَةِ كَهْفِـــــــــــــــيْ وَفِيْ الرَّحِيْلِ حُدَاتِـــــــــــــــيْ

وَفِيْ الصَّلَاةِ إِمَامِـــــــــــــــيْ وَفِيْ الْوِصَالِ سُقَاتِـــــــــــــــيْ

وَفِيْ الصَّبَابَةِ قَلْبِـــــــــــــــيْ وَفِيْ الْحَقِيْقَةِ ذَاتِـــــــــــــــيْ

وَفِيْ الدُّجَى مِصْبَـــــــــــــــاحٌ قَدْ شَعَّ فِيْ مِشْكَاتِـــــــــــــــيْ

مِنْكُمْ حَظِيْتُ بِنُـــــــــــــــوْرٍ مِنْ بَاطِنِ الْآيَـــــــــــــــاتِ

فَإِنَابَةٌ بِرُجُـــــــــــــــوْعٍ وَتَذَلُّلٍ بِتُقَـــــــــــــــاةٍ

وَتَنَعُّمٍ بِشُهُـــــــــــــــودٍ وَتَمَكُّنٍ بِثَبَـــــــــــــــاتٍ

وَإِذَا أَرَدْتُ مُـــــــــــــــرَادًا نَظَرْتُ فِيْ مِرْآتِـــــــــــــــيْ

فَإِذَا الَّذِيْ أَهْـــــــــــــــوَاهُ قَدْ جَادَ بِالْبَرَكَـــــــــــــــاتِ

فَأَخُصَّهُ بِتَحِيَّـــــــــــــــةٍ وَأَزِيْدَهُ بِصَـــــــــــــــلَاةٍ

وَصْلُ الْأَحِبَّةِ فَـــــــــــــــرْضٌ بِعَشِيَّةٍ وَغَـــــــــــــــدَاةٍ

وَجَلِيْسُهُمْ فِيْ حِـــــــــــــــرْزٍ مِنْ صَاحِبِ الْهَمَـــــــــــــــزاتِ

بَلْ إِنَّهُ فِيْ ذِكْـــــــــــــــرٍ وَتَعَبُّدٍ وَصَـــــــــــــــلَاةٍ

*- ويقول أيضًا:- { كيف أجزيهم وقد نصروني على نفسي وهوايا، وأوردوني عين جمعهم فملأت منها الحنايا، وأصبحت وحي قلبي محبتها ووحي عيني بكايا، وتوليت إلى ظل الحضرة الإلهية مؤزرًا بانطوايا، وأخذني عني هبوب رياحها وأحرق برقها مني بقايا، ثم ردتني أغني أنا لست سواها، وهي ليست سوايا}.

*- ويقول أيضًا قدس الله تعالى سره:- '' ومنك جزاؤهم عين المحال''.

*- ومن أهم الآداب المطلوبة للمريد مع إخوانه ما يلـــــــــــــــــي:-

١- حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين، فلا يغتاب أحداً منهم، ولا ينقص أحداً، لأن لحومهم مسمومة كلحوم العلماء والصالحين.

٢- نصيحتهم بتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم، وتقوية ضعيفهم، وللنصيحة شروط ينبغي التزامها، وهي ثلاثة للناصح، وثلاثة للمنصوح.

*- فشروط الناصـــــــح:-

١- أن تكون النصيحة سراً.

٢- أن تكون بلطـــــــف.

٣- أن تكون بلا استعلاء، ولله در الإمام الشافعي إذ يقول في هذا المعنى:-

تَعَمَّدني بِنُصْحِكَ في انْفِرَادِي وجنِّبني النصيحةَ في الجماعهْ

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ من التوبيخِ لا أرضى استماعه

وَإِنْ خَالَفْتنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي فَلاَ تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَـــه

*- وشروط المنصـــــوح:-

١- أن يقبل النصيحـــــة.

٢- أن يشكر الناصـــــح.

٣- أن يطبق النصيحـــة.

٣- التواضع لهم والإنصاف معهم وخدمتهم بقدر الإمكان إذ أن "سيد القوم خادمهم" [أخرجه ابن ماجه والترمذي عن أبي قتادة رضي الله عنه، كما في "فيض القدير" "شرح الجامع الصغير" للمناوي، [ج ٤/ص ١٢٢].

٤- حسن الظن بهم وعدم الانشغال بعيوبهم ووكْلُ أمورهم إلى الله تعالى، ولله در القائل:-

ولا ترَ العيبَ إلا فيك معتقـــــداً عيباً بدا بَيِّنًا لكنه استتـــــرا

٥- قبول عذرهم إذا اعتذروا.

٦- إصلاح ذات بينهم إذا اختلفوا واختصموا.

٧- الدفاع عنهم إذاُ أوذوا أو انتهكِت حرماتهم.

٨- أن لا يطلب الرئاسة والتقدم عليهم لأن طالب الولاية لا يُوَلَّى.

٩- التفاني في خدمتهم وقضاء مصالحهم، بل وتقديم مصالحهم على مصالح نفسك.

فهذه جملة من الآداب التي يجب على السالك مراعاتها والمحافظة عليها فإن الطريق كلها آداب، حتى قال بعضهم:- (اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً).

*- وقال أبو حفص النيسابوري رضي الله عنه:- (التصوفُ كله آدابٌ، لكلِّ وقتٍ آدابٌ، ولكلِّ حالٍ آدابٌ، ولكلِّ مقامٍ آدابٌ، فمنْ لزمَ الأدبَ بلغَ مبلغَ الرجالِ، ومنْ حُرِمَ الأدبَ فهو بعيدٌ منْ حيثُ يظنُّ القربَ، مردودٌ منْ حيثُ يظنُّ القبولَ)،["طبقات الصوفية" للسلمي ص ١١٩].

*- وبالجملة فأدب المريد لا نهاية له مع شيخه ولا مع إخوانه ولا مع عامة الوجود، وقد أفرده المربون بالتآليف، وألف فيه ابن عربي الحاتمي، والشعراني، وأحمد زروق، وابن عجيبة، والسهروردي، وغيرهم.

ـ أدب المـــــــــــــريد مـــــــــع نفســـــــــه:ـ

وفي هذا الباب يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره، وطيب الله تعالى ثراه:-

*- { واحذر النفس وجالدها جلادًا، كم أضلتك نفورًا وعنادًا، كيف ترخيها بسوء تتمادى، واحذر الدخول فيما لا يعنيك، وإلا لقيت ما لا يرضيك، وعشت مشتتًا في دنيا الهوان، وسرت فالت الزمام تهوي بك نفسك كالطير تاه عن عشه فأكلته العقبان}.

*- ويقول أيضًا:- {عليك بالمحافظة على الصلاة في الجماعة، وانتظار الموت ساعة بعد ساعة، ولا تبقَ في همِّ رزقك حائرًا، ولا تحتقر من خلق الله أحدًا، وإياك والغيبة والنميمة}.

*- ويقول أيضًا:- { عداك هم النفس والشيطان والهوى}.

*- ويقول أيضًا:- { ومن ثروة العلم التي ورثناها ﷺ نعظ جمع عصبتنا، وأول الوعظ أن نؤمن أنه بالله وحده حولنا وقوتنا، وأن نجتنب الثلاث المهلكات، الإشراك بالله خالقنا وولي نعمتنا، والإضرار بالناس فهو ضد شرعتنا، والإعجاب بالنفس فهو عدو وحدتنا}.

*- ويقول أيضًا:- { وعامل نفسك بوزن الأمور، فما وجدته ثقيلًا عليها أو مكروهًا لديها فافعله، وما وجدته خفيفًا عليها أو مرغوبًا لديها فاجتنبه }.

*- ويقول أيضًا:- { طريقتنا:- أدبٌ- وسلوكٌ- ومعاملةٌ- وأخلاقٌ- ومحبةٌ }.

*- ومن الآداب الّتي بها ينال المريد قمع نفسه، ويسقي بها فيض قدسه، ما يلي:-

*- فأوّلها:- الوَرَع وهو:- كفّ النّفس عن الشّبهات في المأكل والمشرب والملبس والمنطق، وكفّ السّمع والبصر واليد والرّجل والقلب والفرج عن كلّ ما لا يسوغه الشّرع، وعمدة ذلك الورع في الأكل والشّرب، وفي الحديث:- { من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه }، وقال صلّى الله عليه وسلّم لأبي هريرة:- { كنْ ورعًا تكن أعبد النّاس }، وقال إبراهيم بن أدهم:- { طَيِّبْ مطعمك وما عليك بعد ذلك أن لا تصوم ولا تقوم }.

*- ثانيها:- أن يكون ناهض الهمّة، خفيفًا في مبدأ الطّهارة، خاليًا عن الوسوسة فيها، جاريًا فيها على القانون الشّرعيّ، لا يزيد على الغسلات الثّلاث، فإنّ الخير كلّه في الاتّباع، قال تعالى:- ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّه ﴾.

*- ثالثها:- أن يكون زاهدًا في طلب التّقدّم والظّهور على غيره والشّهرة بالعلم أو بالعمل، بل يدفن وجوده في أرض الخمول، فإنّ ما نبت في غير أرض الخمول لا يتمّ نتاجه، لأنّ الزّهد في الدّنيا ومتعلّقاتها واجب على كلّ مَن أراد طريق الحقّ، قال تعالى في وصف الكافرين:- ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾، وذلك إنّما هو من أجل قضاء شهواتهم النّفسانية والتّلذّذ بها والتّخوّل فيها، فينبغي للمؤمن أن يكفّها على نقيض مفهوم الآية الكريمة.

*- وفي الحديث:- { ٱزهدْ في الدّنيا يحبّك الله}، فعُلم أنّ سبب محبّة الله للعبد الزّهد في الدّنيا، وهذا أعلى مقام عند الله، لأنّ جميع الخلق غرضهم بالعبادة إنّما هو الوصول إلى هذا المقام، لأنّ الله تعالى إذا أحبّ عبدًا اختاره لنفسه، فليس فوق هذا المقام إلاّ مقام النّبوّة، ومفهوم ذلك أنّ المحبّ للدنيا متعرّض لبغض الله تعالى له، نعوذ بالله، وإذا أبغض الله عبدًا جعله من المُبْعدين المطرودين، وفي الحديث:-

{حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة}، وقال سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه:- {الزّهادة في الدّنيا راحة القلب والجسد}.

*- ورابعها:- أن يعوّد نفسه بقلّة النّوم، ولا سيّما وقت السّحر فإنّه وقت الإجابة والعطاء والتّجلّيات، لحديث:- {ينزل ربّنا إلى سماء الدّنيا في الثّلث الأخير من اللّيل فيقول هل من داع فأستجيب له، هل من عامل فأزكّي عمله، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه}، أخرجه البخاريّ وغيره.

*- خامسها:- أن يكون مخالفًا لنفسه وهواه بعصا الشّريعة، محرقًا لها بنار شدّة المخالفة، قاتلًا لها بسيف المجاهدة، حُكي عن بعض الصّالحين:- أنّ نفسه دعته في وقت من الأوقات إلى الجهاد فأتّهمها في ذلك، إذ من عادة النّفس الأمّارة أنّها لا تدعو إلى الخير، فكيف تتصوّر دعوتها إلى فضيلة الجهاد الّذي فيه إتلاف النّفوس، فدعا الله تعالى أن يطلعه على دسيسة نفسه ومكرها، فرأى في نومه قائلًا يقول له:- إنّ نفسك لمّا كنت تقتلها في اليوم قتلات كثيرة، وتخالفها فيما تهوى مرارًا عديدة، دعتك إلى الجهاد لتموت فتستريح منك، فإنّ الموت أهون على النّفس من مخالفتها ومنعها ممّا تهواه}.

*- سادسها:- أن لا يتحرَّجَ من الفاقّة وشدّة الفقر والحاجة، وفي الحديث:- {لن يموت أحدكم حتّى يستوفي رزقه}، وعنه صلّى الله عليه وسلّم:- {لو توكّلتم على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو خماصًا وتعود بطانًا}، وقال تعالى:- ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّة فِي الْأَرْض إِلَّا عَلَى اللَّه رِزْقهَا ﴾؛ فينبغي للمريد أن لا يلتفت لذلك، بل يرفض أمر الرّزق وراء ظهره، ويفوّض أمره إلى الله تعالى، ولا يقول:- { كم عاقلٍ عاقلِ أعيت مذاهبه، وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقًا}، بل يعتمد قول صاحب الحكم:- {اجتهادك فيما ضُمن لك، وتقصيرك فيما طُلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك}.

*- سابعها:- أن يوبّخ نفسه ويحثّها على الرّياضة والمجاهدة وتعمير الأوقات بأنواع العبادات، ويجتهد في السّعي في تقليل علائقها ما استطاع، فإنّ الحياة الدّنيا متاع والآخرة هي دار القرار، وليعتبر بالمتقدّمين والمتأخّرين، وأنّ مرجعهم إلى الله أجمعين، وفي ذلك قيل:- {مَن خزّن درهمًا ربط نفسه بحبل، ومَن خزّن دينارًا ربطها بحبلين، ومَن زاد من الدّنيا زاد في الحبال}.

* ثامنها- أن لا يستبطئ الوصول، ولا يستبعد القرب والحصول، فإنّ ذلك ليس له غاية معلومة، ولا كيفيّة مرسومة، بل يعبد الله تعالى لوجهه الكريم، سواء فتح له عين قلبه ورفع عنه الحجاب أم لا، فإنّ العبادة من شرائط العبوديّة، قال الشّيخ الأكبر بن عربيّ:- {إيّاك أن تترك المجاهدة إن لم ترَ أمارات الفتح، بل دمْ على مجاهدتك، فإنّ الفتح بعدها أمر لازم له وقت لا يتعدّاه}، وقال:- {احذرْ أيّها المريد أن يكون قصدك من ذكرك وعبادتك الأجر والثّواب فإنّ ذلك حاصل ولا محالة، وإنّما ينبغي أن تكون همّتك التّلذّذ بمناجاته تعالى والفوز بمجالسته}.

*- تنبيه، الاجتهاد في العبادة لا ريب في أنه يوصّل إلى التّرقّي إلى المقامات الّتي لا تُحصى، والتّلقّي من النّفحات الّتي لا تُستقصى، بحيث أنّ السّالك يصل إلى مقام يقال فيه لا مقام، لأنّ الفيض الإلهيّ لا ينقطع ولا يفنى فكذلك التّرقّي، فمَن ظنّ أن السّلوك يوصّل إلى غاية أو إلى نهاية فهو جاهل كلّ الجهل، بل السّلوك إنّما يوصّل إلى معرفة الحقّ عزّ وجلّ، بمعرفة تجلّياته ونعمائه الإلهيّة، فيستعدّ القلب إلى معرفتها وتمييزها ومعرفة ما معها من الواردات، بجلاء مرآته وقطع مطامع النّفس وقهرها، والتّقرّب إليه سبحانه وتعالى بامتثال مأموراته والوقوف عند منهيّاته والعمل بالنّوافل والاقتداء بالسّلف الصّالح، حشرنا الله في زمرة مَن عمل فالتحق بذلك الفريق، وذاق من المعارف الإلهيّة حلاوة التّحقيق.

*- تاسعها:- أن يخفي أعماله وأحواله ما أمكن، حتّى يرسخ في مرعاة الله تعالى وحده دون غيره من خلق الله، وقد أجمعوا على:- {أنّ المريد إذا أحبّ الظّهور وإطلاع النّاس على كمالاته فهو مقطوع، لا يجيء منه في الطّريق شيء}.

*- عاشرها:- ألا يكون عندك محاسدة، ولا عندك مخادعة، ولا عندك مكاذبة، ولا كبر أو عجب أو رياء.

*- يعني أنّ من جملة آداب المريد في نفسه أن لا يتلبّس بشيء من الحسد، لما روى الديلميّ في المسند:- {الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصّبر العسل}، وروى ابن ماجه:- {الحسد يأكل الحسنات كما

تأكل النّار الحطب}، وروى الطّبرانيّ:- {ليس منّي ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة}، وروى الإمام أحمد والتّرمذيّ:- {الحسد والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدّين لا حالقة الشّعر}.

*- وألا يكون عندك مخادعة، والمخادعة هي المكر والغشّ خُفْية، روى التّرمذيّ:- {ملعون من خان مؤمنًا أو مكر به}، ورُوي:- {ليس منّا من غشّ مسلمًا أو ضرّه أو ماكره}، وفي الحلية لأبي نُعيم:- {مَن غشّ مسلمًا في أهله أو جاره فليس منّا}.

*- ولا عندك مكاذبة، فقبح الكذب معلوم من الدّين بالضّرورة، ولو لم يرد فيه إلاّ قوله تعالى:- ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾، لكان كافيًا.

*- ولا كبر أو عجب أو رياء، فإنّ من الآداب اللاّزمة للمريد في نفسه التّلبّس بالذّلّ، لأنّ النّهي عن الشّيء أمر بضدّه، ولا ريب في أنّ الكِبر ضدّ الذّلّ، فالكبر صفة تقوم بالنّفس تقتضي التّعاظم، وتنشأ من رؤية وجود النّفس، وفي الحديث القدسيّ:- {الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمَن نازعني فيهما قصمته}، وفي رواية:- {فمَن نازعني واحدًا منهما ألقيته في جهنّم}، وروى الإمام مسلم:- {لا يدخل الجنّة مَن كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر}، ورُوي:- {مَن أحبّ أن يتمثّل له الرّجال قيامًا وجبت له النّار}، ورُوي:- {مَن رفع نفسه وضعه الله، ومَن وضع نفسه رفعه الله}، وفي الكتاب العزيز:- ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِيْنَ﴾.

*- ومن آداب المريد في نفسه أن لا يتلبّس بشيء من العُجْب بضمّ العين وسكون الجيم، وهو تصوّر استحقاق رتبة لا يكون المرء مستحقًّا لها، وقيل:- {هو استعظام النّعمة مع نسيان إضافتها للمُنْعِم}؛ والتّحلّي منه من الآداب الواجبة، روى الدّيلميّ في مسنده:- {إنّ العُجْب ليحبط عمل سبعين سنة}، ورُوي:- {أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه، ومَن قال إنّي عالم فهو جاهل، ومَن قال أنّه في الجنّة فهو في النّار}، ورُوي:- {ثلاث مهلكات، شحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه}.

*- ومن آداب المريد في نفسه التّخلّي من الرّياء وعدم التّلبّس به أصلًا، وهو طلب المنزلة عند غيره تعالى بالعبادة، وأجمعوا على:- {أنّه من أصول الأخلاق الذّميمة}، ويعبّر عنه بالشّرك الخفيّ؛ ويكون

الرّياء بالبدن والهيئة والقول والعمل، وذلك كإظهار النّحول وإبقاء أثر السّجود ولبس الصّوف والوعظ وتطويل الصّلاة وتكثير التّلامذة.

*- وورد في ذمّه من الأخبار والآثار ما لا يكاد ينضبط، فممّا رواه الإمام أحمد ومسلم والنّسائيّ:- {أنّ أوّل النّاس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد وأتى به فعرّفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها، قال قاتلت فيك حتّى استشهدت فيك، قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب حتّى ألقي في النّار؛ ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن وأتى به فعرّفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها، قال تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلّمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب على وجهه حتّى ألقي في النّار؛ ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه وأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها، قال ما تركت في سبيلك ممّا تحبّ أن ينفق فيها إلاّ أنفقت فيها لك، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هذا جوّاد فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب على وجهه ثمّ ألقي في النّار}.

*- ومن آداب المريد في نفسه ألا يشبع من الطعام، ولا يشبع من المنام، ولا يغتب أخا الإسلام، ولا يكن ممارياً، بل يكن للحق مصاحبًا، وعليه عاكفًا.

*- وأن يأخذ نفسه بالمجاهدات، وألا يرى لنفسه على أحد فضلًا.

*- وقد لَخَّصَ فضيلة شيخنا الجليل قدس الله تعالى سره وطيب الله ثراه، آداب المريد مع نفسه بأبلغ تعبيرٍ، وأدقِ وصفٍ فقال:- { وأنت أيها المريد يا من تطلب الرشد والهدى، عليك أن تقتحم عقبات النفس ومحبات السوى، جالس الرجال الذين لا يخطر على بالهم سوى محبة الله والمصطفى، وبع نفسك لهم، وكن لركبهم خادمًا، وانصت وامتثل، وداوِ قلبك، وفارق الهوى، وافتح ينابيع صدرك، وانظر بعين البصيرة ترَ ما تحب أن ترى، وارفع صوتك مع الركب حاديًا، خذ قولي لك راحلة وماءً وزادًا، تسلم من فتنة الدنيا فبئست مرادًا، كم أضلتك نفورًا وعنادًا، كيف ترخيها بسوء تتمادى، واحذر الدخول فيما لا يعنيك، وإلا لقيت ما لا يرضيك، وعشت مشتتًا في دنيا الهوان، وسرت فالت الزمام تهوي بك نفسك كالطير تاه عن

عشه فأكلته العقبان، وهذه علامة على ضمير المريد المحب، إذا تلقى الدرس من شيخه سكنت في قلبه أنوار من أفق المحبة، وتجده ترك الغي في الدنيا ولم يسبح في بحورها، لأنه تفكر ووجد أحسن ما يلبس فيها الحرير وهو براز دودة، وأحلى طعامها عسل النحل، وهو براز دودة أيضًا، ووجد انها زائلة ولها نهاية وَحَدٌّ، وَحَدُّهَا نفس بيد الرحمن يخرجه إن شاء بلا ردٍّ، فكيف يحق لنا فيها طول الأمل، وكيف والموت يلاقينا نسوف العمل}.

*- ويقول أيضًا قدس الله تعالى سره، وطيب الله ثراه:- {افتح ينابيع قلبك، وانظر بعين بصيرتك، ولا بصيرتك، ولا تتزحزح عن بيعتك، ولا تخالف إرشاد شيخك تنقطع قبل وصول الباب، لأن شيخك ما هو إلا أنت يدعوك لما يحييك وينجيك يوم الحساب، ثم هو لا يطلب من دنياك شيئًا بل استغنى بالواحد الوهاب}.

*- ومن هذه الآداب أيضًا:- أن يكون المريد دائمًا متهمًا لنفسه، قاسيًا عليها، وذلك لأن أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك، كما قال بعض الصالحين في هذا المعنى:-

إني ابتليت بأربع ما سُلِّطوا إلا لشدّة شقوتي وعنائـــــي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

بمعية الرحمن ونـهج حبيبه أبلغ بإذن الله كل رجـائـــي

*- وأن يتهم نفسه بالقصور، وعدم القيام بحق الخدمة على الوجه المطلوب، ويتذلل إلى الله تعالى في الأسحار، بل في الليل والنهار، وفي جميع الأوقات، ولله در القائل:-

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعدّ لكل ما يتوقـــــع

يا من يرجّى للشدائد كلهـــــــــا يا من اليه المشتكى والمفــزع

يا من خزائن رزقه في قول كـــن امنن فإن الخير عندك أجمــع

ما لي سوى فقري اليك وسيلـــــة وبالافتقار إليك فقري أدفـــــع

ما لي سوى قرعي لبابك حيلـــــة فلئن طردت فأي باب أقـــرع

ومن الذي أدعو وأهتف باسمـــــه إن كان فضلك عن فقير يمنـع

حاشا لمجدك أن تقنِّط عاصيـــــًا الفضل أجزل والمواهب أوسـع

بالذل قد وافيت بابك عالمـــــــًا إن التذلل عند بابك ينفـــــع

وجعلت معتمدي عليك توكـــــلًا وبسطت كفي سائلًا أتضـــرّع

وبحق من أحببته وبعثتـــــــــه وأجبت دعوة من به يتشفـــع

اجعل لنا من كل ضيق مخرجـــًا والطف بنا يا من إليه المرجع

ثم الصلاة على النبي وآلـــــــــه خير الخلائق شافع ومشفّـــع

***- وهذا ملخص شامل جامع نافع لجميع آداب الطريق لكل مريد صادق سالك:-**

*- وهذا الملخص الشامل الجامع النافع المانع لجميع الآداب المطلوبة والضرورية لكل مريد سالك صادق يبغي الوصول، وبلوغ المقصود والمأمول، وفيها يقول الشيخ الكبير أبو مدين الغوث قدس الله تعالى سره:-

ما لذة العيش إلا صحبة الفقـــــرا هم السلاطين و السادات والأمـــــــرا

فاصحبهمُ وتأدب في مجالسهـــــم وخلِّ حظك مهما قدمـــــــــوك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائمًا معهم واعلم بأن الرضا يختص من حضـــرا

ولازم الصمت إلا إن سئلت فقـــل لا علم عندي وكن بالجهل مستتـــــرا

ولا تَرَ العيب إلا فيك معتـــــــقداً عيباً بدا بيّناً لكنه استتـــــــــــرا

وحطَّ رأسك واستغفر بلا سبـــــبٍ وقف على قدم الإنصاف معتـــــذرا

وإن بدا منك عيب فاعتذر وأقـــم وجه اعتذارك عما فيك منك جـــرى

وقل عبيدكمُ أولى بصفحكـــــــمُ فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقـــــــرا

هم بالتفضل أولى وهو شيمتهـــم فلا تخف دركًا منهمُ ولا ضـــــررا

وبالتغني على الإخوان جد أبـــداً حسّاً ومعنىً وغض الطرف إن عثـرا

وراقب الشيخ في أحواله فعســـــى يرى عليك من استحسانه أثـــــــرا

وقَدِّمِ الجِدِّ وانهض عند خدمتـــــه عساه يرضى وحاذر أن تكن ضجــرا

ففي رضاه رضا الباري وطاعتـــه يرضى عليك فكن من تركه حـــــذرا

واعلم بأن طريق القوم دارســـــة وحال من يدعيها اليوم كيف تـــــرى

متى أراهم وأنى لي برؤيتهـــــم أو تسمع الأذن مني عنهمُ خبـــــرا

من لي وَأَنَّى لمثلي أن يزاحمهـــمْ على موارد لم آلفْ بها كـــــــدرا

أحبهم وأداريهم وأوثرهـــــــــم بمهجتي وخصوصًا منهمُ نفـــــرا

قوم كرام السجايا حيث ما جلســوا يبقى المكان على آثارهم عطـــــرا

يهدي التصوف من أخلاقهم طرفـًا حسن التألف منهم راقني نظـــــرا

هم أهل ودي وأحبابي الذين هـــمُ ممن يجر ذيول العز مفتخـــــــرا

لا زال شملي بهم في الله مجتمعــا وذنبنا فيه مغفورًا ومغـتفـــــــرا

ثم الصلاة على المختار سيدنـــا محمد خير من أوفى ومن نـــــذرا

*- قال الشيخ تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه ونفعنا به في شرح قصيدة سيدي أبي مدين الغوث:-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:- الحمد لله المنفرد بالخلق والتدبير، الواحد في الحكم والتقدير، الملك الذي ليس له في مُلكه وزير، المالك الذي لا يخرج عن مُلكه صغير ولا كبير، المتقدس في كمال وصفه عن الشبيه والنظير، المنزَّه في كمال ذاته عن التمثيل والتصوير، العليم الذي لا يخفى عليه ما في الضمير، { أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرْ }، العَالِم الذي أحاط عِلمه بمَبادِئ الأمور ونهاياتها، السميع الذي فصل في سمعه بين ظاهر الأصوات وخفاياها، الرازق وهو المُنعم على الخليقة بإيصال أقواتها، القيوم المتكفل بها في جميع حالاتها، الوهاب وهو الذي منَّ على النفوس بوجود حياتها، القدير وهو المعيد لها بعد وفاتها، الحسيب وهو المُجازي لها يوم قدومها عليه بحسناتها وسيئاتها، فسبحانه من إله مَنَّ على

العباد بالجُودِ قبل الوُجود، وقام بهم بأرزاقهم على كلتا حالاتهم من إقرار وجحود، ومَدَّ كل موجودٍ بوجودِ عطائِهِ، وحفظ وجود العالم بإمداد بقائه، وظهر بحكمته في أرضه، وقدره في سمائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبدٍ مفوّضٍ لقضائه ومسلّمٍ له في حُكمِهِ وإمضائِهِ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ المفَضَّل على جميع أنبيائه، المخصوص بجزيل فضله وعطائه، الفاتح الخاتم وليس ذلك لسواه، الشافع لكل العباد حين يجمعهم الحق لِفصلِ قضائه، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المستمسكين بولائه، وسلم تسليما كثيراً.

*- اعلم يا أخي جعلك الله من أهل حُبِّه، وأتحفك بوجود قربه، وأذاقك من شراب أهل وُدِّهِ، وَأَمَّنَكَ بدوام وصْلتِهِ من إعراضه وصَدِّهِ، ووصَلك بعباده الذين خَصَّهم بمراسلاته، وجَبَرَ كسرَ قلوبهم لَمَّا علموا أنه لا تدركه الأبصار لنور تجلياته، وفتح لهم رياض القرب وهبَّ منها على قلوبهم واردات نفحاته، أشهدهُم سابقَ تدبيرِهِ فيهم فَسَلَّمُوا إليه القياد وكشَفَ عن خفي لطفه في منعه فتركوا المنازعة والعناد، فهم مستسلمون إليه، ومتوكلون عليه.

*- أما بعد، فقد قال رسول الله ﷺ:- (يُحشَر المَرءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فليَنظُر أحُدُكم مَن يُخَالِل)، فإذا علمت أيها الأخ الشقيق، فلا تخالل إلا من ينهضك حالهُ، ويَدُلك على الله مقالهُ، وذلك هو الفقير المتجرّد عن السِّوى، المقبل على المولى، فليست اللذة إلا مخاللته، ولا السعادة إلا خدمته ومصاحبته، فلذلك قال الشيخ العارف المتمكن أبو مدين الغوث رضي الله تعالى عنه:-

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والأمرا

*- أي ما لذة عَيشِ السالك في طريق مولاه إلا صحبة الفقراء، والفقراء جمع فقير، والفقير هو المتجرد عن العلائق، المعرض عن العوائق، لم يبقَ له قبلة ولا مقصد إلا الله تعالى، وقد أعرض عن كل شيء سواه، وتحقق بحقيقة (لا إله إلا الله - محمد رسول الله) فمثل هذا مصاحبته تذيقك لذة الطريق، وتريق في جميع فؤادك من شراب القوم أهنى رحيق، ويعرفك الطريق، ويقطع لك العقاب ويزيل عن قلبك التعويق،

وينهضك بهمَّتِهِ ويرفعك إلى أعلى الدرجات، ومن كان كذلك فهو السلطان على الحقيقة، والسيد على أهل الطريقة، والأمير على أهل البصيرة.

*- فلا تخالف أيها السالك طريقه، واجتهد أيها السالك المُجِدُّ في تحصيل هذا الرفيق، واصحبه وتأدب في مجالسه، وَيُزِيْلُ عنك ببركة صحبته كل تعويق.

كما قال رضي الله تعالى عنه:-

فاصحبهمُ وتأدب في مجالسهـــــم وخلِّ حظك مهما قدمـــــــوك ورا

*- أي اصحب الفقراء، وتأدب معهم في مجالستهم فإنَّ الصحبةَ شبحٌ، والأدبَ رُوْحُهَا، فإذا اجتمع لك بين الشبح والروح حُزتَ فائدة صحبته، وإلا كانت صحبتك ميتة فأي فائدة ترجوها من الميت.

*- ومن أهم آداب الصحبة أن تخلف حظوظك وراءك ولا تكن همتك مصروفة إلا لامتثال أوامرهم فعند ذلك يُشْكَرُ مسعاك، فإذا تخلقت بذلك فبادر واستغنم الحضور وأخلص في ذلك ترفع درجتك وتعلو همتك والقصور، كما قال رضي الله عنه:-

واستغنم الوقت واحضر دائمًا معهم واعلم بأن الرضا يختص من حضرا

*- أي واستغنم وقت صحبة الفقراء واحضر دائمًا معهم بقلبك وقالبك تسري إليك زوائدُهُمْ، وتغمرُكَ فوائدُهُمْ، وينضحُ ظاهرُكَ بالتأدب بآدابهم، ويشرقُ باطنُكَ بالتحلي بأنوارهم، فإن من جالس جانس، فإن جلست مع المحزون حزنت، وإن جلست مع المسرور سُرِرت، وإن جلست مع الغافلين سَرَت إليك الغفلة، فإنهم القوم لا يشقى جليسهم، فكيف يشقى خادمهم ومحبهم وأنيسهم وما أحسن ما قيل:-

لـي سادة من عـــــزهم أقدامهم فوق الجبـــــاه

إن لم أكن منهم فلـــــي في حبهم عِزٌ وجـــــاه

*- واعلم أن هذا الرضا، وهذا المقام يخصُّ من حضر معهم بالتأدب، وخرج عن نفسه، وَتَحَلَّى بالذلة والانكسار، فاخرجْ عنك إذا حضرت بين أيديهم، وانطرحْ وانكسِر إذا حللت بناديهم، فعند ذلك تذوق لذة

الحضور، واستعن على ذلك بملازمة الصَّمت، تشرقْ لك أنوارُ الفرح، ويغمرْك السرورُ كما قال رضي الله عنه:-

ولازم الصمت إلا إن سئلت فقــل لا علم عندي وكن بالجهل مستتــرا

*- الصَّمت عند أهل الطريقة من لازمه ارتفع بنيانه، وتمَّ غِراسه، وهو نوعان:- صمتٌ باللسانِ، وصمتٌ بالجَنان، وكلاهما لا بدَّ منه في الطريق، فمن صمت قلبه ونطق لسانه- ''نَطَقَ بِالْحَكْمَةِ''، ومن صمت لسانه وصمت قلبه- ''تَجَلَّى له سِرُّهُ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ''، وهذا غاية الصمت، وكلام الشيخ قابل لذلك، فالزم الصمت أيها السالك إلا إن سُئِلت، فإن سُئِلتَ فارجع إلى أصلِك ووصلك، وقل لا علم عندي واستترْ بالجهل، تشرقْ لك أنوارُ العلمِ اللدنيّ، فإنك مهما اعترفت بجهلك ورجعت إلى أصلِك لاحتْ لك معرفةُ نفسك، فإذا عرفتها عرفت ربك، كما روي في الحديث:- { مَن عَرفَ نفسَهُ عَرفَ رَبَّهُ }.

*- تعليق:- ''هذا ليس بحديث، وإنما هو من كلام يحيى بن معاذ الرازي''، وللإمام السيوطي فيه رسالة اسمها:- "القول الأشبه في ''من عرف نفسه فقد عرف ربه'' موقع المسلم"، وكلُّ ذلك من فوائد الصمت ولزوم آدابه، فاصمتْ وتأدبْ ولازمِ البابَ تكنْ مِنْ أَحْبَابِهِ، وما أحسن ما قيل:-

لَا أَبْرِحُ البابَ حتى تُصْلِحُوا عِوَجِي وَتَقْبَلُونِي عَلى عيبي وَنُقْصَانـــي

فإنْ رَضِيْتُمْ فَيَا عِزّيْ وَيَا شَرَفِـــي وإنْ أبيتمْ فمنْ أرجو لعصيانـــي

*- فانهضْ أيُّها الأخُ إلى باب مولاك بهمَّةٍ عليةٍ، وتحققْ بعبوديتك تشرقْ عليك أنوارُهُ السنية، كما أشار إلى ذلك الشيخ رضي الله عنه بقوله:-

ولا تَرَ العيب إلا فيك معتقـــداً عيباً بدا بيّناً لكنه استتـــــرا

*- أي تحقق بأوصافك من فقرك وضعفك وعجزك وذلتك، فإذا تحققت بأوصافك وشَهِدتْ لنفسك عيوباً لكنها مستترة، فعند ذلك تحظى بظهور أوصاف مولاك فيك، كما قيل:- (سُبحانَ مَن سَترَ سِرَّ العُبُودية)، وأفهمُ مِنْ هُنَا سِرَّ معنى قَوْلِهِ تعالى:- { سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبدِهِ }، ولم يَقل برسوله ولا بنبيّهِ، أشار إلى ذلك المعنى الرفيع الذي لا ينال إلا من العبودية لذلك قيل:-

لا تدعني إلا بيا عبدهـــــــــا فإنه أشرف أسمائـــــــــــــي

*- فانكسِرْ - أيها الأخ وانطرح بالطريق ولا ترَ لك حالًا، ولا مقالًا يَزُلْ عنك كل تعويق، واستغفرْ من كل ما يخطر بقلبك في عبوديتك، وقُمْ على قدمِ الاعتراف، وأنصِفْ من نفسك تبلغْ أعلى درجات المنازل، وَتَغْنَى بشريتك كما قال رضي الله عنه:-

وحطَّ رأسك واستغفر بلا سبـــــب وقف على قدم الإنصاف معتـــذرا

*- أي تواضعْ وانكسرْ، وحُطَّ أشرف ما عندك، وهو رأسك في أخفض ما يكون وهي الأرض لتحوز مقام القرب، كما ورد في الحديث:- { أقرَبُ ما يَكُونُ العَبدُ إلى اللهِ تعَالى وَهو سَاجِدِ }، لأن قُرب العبد بتواضعه وانكساره وخروجه عن أوصاف بشريته، واشهد نفسك دائماً مُذنباً، ولو لم يظهر عليك سبب الذنب، فإن العبد لا يخلو من تقصير، وقِفْ على قدَمِ الإنصاف من ذنوبك خجلًا من سيئاتك وعيوبك، فإن من عامل المخلوق هذه المعاملة أحبَّهُ ولم يشهد له ذنباً وكانت مساويه عنده محاسن، فكيف إذا عامل بهذه المعاملة صاحبه الحقيقي الذي إذا تحققه ليس له صاحب سواه، كما ورد في الحديث:- { اللهم أنتَ الصَّاحِبُ في السَّفر، والخلِيفة فِي الأهلْ والمَال والولَد }.

*- فتأهب أيها الأخ الحبيب لهذه المعاملة مع إخوانك الفقراء، لتصير لك معراجاً تتوصل بها إلى معاملة ربِّ السماء، وتكون مقبولاً عند الخلق والخالق وتصفو لك المعاملة، وتشرق عليك أنوار الحقائق قال رضي الله عنه:-

وإن بدا منك عيب فاعتذر وأقـــــم وجه اعتذارك عما فيك منك جـــرى

وقل عبيدكمُ أولى بصفحكـــــــــمُ فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقـــــــرا

هم بالتفضل أولى وهو شيمتهـــــم فلا تخف دركًا منهمُ ولا ضـــــــررا

*- أي لِيكن شأنك دائماً التواضع والانكسار وطلب المعذرة والاستغفار، سواء وقع منك ذنب أو لم يقع.

*- وإن بدا منك عيبٌ أو ذنبٌ فاعترفْ واستغفرْ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وليس الشأن

أن لا تذنب، إنما الشأن أن لا تصِرَّ على الذنب كما ورد:- { أَنِينُ المُذنِبينَ عِندَ الله خَيرٌ مِن زَجَلُ المُسَبحِين عَجَباً وافتخَارا }.

*- تعليق:- ''هذا ليس بحديث''، "موقع المسلم"، ولذلك قلتُ في الحِكَمْ:- (رُبَّمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ الطَّاعَةِ وَمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ القَبُولِ، وَقَضَى عَلَيْكَ بِالذَّنْبِ وَكَانَ سَبَباً لِلْوُصُولِ)، ولله در القائل:- (رُبَّ معصِيةٍ أورثتْ ذُلًّا وانكِسَاراً، خَيْرٌ مِنْ طاعةٍ أورثتْ عِزًّا واستكبَاراً)، ومع اعترافك واستغفارك أقِمِ وجه اعتذارك عما جرى منك فيكون ذلك مُمْحِياً للذنب وأدخل في القبول.

*- وذُلَّ وتواضَعْ وانكسِرْ وقلْ عبيدكمُ أولى بصفحِكُمُ لأن العبد ليس له إلا باب مولاه، وما أحسن ما قيل في ذلك المعنى البديع:-

ألقيتُ في بابكم عنانـــــــــــي ولـمْ أُبَالِ بما عنانـــــــــــــي

فزالَ قبضي وزاد بسطـــــــــي وانقلبَ الخوفُ بالأمانـــــــــــي

*- فسامحوا عُبَيْدَكمْ يا فقرا، وخذوا بالرفق وعاملوني به، فإني عبد فقير لا يصلحني إلا المعاملة بالرفق والفضل، ولا اعتماد لي إلا على الفضل، لا بحولي ولا بقوتي، ومذهبي العجز والسلام.

*- ثم قال رضي الله تعالى عنه، إنهم أولى بهذا الشيء، وهو شِيمتهم ولم يزالوا متفضلين، وهذه معاملتهم مع أصحابهم، وهي سجيتهم وكيف لا تكون سجيتهم وهم متخلقون بأخلاق مولاهم، كما ورد في الحديث:- {تخَلقوا بأخْلاقِ الله}.

*- فلا تخف منهم ضررًا، أيها السالك المصاحب لهم، وتمسَّك بأذيَالهم:- {فإنَّهُمُ القومُ لا يَشقَى جَلِيسَهُم}، فإذا عرفت ذلك أيها السالك، فتخلق بأخلاقهم الكريمة، وجُد بالتغني عن الإخوان، وغضَّ الطرف عن عثراتهم تكن آخذًا من أوصافهم أحسن هيئة، وقال رضي الله عنه:-

وبالتغني على الإخوان جد أبـــداً حسًّاً ومعنىً وغضَّ الطرف إن عثـــــرا

*- أي:- تكرَّمْ على إخوانك، وجُد عليهم أبدًا، أما في الحِسِّ فببَذلِ الأموال، وأما في المَعنى فبصرف همَّة الأحوال، ولا تبخل عليهم بشيء يمكنك إيصاله إليهم، فإن السماحة لبُّ الطريق، ومن تخلق بها فقد زال عن قلبه كل تعويق.

*- قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه:- إخواني وأحبابي:- ما وصَلتُ إلى الله تعالى بقيامِ ليلٍ، ولا بصيامِ نهارٍ، ولا بدراسةِ علمٍ، ولكنْ وصلتُ إلى الله بالكرمِ والتواضعِ وسلامةِ الصَّدرِ.

*- فدَلَّ كلام الشيخ رضي الله عنه، أن الكرم هو الأساس، وأن التواضع يتم للسالك به الغراس، فإذا تَمَّ له هذان سلم صدره من العلائق، وزال عن طريقه كل عائق، ولذلك ورد في الحديث:- { إنَّ في الجنة لغُرَفاً، يُرى ظاهِرها مِن باطِنها، وباطنُها من ظاهِرها، أعدَّها الله تعالى لِمَنْ ألانَ الكَلام، وأطعَمَ الطعام وتابَعَ القِيام وصَلى بالليل والناسُ نِيام }.

*- فتأمل هذا الحديث، يا أخي:- حيث بدأ ﷺ بِإِلَانَةِ الكلامِ وهو إشارة إلى التواضع، ثم ثَنَّى بإطعام الطعام، وهو إشارة إلى الكرم، ثم أتى بعد ذلك بالصَّلاة والصِّيام كما أشار إليه الشيخ عبدالقادر، فانهضْ أخي الحبيب إلى هذه المآثر، وبادرْ واجمعْ معها حُسْنَ مكارم الأخلاق، وغُضَّ الطرف عن مساوئ الإخوان إن وقفت منهم على عثرة، ولا تشهد إلا محاسنهم، كما قال رضي الله عنه في حكمه الفتوحية:- (رؤية محاسن العبيد، والغيبة عن مساويهم، ذلك شيء من كمال التوحيد).

كما قيل في ذلك:-

إذا ما رأيتَ اللهَ في الكلِّ فاعـــــلاً رأيتَ جميعَ الكائناتِ مِلَاحَـــــــــــــا

*- فإذا تخلقت أيها الأخ الكريم بهذه الخصال الشريفة، فقد تأهلتَ للإقبال على الشيخ فانهض إلى عتبة بابه، وراقبه بهمَّة منيفة، كما أشار إلى ذلك الشيخ رضي الله عنه بقوله:-

وراقب الشيخ في أحواله فعســـــى يرى عليك من استحسانه أثـــــــــــرا

*- أي:- إذا تَخَلَّقْتَ بما تقدم من الآداب، ووصلت بافتقارك وانكسارك إلى الشيخ، وتمسَّكْتَ بأثر تلك الأعتاب فراقبْ أحواله، واجتهدْ في حصول مراضيه، وانكسِرْ واخضعْ له في كل حين، فإنه الترياق

والشفاء، وإن قلوب المشايخ ترياق الطريق، ومن سَعِد بذلك تمَّ له المطلوب وتخلص من كل تعويق.

*- واجتهد أيها الأخ الحبيب في مشاهدة هذا المعنى فعسى يرى عليك من استحسانه لحالك أثراً، قال بعضهم:- من أشد الحرمان أن تجتمع مع أولياء الله تعالى ولا تُرزق القبول منهم، وما ذلك إلا لسوء الأدب منك، وإلا فلا بُخل من جانبهم ولا نقص من جهتهم، كما قلتُ في الحكم:-

''ما الشأن وجود الطلب، إنما الشأن أن تورث حُسن الأدب''.

*- زار بعض السلاطين ضريح أبي يزيد البسطاميّ رضي الله عنه وقال:- هل هنا أحد ممن اجتمع بأبي يزيد؟ فأشير إلى شيخ كبير في السِّن كان حاضراً هناك، فقال له:- هل سمعت شيئًا من كلامه؟ قال:- نعم، قال:- (من زارني لا تحرقه النار)، فاستغرب السلطان ذلك الكلام، فقال:- كيف يقول أبو يزيد ذلك وأبو جهل رأى النبي ﷺ وهو تحرقه النار، فقال ذلك الشيخ للسلطان:- أبو جهل لم يرَ النبي ﷺ وإنما رأى يتيم أبي طالب، ولو رآه ﷺ لم تحرقه النار، ففهم السلطان كلامه وأعجبه هذا الجواب منه، أي إنه لم يره بالتعظيم والإكرام ومعرفة قدره العظيم، واعتقاد أنه رسول الله ﷺ، ولو رآه بهذا المعنى لم تحرقه النار، ولكنه رآه باحتقارٍ وازدراءٍ واعتقاد أنه يتيم أبي طالب، فلم تنفعه تلك الرؤية، وأنت يا أخي، لو اجتمعت بقُطبِ الوقت ولم تتأدبْ لمْ تنفعْكَ تلك الرؤية، بل كانت مضرَّتها عليك أكثر من منفعتها، فتأدبْ بين يدي الشيخ، واجتهدْ أن تسلك أحسن المسالك، وخذْ ما عرفتَ بجدٍّ واجتهادٍ، وانهضْ في خدمته، وأخلصْ في ذلك لتسودَ مَعَ مَنْ سَادَ، كما قال:-

وقَدِّمِ الجِدَّ وانهض عند خدمتـــــــــه عساه يرضى وحاذر أن تكن ضجـــــرا

ففي رضاه رضا الباري وطاعتـــــــه يرضى عليك فكن من تركه حـــــــذرا

*- أي انهض في خدمة الشيخ بالجدِّ فعساك تحوز رضاه فتسُود مع من ساد، واحذر أن تضجر، ففي الضَّجر الفساد، ولازم أعتاب بابه في الصباح والمساء لتحوز منه الوداد، وما أحسن ما قيل:-

اصبر على مضض الإدلاج في السحر وللنذور على الطاعات بالبكـــــــــر

وقل من جدَّ في أمرٍ يؤملـــــــــه ما استصحب الصبر إلا فاز بالظفـــر

*- فإن ظفرت أيها السالك الحبيب برضاه رضي الله تعالى عنك ونلت فوق ما تمنيت.

*- فاستقمْ في رضاءِ شيخِكِ وطاعتِهِ تظفرْ بطاعة مولاك ورضاه، وتفزْ بجزيل كرامته.

*- وعُضَّ بالنواجذ على خِدمة الشيخ إن ظفرت بالوصول إليه، واعلم أن السعادة قد شملتك من جميع جهاتك، إذا عرفك الله تعالى به، وأطلعك تعالى عليه فإن الظفر به هو والله عين السعادة والقبول.

*- لكن هذا كله إذا ساعدتك العناية ظفرتَ وشمَمْتَ من نفحة طيبة ما يفوق المِسك الأذفر، ولذلك قال رضي الله تعالى عنه وعنا به، آمين:-

واعلم بأن طريق القوم دارســـــــــة وحال من يدعيها اليوم كيف تـــــــرى

متى أراهم وَأَنَّى لي برؤيتهـــــــــم أو تسمع الأذن مني عنهمُ خبـــــــــرا

من لي وَأَنَّى لمثلي أن يزاحمهـــــــم على موارد لم آلَف بها كـــــــــــدرا

أحبهم وأداريهم وأوثرهـــــــــــــم بمهجتي وخصوصًا منهمُ نفـــــــــــرا

*- وهنا شرع الشيخ رضي الله تعالى عنه يشوق السالك إلى طريق أهله، ويخبرهم أن طريقهم دارسة، وحال من يدعيها اليوم كما ترى في الفترة حتى كادت الهمم تكون من الطلب آيسة، وهكذا شأن طريق القوم لعزتها، كأنها في هذا العصر مفقودة، ولا يظفر بها إلا الفرد بعد الفرد، وهذه سنة معهودة، وذلك أن الجوهر النفيس لا يزال عزيز الوجود، يكاد لعزته يُحكَم بأنه ليس موجود، والطريق أهلها ''مُخْفَوْنَ'' في العالم خفاء ليلة القدر في شهر رمضان، وخفاء ساعة الجمعة في يومها حتى يجتهد الطالب في طلبه بقدر الإمكان، فإنَّ من جَدَّ وَجَدَ، ومن قرع الباب وَلَجَّ ولَج.

*- قلتُ:- بعدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ لَا بُدَّ من الشيخ في الطريق على سبيل السؤال والجواب، كيف تأمرنا بذلك وقد قيل إن وجود الشيخ كالكبريت الأحمر وكالعنقاء، من ذا الذي بوجودها يظفر، كيف تأمرني بتحصيلِ مَن هذا شأنُهُ، فقال:- لو صدقتَ في الطلب وكنتَ في طلبه كالطفل والظمآن لا يقرُّ لهم قرار ولا تسكن لوعتهم حتى يظفروا بمقصودهم، فأشار الشيخ رضي الله عنه وأرضاه إلى أن الشيخ موجود، وكيف لا

يكون موجودًا وعمارة العالم بأمثاله، فإن العالَمَ شخصٌ والأولياء روحه، فما دام العالَمُ موجوداً لا بدَّ من وجودهم، لكن لشدَّة خفائهم وعدم ظهورهم حُكِمَ بفقدانهم.

*- فاجتهدْ واصدقْ في الطلب تجدِ المطلوب، واستعِنْ على ذلك الطلب بمَدَدِ علام الغيوب، فإن الظفر لا يحصل إلا بمجرَّد فضله، وإذا أوصلك إلى الشيخ فقد أوصلك إليه كما قلت في الحكم:- (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه).

*- ثم إن الشيخ رضي الله عنه، كما ذكر عزة الطريق، وفقدان أهلها شرع يتأسف على الاجتماع بهم ويتمناه، ويستبعد من نفسه حصول ذلك، والتشرف بلقائه تواضعًا منه وانكساراً وهضماً لنفسه واحتقاراً.

*- وهذا شأن العارف لنفسه بنفسه، الممتلئ من معرفة ربه، المُتَحَلِّي بواراداتِ قُدُسِهِ، لأنه لا يرى لنفسه حالًا ولا مقالًا، بل يرى نفسه أقل من كل شيء وهو هو النظر التام، كما قيل:-

إذا زادَ علمُ المرءِ زادَ تواضعـــــــًا وإنْ زادَ جهلُ المرءِ زادَ تَرَفُّعَـــا

وفي الغصنِ عنْ حملِ الثمارِ منالــه فإنْ يَعْرُ منْ حملِ الثمارِ تمنُّعا

*- فانظر إلى الشيخ أبي مدين ورفعته في الطريق مع أنه وصل من تربيته اثنا عشر ألف مريد، وانظر إلى هذا التَّنَزُّلِ منه والتَّدَلِّيْ بأغصان شجرة معرفته إلى أرض الخضوع والانكسار حتى أنه لم يرَ نفسه أهلًا للاجتماع بأهل هذه الطريقة، ويزيده هذا الانخفاض من الارتفاع، لأن الشجرة لا يزيدها انخفاضها في عروقها إلا ارتفاعًا في رأسها.

*- فتواضعْ في الطريق، وخذْ هذا الأصل العظيم من هذا العارف المتمكن يزل عنك كل تعويق.

*- ثم قال رضي الله عنه بعد ذلك:- (أحبهم إلى آخره)، أي وإن لم أكن أنا منهم فإني أحبهم، ومن أحبَّ قومًا فهو منهم، كما ورد في الحديث:- { المَرءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ }، كما قيل:-

أُحِبُّ الصالحينَ وَلَسْتُ منهـــم لعلي أنْ أنالَ بهم شفاعـــــة

وأكرهُ منْ بضاعته المعاصـــي وإنْ كُنَّا سواءً في البضاعـــة

*- وهذه خصال القوم وصفاتهم، ولذلك ارتفعت رتبهم، وجزلت عطيتهم كما وصفهم رضي الله عنه بقوله:-

قوم كرام السجايا حيث ما جلسوا يبقى المكان على آثارهم عطرا
يهدي التصوف من أخلاقهم طرفًا حسن التألف منهم راقني نظرا
هم أهل ودي وأحبابي الذين همو ممن يجر ذيول العز مفتخرا
لا زال شملي بهم في الله مجتمعًا وذنبنا فيه مغفورًا ومغتفرا
ثم الصلاة على المختار سيدنا محمد خير من أوفى ومن نذرا

*- أي قوم سجاياهم كريمة وهمتهم عظيمة، حيثما جلسوا تبقى آثار نفحات عطرهم في المكان ظاهرة، وأينما توجهوا سطعت شمس معارفهم فتشرق القلوب، وتصلح بهم الدنيا والآخرة، يهدي التصوف للسالك المشتاق من أخلاقهم طرفًا مجيدة تدل على الطريق ويسير في سلوكه سيرة حميدة، فلذلك جمعوا أحسن تأليف، حتى راق كل ناظر وجَدُّوا في أكمل معنى لطيف، حتى اكتحلت بكحل إثمدهم أنوار البصائر.

*- وكذلك قال الشيخ رضي الله عنه بعد ذلك:- (هم أهل ودي وأحبابي) إلى آخره فإن الشخص لا يحب إلا من جانسه ولا يَوَدُّ إلا من كان بينه وبينه مؤانسة.

*- وفي هذا الكلام إشارة إلى أنه رضِي الله عنه من جملتهم وطينته من طينتهم، وما تقدم منه في التواضع والانكسار دليل على التحقيق في هذا المجد والفخار كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، فنسأل الله تبارك وتعالى أن يسلك بنا أحسن المسالك، ثم دعا وسأل أنه لا يزال شمله بهم في الله تعالى، وذنبه مغفورًا، ونحن نسأله أيضًا إتمام الصلاة والسلام على سيدنا محمد المختار خير من أوفى ومن نذر، ومن أكرم الجار وعلى آله وصحبه السادة الأخيار الأبرار والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وكل هذا العطاء الإلهي، والفيض الرباني، والكرم الإحساني من المولى القدير جلَّ وعلا، لمنْ تَعَطَّشَ ليله في معاني هذه الأبيات، وإلا فنحن معترفون بالعجز والتقصير عن معانيها وإنما الأعمال بالنيات، والله تبارك وتعالى أجلُّ أعلم.

*- ولله در شيخنا الجليل إذ يقول:- {سألتك يا رب بجاه حبيبك المصطفى أن تحفظني على ودهم، وأعوذ بك من ردة أو ضلال}.

*- اللهم ارزقنا حبهم وحب من يحبهم، والحب الذي يبلغنا حبهم ابتغاء مرضاتك يا أركم من سئل ويا خير من أجاب، لأن المرء يحشر يوم القيامة مع من يحب، فنشهدك يا الله أننا نحب أحبابك، وأولياءك وخيرة من خلقك، وصفوتك من عبادك، ومحل نظرك من بريتك، وعيونك في أرضك، اللهم احشرنا في زمرتهم، وفي معيتهم، وتحت رايتهم، تحت لواء الحمد مع خير الرجال ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا ومولانا رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام.

البـــــاب الخامـــــــس

''البيعـــــة المحمديـــــة''

ومشروعيتها في الإسلام

أو ما يُسَمَّى ''بالعهد''

*- البيعـــــة ومشروعيتهـــــا فـــــي الإســـــلام:-

*- البيعة هي التوبة الصادقة والعزم على طاعة الله تعالى على أكمل وجه لتطهير النفس من الشوائب، ولا يكون ذلك إلا عن طريقِ مرشدٍ عارفٍ بالله العظيم عزَّ وجلَّ.

*- قال الله سبحانه وتعالى:- {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}،(سورة الفتح:-١٠)، وقال الله سبحانه وتعالى:- {وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}،(سورة الإسراء:-٣٤)، وقال تعالى:- {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}،(سورة الأحزاب:-٢٣).

*- وقال رسول الله ﷺ:- ''من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية'' - رواه مسلم في صحيحه-، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام:- ''كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته'' - رواه البخاري في صحيحه-، ذلك بأنّ النور المحمدي لم يُرفع بانتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، بل انتقل إلى ورثته من الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم، والتابعين من بعدهم جيلًا بعد جيل، فما زال هذا النور ينتقل بين أولياء الله والعارفين به، والمتمسكُ بهم سائرٌ على نهجِ الحبيب المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والصادق مع أحدهم صادق مع الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى بعبده خيرًا قيّض له حالًا يسوقه إلى عارفٍ بالله عزَّ وجلَّ، فلا بد له من مرشدٍ يصلُ به إلى معرفة ذي العزة والجبروت، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:- {مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا}،(سورة الكهف:-١٧)، وقال الله سبحانه وتعالى:- {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا}،(سورة البقرة:-١٨٩)، فيتضح من خلال الآية الكريمة أننا لا نستطيع دخول البيت إلا عن طريق مدخله، والدخول على الحضرة الإلهية لا يكون إلا من باب الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كما قال الله عز وجلَّ في الحديث القدسي لحبيبه المصطفى ﷺ:- { وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، ما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك}، لأنه لا دخول على الله تعالى إلا من بابه ﷺ، وخاسر من بغيره اقتدى، وباب الدخول إلى

حضرة الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد ﷺ هم العلماء الربانيون والوُرَّاثُ المحمديون، كما قال ﷺ:- { العلماء ورثة الأنبياء }، وبناءً على هذا فإن دخول الجنة والفوز بالآخرة لا يتم الحصول عليهما إلا عن طريق شيخٍ ومرشدٍ عارفٍ بالله يقوم على تنقية نفوس مريديه من الشوائب والرذائل.

*- وإذا أراد الله عزَّ وجلَّ، بعبده خيرًا بصَّره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخفَ عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، لكنَّ أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم، يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه، فمن أراد أن يعرف عيوبه، فليجلس بين يدي شيخٍ بصيرٍ ومطلعٍ على خفايا الآفات، ويحكّمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته، فيعرفه عيوب نفسه ويعرّفه أيضًا بطريق العلاج، فينظر بقرينة الحال إلى باطنه، ليتفطن إلى أخلاقه وأمراض قلبه.

*- وفي هذا المعنى الجليل يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره، طيب الله ثراه مؤكدًا على ضرورة أخذ العهد { أو ما يسمى البيعة المحمدية } من الشيخ المربي العارف بالله تعالى والالتزام به التزامًا تامًّا فيقول:- '' النفس يا ولدي كفرسٍ تجمحُ في جبالٍ ووديانٍ، هالكةٌ هي لا شك ومهلكةٌ إن كانت بغير لجامٍ وعنانٍ، وما لجام النفس إلا العارف بالله الواحد الديان، وعنانها العهد الذي أخذته منه على أن تخالف النفس والشيطان، سبحان من برحمته أظهر الحب والعرفان، لم يظهرهم عبثًا سبحانه اتصف بكل كمال وتنزه عن كل نقصان، بل جعلهم أسوة للناس على طريق الحق والإيمان، فابحث عنهم ولازم مجالسهم وخذ عنهم، ولا تكابر طاعة لنفسك، وتأدب معهم، واجعل مخرجًا ونجاة في قوله تعالى:- { وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ }، صدق الله العظيم.

*- وعلماء الباطن هم علماء الحقيقة، لتمسكهم بالتقوى والاشتغال بها على الوجه المراد، حيث قال الله سبحانه وتعالى في حقهم:- {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}، (سورة العنكبوت:-٦٩)، وقال الله سبحانه وتعالى:- {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا}، (سورة الجنّ:-١٦).

*- وقد بايع الرسول ﷺ الرجال والنساء وحتى من لم يحتلم، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:- ''بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك'' - رواه البخاري في صحيحه-.

*- أما عن بيعة النساء، فعن أميمة بنت رقيقة قالت:- ''أتيت رسول الله ﷺ في نسوة يبايعنه، فقلت:- نبايعك يا رسول الله على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف، فقال رسول الله ﷺ:- فيما استطعتن وأطقتن، فقلت:- الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هَلُمَّ نبايعك يا رسول الله، فقال:- إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة'' - رواه البيهقي في السنن الكبرى-.

*- وقد نهجَ الصحابة رضوان الله عليهم بعد موت النبي ﷺ طريقة البيعة وأخذ العهد، وكانت بيعة أبي بكر وبيعة عمر رضي الله عنهما كبيعة النبي ﷺ، ثم نهج الوُرَّاثُ من مرشدي الصوفية منهج الرسول ﷺ في أخذ العهد في كل عصر.

ومن الأدلة الشرعية أيضًا على ضرورة البيعة المحمدية للمريد هو قوله تعالى:- {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}، (سورة الفتح:-١٥)، وقوله تعالى:- {وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}،(سورة الإسراء:-٣٤)، وقوله تعالى:- {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}،(سورة النحل:٩١)، وقوله تعالى:- {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}،(سورة إبراهيم:-٢٧).

*- وإنَّ أصل صورة البيعة ما ورد عن سيدنا علي كرم الله وجهه أنه سأل النبي ﷺ عن أقرب الطرق إلى الله سبحانه وتعالى وأسهلها، فقال له:- ''يا علي، عليك بمداومة ذكر الله عزَّ وجلَّ سرًّا وجهرًا''، فقال

سيدنا علي كرم الله وجهه:- ''كلُّ الناس ذاكرون يا رسول الله، وإنما أريد أن تخصني بشيء''، فقال رسول الله ﷺ:- "مه يا علي، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول:- الله، الله"، ثم قال سيدنا علي رضي الله عنه:- '' كيف أذكر يا رسول الله؟"، فقال رسول الله ﷺ:- ''أغمض عينيك واسمع مني- لا إله إلا الله- ثلاث مرات، ثم قل أنت- لا إله إلا الله- ثلاث مرات وأنا أسمع''، ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ومدّ صوته وهو مغمض عينيه وقال ''لا إله إلا الله'' ثلاث مرات وعلي يسمع، ثم إنّ عليًّا رفع رأسه ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال ''لا إله إلا الله'' ثلاث مرات والنبي ﷺ يسمع.

*- وإنّ للتلقين وأخذ العهد فوائد عديدة وحكمًا بالغة، منها ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ، ثم إلى الله عزَّ وجلَّ، وأقلّ ما يحصل للمريد الصادق إذا دخل سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرك حلقة نفسه تجاوبه حلقات السلسلة، وهي أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ، إلى ربه عزَّ وجلَّ، ومن لم يدخل في طريقهم بالتلقين فهو غير معدود منهم.

*- ومما سبق يتبين أنّ أخذ العهد (البيعة) تناقله المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، فوصل إلينا محققًا مسلسلًا مسجلًا.

*- هذا وإنّ التجربة العملية هي الدليل الأكبر على ما يثمره أخذ العهد من نتائج طيبة وآثار حميدة، ولهذا اعتصم به السلف وورثه عنهم صالحوا الخلف وسار عليه جمهور الأمة، فاللهم اجعلنا ممن وَفَّى بعهده الذي عاهد الله تعالى عليه على الصدق والطاعة والالتزام بمنهاج الله تعالى ورسوله الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ، وحافظ عليه بقدر الاستطاعة، ومات على ذلك، لعله يُحْشَرُ في معية الحبيب المصطفى سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، ممتثلًا قوله تعالى:- { مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا }،(الأحزاب:-٢٣)، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد عبد الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***- فتوى من الأزهر الشريف بخصوص العهد في الشريعة الإسلامية:-**

*- لقد سأل بعض الإخوة دار الإفتاء بالأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية عن أصل العهد في الشريعة المحمدية فقال:-

*- سمعنا أنه يوجد عند الصوفية ما يسمى بالعهد، فماذا يقصدون به؟ وهل لهذا العهد الصوفي وجهة شرعية، أو تخريج على أصول الشرع، أم إنه بدعة ما أنزل الله بها من سلطان؟

***- فقال فضيلة سماحة مفتى مشيخة الأزهر الشريف في فتواه ما نصه:-**

*- بسم الله، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد، فقد شاع بين الصوفية مصطلحات تدل على عمق العلاقة بين الشيخ والمريد، فسموا بداية الرباط بـ«العهد، البيعة، التحكيم، إلباس الخرقة، الطريق»، وهي ألفاظ لها دلالات تربوية سلوكية عميقة، تعني – بحسب الظاهر – ابتداء الرابطة بين المريد السالك والشيخ الكامل، وتعني – بحسب الحقيقة والباطن – ربط المريد بالمراد سبحانه وتعالى.

*- ويرجع العهد في اللغة إلى عدة معان منها:- الوصية، والضمان، والأمر، والرؤية، والمنزل، فكل ما عُوْهِدَ اللهُ عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق هو عهد، وأمر اليتيم من العهد، وكذلك كل ما أمر الله به ونهى عنه، وفي الصحيح في دعاء سيد الاستغفار:- ((وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)) [أخرجه البخاري].

*- وأما العهد في العرف الصوفي، فيقول الشيخ السهروردي:- إنه ارتباطٌ بين الشيخ والمريد، وتحكيمٌ من المريد للشيخ في نفسه لمصالح دينه ودنياه، يرشده ويهديه ويبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو، [عوارف المعارف للسهروردي:- ص٢٥١- ٢٦٠].

*- أو هو التزامُ قربةٍ دينيةٍ كالتزامِ الأنصار أنهم يحمون النبي ﷺ مما يحمون منه نساءهم وأولادهم، ولابد فيه من لفظٍ دالٍّ على المعاهدة، [أعذب المسالك المحمودية للشيخ محمود خطاب السبكي ٢/ ٢٤٥، ط. المكتبة المحمودية].

*- وحفظ العهد هو الوقوف عند ما حده الله تعالى لعباده:- فلا يفقد حيث أمر ولا يوجد حيث نهى، وحفظ عهد الربوبية والعبودية هو أن لا ينسب كمالًا إلا إلى الربِّ ولا نقصانًا إلا إلى العبد، [المعجم الصوفي دكتور محمد عبد المنعم الحفني ص١٩٠، ط. دار المسيرة- بيروت].

*- وفي معنى العهد أيضًا:- البيعة، فهي مدخل الصحبة المباركة بين الشيخ المرشد ومريد الوصول إلى معرفة الحق تبارك وتعالى، وبها يسري تأثير الشيخ في مريده بالحال والمقال، ويتحقق الرباط الوثيق الذي يستهدف تزكية النفس الإنسانية وصلاح القلب والروح.

*- وذلك لأنه لا يكفي عند الصوفية - في سلوكهم إلى طريق الله سبحانه وتعالى- مجرد العلم، فمجرد قراءة كتب التصوف عندهم بلا معاناة يعد متعة ذهنية، وثقافة عقلية، قد تشارك فيها النفس الأمارة بالسوء، فتكون طريقًا إلى الضلالة طردًا أو عكسًا، أما المنح الروحية من الله تعالى فهي نتيجة الجهود والأعمال؛ فالصوفية أرباب أحوال، لا أصحاب أقوال، وعندهم:- «لم ينل المشاهدة من ترك المجاهدة».

*- فالسائر في طريق الله سبحانه لا بد له من ترك المرغوبات والمألوفات، ومراعاة الأنفاس، ثم لا بد له من زاد، وهو التقوى، وسلاح يتقوى به على عدوه اللدود، وهو الذكر، ومركوب يقصر عليه وعثاء السفر، وهو الهمة.

*- ولا يستقيم السير مع كل هذا إلا بدليل، وهو الأستاذ الكامل المربي الفاضل، وقد اشتهرت عباراتهم:- «من لا شيخ له فالشيطان شيخه»، فمن أراد السلوك إلى الله على يد بعض الواصلين وقد يسر الله له من هو كذلك، فعليه أن يلزم نفسه طاعته والدخول تحت أوامره ونواهيه،[الفتاوى الحديثية للهيتمي ص٧٧، ط. الحلبي].

*- فإن المرشد يتعهد السائر إلى الله بالتوجيه ويرشده إلى الطريق الحق، ويضيء له ما أظلم من جوانب نفسه، حتى يعبد الله تعالى على بصيرة وهدى ويقين، فإن المريد يبايع المرشد، ويعاهده على السير معه في طريق التخلي عن العيوب والتحلي بالصفات الحسنة، والتحقق بركن الإحسان والترقي في مقاماته، وحفظ العهد هو الوقوف عند ما حده الله تعالى لعباده فلا يفقد حيث أمر، ولا يوجد حيث نهي.

*- فالعهد في حقيقته عهد الله، واليد يد الله:- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، [الفتح: ١٠]، ومن هنا كان التحذير من عاقبة النكوص والمخالفة ونقض العهد:- ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾[الفتح: ١٠]، فالعهد الظاهر عهد الشيخ، والعهد الباطن الحقيقي هو عهد الله سبحانه وتعالى.

*- فإذا اتضح معنى العهد الصوفي في اللغة وفي عرف الصوفيين بقي سؤال، وهو:- وهل لهذا العهد الصوفي توجيه شرعي، وتخريج يجعله منسجمًا مع أصول الشرع الشريف؟

*- والجواب:- نعم له تخريج شرعي من نصوص الكتاب والسنة:- فأما القرآن، فقد قال الله تعالى:- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾،[الفتح: ١٠].

*- نقل صاحب تفسير روح البيان [٩/ ٢١، ط. دار الفكر] عن الشيخ إسماعيل بن سودكين قوله:- «المبايعون ثلاثة:- الرسل، والشيوخ الورثة، والسلاطين، والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة واحد وهو الله تعالى، وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى على بيعة هؤلاء الأتباع، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها:- القيام بأمر الله، وعلى الأتباع الذين بايعوهم شروط يجمعها:- المتابعة فيما أمروا به، فأما الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية أصلًا، فإن الرسل معصومون من هذا، والشيوخ محفوظون، وأما السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظًا، وإلا كان مخذولًا، ومع هذا فلا يطاع في معصية، والبيعة لازمة حتى يلقوا الله تعالى».

*- وقوله تعالى:- ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾،[الإسراء: ٣٤]، فالعهد المذكور عام شامل أنواع البيعة الثلاثة التي ذكرت آنفا، ومنها البيعة بين الشيخ المربي ومريديه.

*- وأخذ العهد والبيعة في السنة النبوية ما كان يتخذ صورة واحدة من التلقين، أو يختص بجماعة من المسلمين، وإنما كان أخذ العهد في السُّنَّةِ جامعًا بين بيعة الرجال وتلقين الجماعات والأفراد ومبايعة

النساء بل وحتى من لم يحتلم، [ينظر:- العهد عند الصوفية للأستاذ أشرف سعد، مجلة البحوث والدراسات الصوفية، العدد الثاني ص٤٥٨].

*- ففي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:- ((بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وَفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك)).

*- وأما التلقين جماعة فقد أخرج أحمد في مسنده والطبراني في معجمه الكبير والحاكم في مستدركه عن يعلى بن شداد قال:- ((حدثني أبي شداد رضي الله عنه وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال:- كنا عند رسول الله ﷺ فقال:- هل فيكم غريب؟ - يعني من أهل الكتاب- فقلنا:- لا يا رسول، فأمر بغلق الباب فقال:- ارفعوا أيديكم وقولوا:- لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا:- لا إله إلا الله، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال:- الحمد لله، اللهم بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال:- أبشروا فإن الله عزَّ وجلَّ قد غفر لكم))،[قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٩١، ط. دار المأمون للتراث:- رجاله موثقون].

*- ومن التلقين الإفرادي ما أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والأوسط والحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه عن بشر بن الخصاصية رضي الله عنه قال:- ((أتيت النبي ﷺ لأبايعه، قال:- فاشترط عليَّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت:- يا رسول الله، أما اثنتان فوالله ما أطيقهما:- الجهاد والصدقة، فإنهم زعموا أنه من وَلَّى الدبر فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت، والصدقة فو الله ما لي إلا غنيمةٌ وعشرُ ذَوْدٍ هن رسل أهلي وحمولتهم، قال:- فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرك يده، ثم قال:- فلا جهاد ولا صدقة! فبم تدخل الجنة

إذًا؟! قال:- قلت:- يا رسول الله أنا أبايعك، قال:- فبايعت عليهن كلهن))،[قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٩٤:- رجال أحمد موثقون].

*- والذود من الإبل:- ما بين الاثنين إلى التسع، وقيل ما بين الثلاث إلى العشر، وقوله:- رسل، أي:- اللبن، وقوله:- حمولتهم، بالفتح:- ما يحتمل عليه الناس من الدواب سواء أكانت عليها الأحمال أم لم تكن، وبالضم:- الأحمال.

*- وأخرج أحمد والنسائي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال:- قلت:- ((يا رسول الله اشترط عليَّ فأنت أعلم بالشرط، قال:- أبايعك على أن تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتنصح المسلم، وتبرأ من الشرك)).

*- وفي صحيح البخاري عن جرير أيضًا قال:- بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم.

*- وأخرج الترمذي والنسائي عن أميمة بنت رقيقة قالت:- (أتيت رسول الله في نسوة يبايعنه فقلن:- نبايعك يا رسول الله على أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف، فقال رسول الله ﷺ:- فيما استطعتن وأطقتن، فقلن:- الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هَلُمَّ نبايعك يا رسول الله، فقال:- إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة).

*- يستفاد مما ذكر من آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ، أن العهد الصوفي المذكور يمكن أن يخرج على هذه الأصول الشرعية، وأيضًا ولما فيه من التعاون على البر والتقوى، قال تعالى:- ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، [المائدة:- ٢].

*- وقد نهج الوارث المحمدي من مرشدي الصوفية منهج الرسول ﷺ في أخذ البيعة في كل عصر، فقد ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه [رجال الفكر والدعوة في الإسلام ١/ ٢٠٩، ط. مكتبة نزار

مصطفى الباز]:- أن الشيخ عبد القادر الجيلاني فتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه يدخل فيه المسلمون من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي يجددون العهد والميثاق مع الله، ويعاهدون على ألا يشركوا ولا يكفروا ولا يفسقوا ولا يبتدعوا، ولا يظلموا ولا يستحلوا ما حرم الله، ولا يتركوا ما فرض الله ولا يتفانوا في الدنيا ولا يتناسوا الآخرة، وقد دخل في هذا الباب - وقد فتحه الله على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني- خلق لا يحصيهم إلا الله، وصلحت أحوالهم وحسن إسلامهم، وظل الشيخ يربيهم ويحاسبهم ويشرف عليهم وعلى تقدمهم، فأصبح هؤلاء التلاميذ الروحيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان.

*- فكان لهذه المعاهدات والبيعات من الأثر في التزكية والإصلاح الفردي والجماعي أقوى شأن وأوفر نصيب.

*- وعلى هذا فليس في العهد الصوفي بهذا الاعتبار من مخالفة شرعية، ولا يعد تعارضًا مع أصول الشريعة، ونصوص الكتاب والسنة تشهد له، وفقنا الله لطاعته في السر والعلن، والله تعالى أعلم.

*- شـــــــروط البيعـــــــــة المحمديـــــــــــة:-

*- إن شروط البيعة المحمدية الشريفة قد جمعها فضيلة شيخنا الجليل فقال:-

*- خُذْ مِنْهُمُ البَيْعَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ وَحَافِظْ عَلَى شُرُوطِهَا ❁ قُلْتُ وَمَا شُرُوطُهَا ؟ ❁ قَالَ :- أَوَّلُ شُرُوطِهَا التَّوْبَةُ وَالنَّدَمُ وَالبُكَاءُ عَلَى الذُّنُوبِ ❁ وَثَانِيْ شُرُوطِهَا رَدُّ الْمَظَالِمِ وَالحُقُوقِ ❁ وَثَالِثُ شُرُوطِهَا الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ المَذْمُومِ ❁ وَرَابِعُ شُرُوطِهَا طَاعَةُ اللهِ فِيْ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْتِزَامُ سُنَّةِ الْمَحْبُوبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ❁ وَخَامِسُ شُرُوطِهَا أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ مَحْبُوبٍ ❁ وَأَنْ تَخْدِمَ لأَجْلِهِمَا إِخْوَانَكَ وَوَطَنَكَ إِنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ مَطْلُوبٌ ❁ فَرِّغْ قَلْبَكَ لِاسْتِقْبَالِ المَحَبَّةِ ❁ وَضَعْ فِيْ أَرْضِهِ يَا فَتَى الْحَبَّةَ ❁ وَاسْقِهَا بِمَاءِ الشَّوْقِ وَاحْفَظْهَا بِسِيَاجِ العَزْمِ وَالْهِمَّةِ ❁ حَتَّى إِذَا شَاءَ اللهُ نَبَتَتْ وَأَثْمَرَتْ وَهَلْ هُنَاكَ أَعْظَمُ وَأَحْلَى مِنْ ثِمَارِ الْمَحَبَّةِ ❁ اِنْطَوِ فِيْ المَحَبَّةِ كُلَّ الانْطِوَا ❁ وَاتْرُكْ مَا

يَقُولُهُ إِبْلِيْسُ وَالنَّفْسُ وَالهَوَى ❁ وَأَكْثِرِ الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ عَلَى حَبِيْبِكَ المُصْطَفَى ❁ فَهِيَ تَنْفَعُكَ عِنْدَ خَمْسِ شَدَائِدَ :- يُهَوِّنُ اللهُ بِهَا عَلَيْكَ خُرُوجَ الرُّوحِ مِنَ الصَّدْرِ ❁ وَيُنِيْرُ اللهُ لَكَ بِهَا ظُلْمَةَ القَبْرِ ❁ وَبِهَا يُبَارِكُ اللهُ فِيْ رِزْقِكَ وَيَحْفَظُكَ مِنَ الفَقْرِ ❁ وَيُبَارِكُ لَكَ بِهَا فِيْ الْحَيَاةِ وَالْعُمُرِ ❁ وَبِهَا يَشْفَعُ لَكَ المُصْطَفَى يَوْمَ الْحَشْرِ فَاقْتُلْ نَفْسَكَ فِيْ حُبِّ عَيْنِ الرَّجَا ❁ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَوَّلِ مَنْ لِرَبِّهِ لَجَأَ ❁ وَلَا تَشْرَبْ إِلَّا مِنْ بَحْرِ الصَّفَا ❁ وَاطْرُدْ خَوَاطِرَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالهَوَى ❁ وَمَا أَنْتَ بِقَادِرٍ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِحُبِّ اللهِ تَعَالَى وَالْمُصْطَفَى ❁ وَقُلْ لِقَلْبِكَ :- حَرَامٌ أَنْ تَكُونَ بَيْتَاً لِشَوَاغِلِ الدُّنْيَا وَحُبِّ السِّوَى ❁ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ أَعْظَمَ مِنَ الأَرْضِ وَمِنَ السَّمَاءِ ❁ فَقَالَ فِيْ حَدِيْثِهِ القُدُسِيِّ :- (إِنَّ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ضَعُفَتْ عَنْ أَنْ تَسِعَنِيْ وَوَسِعَنِيْ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ) ❁ اِلْزَمْ يَا بُنَيَّ الصِّدْقَ وَالتَّصْدِيْقَ ❁ وَخُذِ الْعِلْمَ عَنْ أَهْلِ اليَقِيْنِ وَالتَّحْقِيْقِ ، وَاصْحَبْهُمْ عَلَى الأَدَبِ وَالْمَحَبَّةِ تَأْمَنْ مَهَالِكَ الطَّرِيْقِ ❁ وَلَكِنْ إِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالكَذِبَ وَالتَّكْذِيْبَ ❁ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا الطَّرْدُ وَالتَّعْذِيْبُ ❁ لِأَنَّهُ تَعْلِيْمُ إِبْلِيْسَ لِحِزْبِهِ غُلْفِ القُلُوبِ ❁ وَأَصْلٌ لِكُلِّ النَّقَائِصِ وَالذُّنُوبِ ❁ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِيْ إِلَى البِرِّ ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِيْ إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيْقَاً ❁ وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِيْ إِلَى الفُجُورِ ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِيْ إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُل لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً) ❁

*- وكذلك فإن هناك أركانًا، وأحكامًا لا بد من توافرها للعهد المحمدي {أي للبيعة المحمدية}، وإلا فقد انتقض العهد، وبطلت البيعة، وهذه الأحكام والأركان قد جمعها أيضًا شيخنا الجليل قدس الله تعالى سره، وطيب الله ثراه فقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-

أَفَلَا دَخَلْتَ لَهُمْ بِالعَهْدِ مَيْدَانـــــــــــاً لَكِنَّ لِلْعَهْدِ أَحْكَاماً وَأَرْكَانـــــــــــاً

فَاضْبِطْ عَلَى الشَّرْعِ وَالتَّحْقِيْقِ مِيْزَانـــــــاً وَسَلِّمِ الأَمْرَ إِيْثَاراً وَإِذْعَانـــــــــــاً

وَقَدِّمِ النَّفْسَ لِلتَّوْحِيْدِ قُرْبَانـــــــــــاً وَاجْعَلْ غِيَابَ السِّوَى لِلْحَالِ عِنْوَانـــــــاً

وَلَا تَوَهَّمْ لَهُ حَوْلاً وَسُلْطَانـــــــــــاً وَارْجِعْ لِمَوْلاَكَ كُلَّ الأَمْرِ عِرْفَانـــــــــاً

وَارْضَ بِهِ مُعْطِياً أَوْ شَاءَ حِرْمَانـــــــاً وَلُذْ بِأَهْلِ التُّقَى حِسّاً وَوِجْدَانـــــــــاً

وَاجْعَلْ هَوَاكَ هَوَاهُمْ كَيْفَما كَانَـــــــــــــاً لَمْ يَنْطَوِ فِيْ هَوَاهُمْ غَيْرُ مَنْ عَانَـــــــــا

وَبَاعَ مِنْ أَجْلِهِمْ مَالاً وَوِلْدَانَـــــــــــــاً وَذَاقَ نَارَ الهَوَى سُهْداً وَأَشْجَانـــــــــــاً

وَصَاغَ مِنْ عُنْفُوَانِ الوَجْدِ أَلْحَانـــــــــــاً وَجَاءَهُمْ مِنْ ثِيَابِ الفَرْقِ عُرْيَانـــــــــــاً

فَاصْبِرْ عَلَى مِحَنِ التَّمْحِيْصِ حُسْبَانـــــــاً تَنَلْ عَطَايَا الرِّضَا مِنْ فَضْلِ مَوْلاَنَـــــــا

وَتَحْظَ بِالفَوْزِ إِنَّ الفَوْزَ سُرْعَانـــــــــــاً مَا يَقْتَفِيْ الصَّبْرَ وَالإِقْبَالَ سُرْعَانـــــــــاً

فتعالوا بنا إخوتي في الله، وأحبتي في رسول الله ﷺ لنعيش هذه اللحظات الطيبات في جو إيماني عظيم مفعم بالتجليات النورانية، والفتوحات الربانية، والفيوضات الإحسانية الكريمة والتي تستمد مددها الروحي من لدن حكيم حميد، مصداقًا لقوله تعالى:- {وَاتَّقُوْا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ}،(البقرة:-٢٨٢)، وقوله تعالى:- { وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا}،(الكهف:-٦٥)، نعم لقد عَلَّمَ الجليلُ جلَّ في علاه شيخنا، فيقول شيخنا الجليل قَدَّسَ الله تعالى سره:- "أفلا دخلت لهم بالعهد ميدانًا، لكن للعهد أحكامًا وأركانًا".

*- اعلموا رحمكم الله عزَّ وجلَّ، أنه لا دخول إلى ميدان الصالحين، وساحات المقربين، والوقوف تحت رايات الموحدين، دون أخذ العهد المحمدي، والذي هو الرابط الروحي الحقيقي بين المريد وشيخه، وكذلك بين المريد وإخوانه، فهو والله حبل الوصال، وسر الاتصال بين المريد والمربي، لأنه ما تعبد متعبد وما تقرب متقرب إلى الله عزَّ وجلَّ، بعد أداء الفرائض، بأعظم من محبة عباد الله الصالحين والتذلل إليهم، والتقرب منهم، وذلك لأن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه الكرام فلعله يجد اسمك في قلب واحد منهم فيغفر لك.

*- فبمجرد أخذك للعهد المحمدي من الشيخ المربي، ينقش اسمك في قلب الشيخ، فتكون في معيته وزمرته، وتحت رايته، لذلك يقول ﷺ:- {من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية}، فالوفاء بالعهد أمر شرعي وواجب ديني امتثالًا لقوله تعالى:- { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}،(الأسراء:-٣٤)، وقوله تعالى:- { الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ}،(الرعد:-٢٠).

*- لهذا كله أكد فضيلة شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سره على أخذ البيعة المحمدية، فقال:- "فقلت لهم أحب أن تلقونني البيعة المحمدية، فقالوا هل عرفت موتك، وأنكرت حياتك التي كانت في متاهات البور، فقلت بكم عرفت واهتديت"، فدل هذا على أن السبب في المعرفة للمريد هي بركات الصالحين التي تسري إليه، وذلك في قوله:- "بكم عرفت واهتديت"، وقال شيخنا الجليل أيضًا:- ''خذ منهم البيعة المحمدية وحافظ على شروطها''، وقال أيضًا:- ''واعتنق ربقة العهد فيصلًا بين آت وسالف''، وقال أيضًا:- ''وأخذوا عهدها وميثاقها على أنفسهم''.

*- ولكن العهد المحمدي له شروط وأركان، وحدود وأحكام، لا بد من توافرها، وإلا انتقض العهد، وبطلت البيعة، وتعب المريد في سلوكه وارتد على أدباره، "خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ".

*- لأنه كما يقول فضيلة شيخنا في ذلك:- "ومن نقض العهد منهم فكأنما باق القرآن الكريم، ومن باق القرآن فكأنما قتل محمداً ﷺ، ومن وصفه هذا حاربه الله وأخزاه".

*- فمن حافظ على شروط البيعة المحمدية، { أو العهد }، نعم من حافظ على شروط العهد، فقد حافظ على حرمة الشيخ ومعيته وطاعته، وبقي في زمرته، وتحت رايته.

*- ثم يقول قَدَّسَ الله تعالى سره:- " فاضبط على الشرع والتحقيق ميزانًا، وسلم الأمر إيثارًا وإذعانًا"، فلا بد من الالتزام التام بأحكام الشريعة السمحة الغراء، ظاهرًا وباطنًا، فمن التزم بظاهر الشريعة وترك الحقيقة كان فاسقًا، ومن التزم بالحقيقة وترك الشريعة كان زنديقًا، ومن جمع بينهما كان صوفيًا.

*- فالتصوف الحق هو الالتزام بظاهر الشرع وحقيقة الأمر، فالصوفي "هو من لبس الصوف على الصفا، وسلك طريق المصطفى، وأذاق الهوى طعم الجفا، وجعل الدنيا خلف القفا"، وفي هذا المعني الجليل يقول الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة:- "من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تصوف".

*- وفي هذا المعنى يقول شيخنا الجليل:- "وعلمت أنه بميزان الشريعة والحقيقة سار" ويقول أيضًا:- " الشرع ظاهرنا والحقيقة ضمائرنا".

*- ثم يقول أيضًا:- "وسلم الأمر إيثارًا وإذعانًا"، فلا بد من التسليم لأهل الخبرة من رجال الصوفية، كما يقول شيخنا في هذا المعنى:- "اللهم إني سلمت أمري لقادتي الذين يدعون إلى باب النبي ﷺ ".

*- ولهذا يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- "فما أحوجك لدخول مدرسة المحبة في كنف العارفين، وما أفلحك إن سلمت لهم وأطعتهم في إقامة الدين، كيف تمنعك الدنيا وهل متاعها مضمون، ماذا تقول غدًا لمولاك إن هي شغلتك عنه بزخرف وشئون، وقد وصفها لك حيث قال في حديثه القُدُسِيّ:- { لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء}،" واعتقد واتبع ولا تنتقد أو تخالف"، وذلك لأن الحب في الله واجب والبغض في الله واجب، فالتسليم هو ثمرة الإيمان، فبقدر التسليم يكون الإيمان، فبقدر تسليمك لشيخك يكون قربك منه، وتتلقى المدد والفيوضات الإيمانية منه، نعم وسلم الأمر إيثارًا وإذعانًا.

*- ثم يقول قَدَّسَ الله تعالى سره:- " وقدم النفس للتوحيد قربانًا، واجعل غياب السوى للحال عنوانًا"، نعم يا أخي الحبيب قدم النفس رخيصة في سبيل الله تبارك وتعالى، "جد بالدمع، خوف المنع، يوم الجمع ،واطلب عوني"، تأسيًا بحبيب قلوبنا ﷺ، " الذي لم يكن يغضب لنفسه قط"، حتى أنه ﷺ لما آذاه أهل الطائف، وأتاه ملك الجبال، وقال له:- إن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت، فقال ﷺ:- اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، عسى أن يخرج من أصلابهم من يقول:- لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وهذه هي سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما فعل سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام:- "فقد قدم ماله للضيفان، وجسمه للنيران، وابنه للقربان، وقلبه للرحمن، فاستحق وفاز برضا الملك الواحد الديان"، "فاقتل نفسك في حب عين الرجا، سيدنا محمد أول من لربه لجا"، أي اقتلها بمخالفتها ومخالفة هواها.

*- ثم يقول:- "واجعل غياب السوى للحال عنوانًا"، أي أن يكون عنوانك دائمًا هو أنك غائب عن السوى، أنك غائب عن كل ما سوى الله سبحانه وتعالى، أي أن قلبك خالٍ من السوى، وليس فيه مثقال ذرة لغير الله عزَّ وجلَّ، لقوله تعالى في حديثه القُدُسِيّ:- {ما وسعتني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب المؤمن}، لأن الله تعالى لا يقبل عملًا فيه مثقال ذرة لغيره، فالله تعالى غيور، ولا يحب أن يسكن

بيته سواه، "ولا يوحد العبد ربه حقًّا إلا إذا تدبر القرآن، وعمل بما يقول، وسار على نور من هدي الرسول، وطهر بيت الحق مما يفنى ويزول"، فكل ما سوى الله زائل، فكيف تنشغل بالزائل الفاني عن الدائم الباقي، وكيف تنشغل بالنعمة عن المنعم، وبالمخلوق عن الخالق.

*- ثم يقول قَدَّسَ الله تعالى سره:- " ولا توهم له حولًا وسلطانًا، وارجع لمولاك كل الأمر عرفانًا"، أي إياك يا أخي أن تتوهم أن لك حولًا وقوةً مع الله، فالحول كله والقوة كلها لله رب العالمين، وأنت في المقام عبد ذليل وحرام على العبيد وصف التعالي، كيف يكون لك حول وقوة معه وهو سبحانه واحد بغير شريك، كيف يكون لك معه حول وقوة وهو خلقك ولم تك شيئًا، خلقك من نطفة مذرة، ونهايتك جيفة قذرة، وأنت الآن تحمل العذرة، وقد خرجت من مجرى البول مرتين، فهذا هو أصلك في الحقيقة يا أخي، ولله در شيخنا إذ يقول:- " ولا تحتقر من خلق الله أحدًا".

*- ثم يقول:- " وارجع لمولاك كل الأمر عرفانًا" فالأمر كله لله ،" الله خالق كل شيء، وله بداية كل شيء، وله نهاية كل شيء، وهو قبل كل شيء، وهو بعد كل شيء، وفوق كل شيء، وتحته كل شيء، وأنت في الحقيقة لا شيء، فارجع الأمر إلى الله في كل شيء"، " أنا سر الرحمن أنا الكل مني، أدركت العزم بقوة صاحب العزم"، فلا حول لك ولا قوة إلا بالله.

*- ثم يقول قَدَّسَ الله سره:- " وارضَ به معطيًا أو شاء حرمانًا، ولذ بأهل التقى حسًّا ووجدانًا"، نعم والله إن المؤمن الصادق مع الله سبحانه وتعالى يرضي به في السراء والضراء، لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فالمؤمن يرضي بالله ويرضي عن الله في جميع أحكامه وأفعاله، يرضى به في الضر والنفع، والوصل والقطع، والعطاء والمنع، والخفض والرفع، فهو دائمًا راضٍ بقضاء الله وقدره، سواء أعطاه ما يريد ويتمنى أو منعه من ذلك، "ولذ بأهل التقى حسًّا ووجدانًا"، فأهل التقى هم أحباب الله وخاصته، فهم السلاح الشافي والدرع الواقي إذا ما ادْلَهَمَّتْ الخطوب، وعصفت رياح الفتن، وضيعت الفروض والسنن، فلذ بهم لأن المرء مع من أحب، والمرء على دين خليله، والحب هو شرط الإيمان،" ولن تؤمنوا حتى تحابوا"، فمن جالس جانس، فمن جالس الصالحين سرى من حالهم إلى حاله،

ومن جالس الطالحين سرى من حالهم إلى حالهم، فاختر لنفسك يا أخيا ما تريد، فالله أقرب إليك من حبل الوريد.

اسمع قوله تعالى:- ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيْدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيْدُ زِيْنَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ * صَدَقَ اللهُ العَظِيْمُ *.

*- ثم يقول قَدَّسَ الله تعالى سره:- " واجعل هواك هواهم كيفما كانا، لم ينطوِ في هواهم غير من عانا"، أي اجعل هواك دائمًا مطابقًا لما يريده الصالحون، ولما يحبه المتقون، فهم الْأَدِلَّاءُ على الله رب العالمين، فهواهم هو هوى الحبيب المصطفى الهادي محمد ﷺ، "طرد الهوى بالهوى منهاج دعوتهم" فهم والله قد طردوا هوى نفوسهم بهوى حبيبهم، كما قال ﷺ:- { لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به}، فاحرص يا أخي في الله ويا حبيبي في رسول الله ﷺ، أن تكون تحت إمرتهم، وفي زمرتهم، وفي معيتهم، لأنهم كما قال الله تعالى:- { وَجَعَلنَا مِنهُم أَئِمَّةً يَهدُونَ بِأَمرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، (السجدة:-٢٤).

*- ثم يقول:- " لم ينطوِ في هواهم غير من عانا"، أي لم ينطوِ في هواهم غير من جاهد نفسه وهواها، والدنيا والشيطان، فالعاجز من أتبع نفسه هواها وَتَمَنَّى على الله الأماني، فلا بد من مجاهدة النفس وكبح جماحها، فأعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك، وكما يقول شيخنا الجليل:- "واحذر النفس وجالدها جلادًا، كم أضلتك نفورًا وعنادًا، كيف ترخيها بسوء تتمادى، واحذر الدخول فيما لا يرضيك وإلا لقيت ما لا يرضيك"، **فالنفس يا ولدي كفرس تجمح في جبال ووديان هالكة هي لا شك ومهلكة إن كانت بغير لجام وعنان، وما لجام النفس إلا العارف بالله الواحد الديان، وعنانها العهد الذي أخذته منه على أن تخالف النفس والشيطان**، فمن أراد أن يكون في معيتهم فلا بد له من المجاهدة والمكابدة والمعاناة، لتستقيم النفس على أوامر الله وتذعن لشرع الله وتكون تحت إمرة أحباب الله المتقين، وصفوته المقربين، فكل من أطلق لنفسه العنان في اتباع الهوى والشهوات والجدال لا يمكن له الانطواء أبدًا تحت راية

الصالحين، ولواء المتقين، جاهد تشاهد كل الفوائد، فبقدر المجاهدة والمعاناة يكون قربك من الصالحين.

*- ثم يقول:- " وباع من أجلهم مالًا وولدانًا، وذاق نار الهوى سهدًا وأشجانًا"، فالصادق يضحي من أجل الصالحين بكل ما يملك، فإن وقف ماله وولده حاجزًا بينه وبين شرع الله ضحى بهم من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإن وقفوا حاجزًا بينه وبين الانقياد والانضواء تحت لواء الصالحين وَرَكْبِ عباد الله المتقين، ضحى بهم جميعًا، امتثالًا لقوله تعالى:- {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}،(التغابن:-١٤).

*- ثم يقول:- "وذاق نار الهوى سهدًا وأشجانًا"، فنار المحبة فوق كل النيران، فالمحب الصادق لا ينام، لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، حتى يحظى برؤية أحبابه، وينعم بمشاهدة من كَمَنَ حُبُّهُمْ في سويداء فؤاده، واستقر في أحشاء سره وقلبه، ولله در القائل :-

عجبًا للمحب كيف ينـــــــــام كل نوم على المحب حـــــــــرام

*- ولله در القائل أيضًا:- ''عجبًا لعين تنام، وقد علمت طول الرقاد في ظلمة القبور''.

ولله در القائل في هذا المعنى السامي الجليل:-

عيني لغير جمالكم لا تنظـــــــر وسواكم في خاطري لا يخطـــــــر

صبرت قلبي عنكم فأجابنـــــــي لا صبر لي لا صبر لـــــي لا أصبر

لا صبر لي حتى يراكم ناظـــــري وعلى محبتكم أمـــــــوت وأحشر

غبتم وغابت راحتي من بعدكـــــم والعيش صـــــــار لبعدكم متكدر

الله أكبر ما أمر فراقكـــــــــم إن غبتم عنـــــــــي فمن ذا أنظر

*- فالمحب الصادق هو الذي ذاق نار الهوى والمحبة وسهر الليالي في هواهم والشوق إلى رؤياهم.

*- ثم يقول:- "وصاغ من عنفوان الوجد ألحانًا، وجاءهم من ثياب الفرق عريانًا" أي وصاغ من شدة شوقه وتتيمه ووجده في حبهم، "أي في حب أحبابه ومهجة فؤاده"، الألحان والمعاني البديعية السامية، فكما يقول شيخنا الجليل في وصف أحبابه في رسالة الخلة:- "أخلائي ومهجة فؤادي، وقوت قلبي وشربي

وزادي، وقرة عيني ونومي ويقظتي وحياتي"، فهم والله كل شيء في حياته، وهذا والله من عظيم الحب وفرط الشوق، وصاغ من عنفوان الوجد ألحانًا، وجاءهم من ثياب الفرق عريانًا، أي أنه لا يجد نفسه أمامهم إلا واحدًا منهم، فصاروا واحدًا وهم كثير، وفوق الخلق سر الله عالي، فقد تعرى من جميع الفوارق، ومن جميع المميزات، فالتفاضل عند الله تعالى بالتقوى، وليس بالأقوى، والتفاضل عنده بالإخلاص وليس بكثره ثناء الناس، فهم والله هم أهل التقوى والصلاح ولا فوز له ولا قبول له إلا بهم، "هم أتوك وأنا بحبهم ألحقتني بهم وهذا الجزا لحب خير الرجال"، فكيف بك تتعالى على إخوانك، وهم سبب فوزك ونجاحك، بل ودخولك على حضرة المحبوب ﷺ، "وجمعني الحب بالمحبوب والفضل لك يا مالك الأقدار"، لأنك لن تفلح إلا بصحبة من أفلح، وإنك لن تصيب إلا بإتباع المنيب"، وضع نفسك تحت الأقدام تحفك عناية القوم وترجع نقيًّا سالمًا من الآثام".

*- ثم يقول:- "فاصبر على محن التمحيص حسبانًا، تنل عطايا الرضا من فضل مولانا" أي اصبر على الابتلاءات والاختبارات والفتن، محتسبًا الأجر والمثوبة من الله سبحانه وتعالى، لأن الابتلاء سنة الله في خلقه، لقوله تعالى:- { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}، (البقرة:-٢١٤)، ولقوله تعالى:- {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، (البقرة:-١٥٦)، فكما قال ﷺ:- "يبتلى المرء على قدر إيمانه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء"، وقوله ﷺ:- "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"، والابتلاء نوعان، ابتلاء وضع، وابتلاء رفع، فالابتلاء للمذنب والمخطئ ابتلاء وضع ليضع عنه ذنوبه وخطاياه ويطهره منها ليلقى الله عزَّ وجلَّ طاهرًا نقيًّا، وأما العبد التقي النقي فابتلاؤه ابتلاء رفع لدرجاته، ليصل إلى الدرجات العلا في معية سيد المرسلين وإمام المتقين عليه الصلاة والسلام، فاصبر يا أخي في الله ويا حبيبي في رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيًا محتسبًا، واعلم أن كل قضاء قضاه الله تعالى لك هو خير كله وهو والله عين الصواب،

تنل عطايا الرضا من فضل مولانا، أي أن تبلغ درجة الرضا من الله عزَّ وجلَّ، فهذه الدرجة هي درجة الصديقين، وهي رضاهم المطلق عن الله رب العالمين، ولله در القائل في هذا المعنى السامي الجليل :-

رضاك خير من الدنيا وما فيهـــــــــا يا منية القلب قاصيها ودانيهـــــــــا
وما ذكرتك إلا همت من طـــــــــرب كأنك ذكرك ألحان أغانيهـــــــــا
وحق حبك ما قصدي الديـــــــــار ولا الأموال من عرض الدنيا فأقنيهـــــــا
فنظرة منك يا سؤلي ويا أملـــــــــي أشهى إلي من الدنيا وما فيهـــــــا
وليس للنفس آمال تؤملهـــــــــــا سوى رضاك فذا أقصى أمانيهـــــــا

ولله در القائل :-

والله ما طلعت شمس ولا غربـــــــــت إلا وذكرك مقرون بأنفاســـــــــــي
ولا جلست إلى قوم أحدثهـــــــــــم إلا وأنت حديثي بين جلاســـــــــــي
ولا هممت بشرب الماء من ظمـــــــــأ إلا رأيت خيالًا منك في الكـــــــــاس

*- ثم يقول قَدَّسَ الله سره، ورضي الله تعالى عنه عنا به :-

وتحظ بالفوز إن الفوز سرعانـــــــــًا ما يقتفي الصبر والإقبال سرعانًـــــــا

فالرضا مقرون بالصبر عند الصدمة الأولى، فإذا صبر المؤمن ورضي واحتسب أجره ومصيبته عند الله عزَّ وجلَّ فاز وحظي بالفوز المبين سريعًا بتوفيق الله سبحانه وتعالى وَمِنَّتِهِ وفضله، ولكن إذا فاتك الصبر والرضا، عند نزول البلاء وخاصة عند الصدمة الأولى، فقد فاتك الأجر كله، وفاتك الفوز كله، وكنت من الخاسرين بل من الساخطين على حكم وأمر أحكم الحاكمين، فإذا فاتك الصبر مقرونًا مع الرضا، فإنه والله لا يُقْتَفَى، فقد ذهب الأجر الكبير، والفوز المبين، فالزم الصبر والرضا، تكن من أحباب الحبيب المصطفى ﷺ، اللهم اجعلنا من أحبابك الصابرين على حكمك وقضائك وبلائك، بل وراضين كل الرضا، بتدبيرك وقضائك، وقدرك وبلائك، اللهم إنا نسألك رضاك، ولا تشغلنا بسواك حتى نلقاك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين.

فهذه هي الشروط والأحكام والأركان الواجب توافرها في البيعة والعهد المحمدي، والله تبارك وتعالى أجلُّ وأعلم، وأعزُّ وأحكم، وأخبر وأكرم، ولله در شيخنا الجليل إذ يقول مبتهلًا ومناجيًا مولاه الكريم جلَّ وعلا:- {اللهم ارزقني صحبة رجالك الصالحين، فقد عانت عيني في حب هؤلاء الرجال، لأنهم هم عيونك في أرضك تنفلوا بسنة حبيبك بعد ما أدوا فرضك، فجعلت أجسامهم على الراحة، بينما أرواحهم في ملكك سراحة، وقلوبهم من قهر الحب فيك جراحة، ما سكن في سويداء قلوبهم أحد إلاكا، بل غابوا عن أنفسهم وعن كل ما سواكا، وعملهم بك ومنك وإليك وقصدهم رضاكا}، فالله تعالى نسأل أن يرزقنا حبهم وطاعتهم ورضاهم، وخدمتهم ومعرفة حرمتهم، وأن يحشرنا في معيتهم وزمرتهم، وتحت لوائهم، تحت لواء الحمد مع خير الرجال ﷺ، اللهم إنا نشهدك أننا نحبهم ونحب من يحبهم يا رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

البـــــــــاب الســـــــادس

قبسات مضيئة من

’’سيـــرة السلـــف الصالـح’’

نبذة مختصـــــــــرة عن

حياة شيخنـــا الجليـــل

سيدي الحاج عيد أبو جرير

رصي الله تعالى عنه وأرضاه

*- وبعد سأتحدث لكم بمشيئة الله تعالى وتوفيقه عن نبذة مختصرة عن حياة شيخنا الجليل الحبيب فضيلة الشيخ عيد أبو جرير قدس الله تعالى سره، وطيب الله ثراه، ثم عن سيرة جده العظيم، والصحابي الجليل سيدنا عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-

*- فضيلة الشيخ عيد أبو جرير:- هو العارف بالله تعالى غوث زمانه، والوارث المحمدي، ذلكم العالم الرباني الكبير، الذي ملأ الدنيا بعلمه الزاخر الباهر، وإلي الشيخ عيد أبو جرير تنسب الطريقة الجريرية الأحمدية، هذا وللشيخ عيد دور مهم في المقاومة الشعبية أثناء الاحتلال الإسرائيلي لسيناء فهو من الأعمدة الأساسية لمجاهدي سيناء.

-* نشأتـــــــــــــــه وحياتـــــــــــــــــه:-

*- وُلِدَ شيخنا الجليل سيدي الحاج عيد أبو جرير بجهة المزار، والتي تبعد (٤٥ كيلو مترًا) غربي العريش، عام (١٩١٠ ميلادية)، لأبوين من كبار الصالحين، وهما من عشائر قبيلة السواركة المعروفة بسيناء، وانتقل إلى الرفيق الأعلى (عام ١٩٧٢م)، ويشار إلى أن تلك القبيلة على وجه العموم وعشيرة الجريرات على وجه الخصوص والتي ينتمي إليها شيخنا الجليل معروفون بين عموم قبائل سيناء بميلهم للتدين، ولقد ظهر بقبيلة الجريرات العديد من الأولياء الصالحين، وأجداد شيخنا ووالده الجليل كانوا معروفين بين جميع الناس بالتقوى والصلاح، وحسن السيرة، وهم ينتسبون إلى الصحابي الجليل سيدنا عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

*- ولقد نشأ شيخنا الجليل الفاضل منذ نعومة أظفاره على التقوى والإيمان، وحب الدين، ومكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال، والكرم والسخاء، والبذل والعطاء، والجود والإيثار، والصبر والرضا والعزيمة، وقوة الشكيمة، وقوة التحمل، ومخالفة النفس وهواها، والثبات على الحق، والمجاهدة والمصابرة والمرابطة، ولقد كان متميزًا منذ صغره بالورع والزهد والصدق والإخلاص وقوة اليقين والعفة وسمو الأخلاق، وحسن السيرة، وكظم الغيظ، والعفو عن الآخرين ابتغاء مرضاة أحكم الحاكمين، وكف الغضب، ولقد ظهر على

يديه العديد من الكرامات منذ طفولته الباكرة، فضلًا عن كراماته الباهرة في كبره، والتي سمع بها القاصي والداني، وتناقلتها الأجيال جيلًا بعد جيل، وَشَرَّقَ بها الركبان وَغَرَّبُوا، ولله در القائل في سيدي الحاج:-

هُوَ قطبٌ دقَتَّ بِهِ سينـــــــاءُ تاهتْ على الأقاليمِ منْ عربٍ ومنْ عجمِ

هُوَ المُرَبِّيْ أَرَتْنَا شَمْسُ حِكْمَتِهِ عَيْنَ اليقينِ فداوتْ قلبَ كُلِّ عمـــــــــي

هُوَ الإمامُ لَنَا في كُلِّ مكرمـــةٍ منَ الفضائلِ في حالٍ وفي كَلِـــــــــــمِ

*- ولقد بدأ شيخنا الجليل دعوته الصوفية المباركة في أوائل الخمسينات من القرن العشرين الميلادي، بين قبائل العرب في شمال سيناء، فكان شيخنا الجليل قدس الله تعالى سره، وطيب الله ثراه أهلًا لهذه الدعوة، والقيام علي خدمتها، والتفاني من أجل رفع رايتها، وتسخير كل طاقاته وإمكانياته وقدراته من أجل النهوض بها، وردِّ الناس إلى عهد النبوة الصحيح الصادق، كما يرضى الله تبارك وتعالى، ويرضى حبيبه المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وكانت الاستجابة لدعوته سريعة وكثيفة، حتى آتت الدعوة أكلها، وعاد الناس من حياة الجهل والتضييع، إلى نور العلم واليقين، ومن حياة القبلية والعصبية إلى حياة الإيمان والإيثار، والبذل والعطاء، والتضحية والفداء، والكرم والسخاء، ولقد غطت زوايا طريقته سيناء كلها، بل وأصبحت سيناء كلها وقفًا وحكرًا على طريقة شيخنا المبارك الجليل، بل وامتدت طريقته لتغطي بعض البلدان العربية المجاورة، وانتشرت زوايا طريقته في فلسطين والأردن، على منهاج النبوة الأول، أي على كتاب الله وسنة حبيبه المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله ﷺ، ولقد أصبحت زوايا طريقته ملاذًا ومأوىً للغريب والمسافر وابن السبيل وعابر الطريق، والمسكين والمحتاج، يَؤُمُّهَا الناس فيجدون بغيتهم من محافظة على الصلاة في الجماعة، ومجالس الذكر، وتعليمٍ للقرآن الكريم، ولحديثِ رسول الله ﷺ، وسيرة الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وسيرة السلف الصالح، ومديح الحبيب المصطفى سيدنا محمد رسول الله ﷺ، فكانت جميع زواياه بحقٍ من رياض الجنة، كما قال ﷺ في الحديث:- { إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا وما رياض الجنة يا رسول، فقال:- حلق الذكر، وفي رواية مجالس الذكر}، هذا بالإضافة إلى ما يلقاه من يَؤُمُّهَا من الخدمة المتناهية وكرم

الضيافة، وتقديم الطعام له في جميع الأوقات من أشهى ما يملكون، ويؤثرون الضيوف بعملهم هذا على أهليهم وذويهم وأولادهم مع فاقتهم الماسة، وحاجتهم الشديدة، ممتثلين قول الله عزَّ وجلَّ:- {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}،(الحشر:-٩)، لأنه من أكرم ضيفًا لا يعرفه فكأنما أكرم الله تبارك وتعالى، ومن أكرم ضيفًا يعرفه فكأنما أكرم رسول الله ﷺ، هذا مع تأمين المبيت والراحة التامة لكل من يأتيهم، مبتغين بذلك الأجر من أحكم الحاكمين ممتثلين قول الله تبارك وتعالى في كتابه المبين:- {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}،(الإنسان:-٩)، ولقد تبوأ شيخنا قدس الله تعالى سره ذروة هرم الولاية في عصره وزمانه، وتربع في قمته، فكان بكل حقٍّ وصدق ''غوث أهل الله أجمعين'' رضي الله تعالى عنه وعنا به، كما يقول في هذا المعنى البديع الجليل:- { وجعلني لا شكَّ غوثًا لمن أحبني ولاذ بيا}، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا ومولانا رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيدنـــــا الجليـل الصحابـــي

''عُكَّاشَـــةُ بـنُ مُحْصِـــن''

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

رضـــي الله تعالى عنـــه

*- وها نحن الآن نبدأ الحديث عن جدِّ شيخنا الفاضل، وهو الصحابي الجليل سيدنا عكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه وأرضاه الذي يدخل الجنة بغير حساب، كما أخبر بذلك سيد الخلق وحبيب الحق، الصادق المصدوق ﷺ، والذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، والذي كان من نسله هذه النسمة الطيبة المباركة الزكيةِ النقيةِ التقيةِ، الصَّوَّامَةِ القَوَّامَةِ، العَبَّادَةِ الزَّهَّادَةِ:- ''هل تعلمون من هو الصحابي الذي يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب؟''

*- قصة الصحابي الجليل عكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه وأرضاه، إنـــــه جدُّ شيخنا الجليل قدس الله تعالى سره، وطيب الله ثراه:-

*- عرف بين الناس بوفرة العقل وصدق الاحساس وصفاء السريرة، وكان معروفاً بجمال وحسن الهيئة والجرأة والاقدام، وكان حليفاً لبني عبد شمس.

*- وما إن بلغت مسامعه الدعوة إلى التوحيد والاسلام، حتى أشرقت نفسه بالإيمان، وانطلق إلى رسول الله ﷺ يعلن إسلامه.

*- ولقد أوذي كغيره من أصحاب رسول الله ﷺ أذى كثيراً، وكذب أشد التكذيب، فما زاده ذلك إلا ايماناً وتسليماً، وتمسكاً بدينه تمسكاً عظيماً، ولما رأى الرسول ﷺ ما ينزل بأصحابه من العذاب والبلاء أشار عليهم بالهجرة إلى المدينة، فكان عكاشة بن محصن رضي الله عنه من بين من هاجر إلى المدينة، وما إن وصل إلى هناك حتى استنشق نسيم الأنس والرحمة والأمان لأول مرة منذ أسلم.

*- وعاش في المدينة بين إخوانه من المهاجرين والأنصار أطيب عيش، وكان في أشد شوقه لخدمة دينه، والدفاع عن أمته.

*- فاستعمله النبي ﷺ على سرية (الغمر) في أربعين رجلاً، فذهبوا فعلم القوم بمجيئه فهربوا، فرجع إلى المدينة وقد ساق مائتي بعير كانت لهم.

*- وها هو رضي الله عنه يشهد بدراً وأحداً والخندق ويبلى بلاء حسناً، وانقطع سيفه في غزوة بدر فأعطاه رسول الله ﷺ جذلاً من حطب، فقال:- (قاتل بهذا يا عكاشة) فلما أخذه هزه فعاد سيفاً أبيض قوياً ومتيناً، وظل هذا السيف المبارك معه يقاتل به حتى قتل رضي الله عنه في حروب المرتدين.

*- ولقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة وهو على قيد الحياة، بشره بسعادة لا شقاء بعدها أبداً، ويا لها من كرامة لا توازيها الدنيا بزخارفها الفانية ونعيمها الزائل، ويا لها من سعادة غمرت قلب عكاشة، وملأت فؤاده، وهو يسمع رسول الله ﷺ يبشره بدخوله الجنة بغير حساب ولا عذابا فهنيئاً له والله، اللهم اجعل لي من الخير ما جعلت لعكاشه رضي الله عنه فقد قال رسول الله ﷺ:- (من نوقش الحساب عذب).

*- وقال سيدنا سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- حدثنا ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:- (عرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي يمر ومعه الثلاثة والاثنان، والنبي يمر ومعه الرجل الواحد، والنبي يمر وليس معه أحد، إلى أن رفع لي سواد عظيم فقلت:- هذه أمتي، قيل:- ليس بأمتك، هذا موسى وقومه، إلى أن رفع لي سواد عظيم قد سد الافق، فقيل:- هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) قال:- ثم دخل النبي ﷺ فخضنا في أولئك السبعين، وجعلنا نقول:- من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؟ أهم الذين صحبوا النبي ﷺ أم هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً؟

*- إلى أن خرج النبي ﷺ فقال:- ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه؟ قال:- فأخبره، فقال:- (هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون).

*- فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال:- أنا منهم يا رسول الله؟ قال:- (أنت منهم)، وقام رجل آخر من المهاجرين فقال:- أنا منهم يا رسول الله؟ قال:- (سبقك بها عكاشة)، فهنيئاً لعكاشة سبقه إلى جنة النعيم.

*- ومنذ أن سمع هذا من رسول الله ﷺ تاقت نفسه لطلب الشهادة، والمسارعة لنيل هذه الدرجة العظيمة، فخرج يقاتل المرتدين، ويقضي على فتنة المتنبئين، وراح ليكون في طليعة الصحابة الذين خرجوا لقتال

المتنبئ طليحة بن خويلد، وقام بقتل جَبَّالِ بن طليحة، ثم حمل عليه طليحة وجنده فقتلوه، فقام بدفنه خالد بن الوليد رضي الله عنه.

*- وهكذا فارق عكاشة الدنيا ليلحق بركب الآخرة بلا حساب ولا عذاب، فرضي الله عن عكاشة وعن سائر الصحابة أجمعين

*- السيرة العطرة للصحابي الجليل سيدنا عكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه وأرضاه، جد شيخنا الجليل '' سيدي الحاج عيد أبو جرير قدس الله تعالى سره، وطيب الله تعالى ثراه''.

*- مقدمة:- هو عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي حليف لبني أمية يكنى أبا محصن، حليف بني عبد شمس، وهو أخو أم قيس بنت محصن.

*- حاله في الجاهلية:- لم يرد شيء عن حاله في الجاهلية، ولعل ذلك لأنه كان صغير السن لم يدرك في الجاهلية زمنًا طويلًا، حيث أنه كان يبلغ من العمر أربعًا وأربعين سنة عندما توفي النبي صلى الله عليه فيكون أصغر من الرسول ﷺ بتسع عشرة سنة، مما يدل على أنه كان يبلغ من العمر عند بعثة النبي ﷺ واحدًا وعشرين سنة فقط.

*- وهو يعد من السابقين الأولين دعا له النبي ﷺ بالجنة في حديث:- "سبقك بها عكاشة" وهو أيضًا بدريٌّ أُحُدِيٌّ.

*- سبقه إلى الإسلام:- هذه بعض النصوص التي تشير إلى فضله وسبقه؛ قال ابن إسحاق:- شهد بدرًا من بني أسد بن خزيمة اثنا عشر رجلًا عبد الله بن جحش، وعكاشة بن محصن، وأخوه أبو سنان بن محصن، وشجاع بن وهب، وأخوه عقبة بن وهب، ويزيد بن قيس، وسنان بن أبي سنان، ومحرز بن نضلة، وربيعة بن أكثم، ومن حلفائهم كثير بن عمرو، وأخواه مالك بن عمرو، ومدلج بن عمرو.

*- قال ابن عبد البر في الاستيعاب:- شهد بدرًا هو وأخوه وأبوه وعمه عكاشة بن محصن وشهدوا سائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وقال أيضًا:- كان من فضلاء الصحابة شهد بدرًا وأبلى فيها بلًاء حسنًا.

*- وقال ابن الأثير في أسد الغابة:- من سادات الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

*- وقال ابن سعد في الطبقات:- شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

*- أهم ملامح شخصيته:- الشجاعة والإقدام.

*- ومن مواقفه في حروب المرتدين:- لما وَلَّى طليحةُ هاربًا تبعه عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم وكان طليحة قد أعطى الله عهدًا:- أن لا يسأله أحد النزول إلا فعل، فلما أدبر ناداه عكاشة بن محصن:- يا طليحة! فعطف عليه فقتل عكاشة، ثم أدركه ثابت فقتله أيضًا طليحة، ثم لحق المسلمون أصحاب طليحة فقتلوا وأسروا.

*- حرصه على الجهاد وعدم تخلفه عن أيٍّ من المشاهد:- شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

*- المسارعة إلى الخيرات وتحيُّن الفرص:- كما في الحديث الصحيح وفي آخره:- " سبقك بها عكاشة".

*- القيادة:- حيث أمّره الرسول ﷺ على أكثر من سرية، وولاّه بعض ولاياته.

*- سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر، وسرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناب أرض عذرة وبلي.

*- وعن كثير بن الصلت قال:- مات رسول الله ﷺ وعماله على بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي على حضرموت، وعكاشة بن محصن على السكاسك، والسكون والمهاجر على كندة، وكان بالمدينة لم يكن خرج حتى توفي رسول الله ﷺ فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال من باليمن.

*- الذكاء والفطنة:- ويتضح ذلك من هذا الموقف:- سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من مهاجر رسول الله ﷺ، بعثه في اثني عشر رجلًا من المهاجرين كل اثنين يتعقبان بعيرًا إلى بطن نخلة وهو بستان بن عامر الذي قرب مكة، وأمره أن يرصد بها عير قريش فوردت عليه، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق

رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم، وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم:- والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة.

*- بعض المواقف من حياته مع الرسول ﷺ:- وانكسر سيفه فأعطاه رسول الله ﷺ عرجونًا أو عودًا فصار بيده سيفًا يومئذ.

*- وفي البخاري حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ عَنْ عَامِرٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:- لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ:- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ:- قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمْ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ:- مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ قِيلَ:- بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ قِيلَ:- انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ ثُمَّ قِيلَ لِي:- انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ قِيلَ:- هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ" ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا:- نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ فَقَالَ:- "هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ:- أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:- "نَعَمْ" فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ:- أَمِنْهُمْ أَنَا، قَالَ:- "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ"{ البخاري_ كتاب الطب _ باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو_ حديث رقم٥٢٧٠}

*- وفي النسائي:- عَنْ أُمِّ قَيْسٍ قَالَتْ:- تُوُفِّيَ ابْنِي فَجَزِعْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لِلَّذِي يَغْسِلُهُ:- لَا تَغْسِلْ ابْنِي بِالْمَاءِ الْبَارِدِ فَتَقْتُلَهُ فَانْطَلَقَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهَا فَتَبَسَّمَ ثُمَّ

قَالَ مَا قَالَتْ طَالَ عُمْرُهَا فَلَا نَعْلَمُ امْرَأَةً عَمِرَتْ مَا عَمِرَتْ{ النسائي _ كتاب الجنائز _ باب غسل الميت بالحميم حديث رقم ١٨٥٩}، وانكسر في يده سيف فأعطاه رسول الله ﷺ عرجونًا – أو:– عودًا – فعاد في يده سيفًا يومئذ شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله عزَّ وجلَّ على رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في الردة وهو عنده، وكان ذلك السيف يسمى العون.

*– وعن أبي معشر عن زيد بن أسلم ويزيد بن رومان وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وغيرهم أن عكاشة بن محصن أنقطع سيفه في يوم بدر فأعطاه رسول الله ﷺ جذلًا من شجرة فعاد في يده سيفًا صارمًا صافي الحديدة شديد المتن.

*– وكان – رضي الله عنه – ممن ولاّهم النبي ﷺ:– ((قال أبو جعفر كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن الصلت عن كثير بن الصلت قال:– مات رسول الله ﷺ وعماله على بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي على حضرموت، وعكاشة بن محصن على السكاسك، والسكون والمهاجر على كندة، وكان بالمدينة لم يكن خرج حتى توفي رسول الله ﷺ فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال من باليمن.

*– السرايا التي شارك فيها:– (سرية عبد الله بن جحش الأسدي) وقد سبق ذكرها.

*– (سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر) غمر مرزوق وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد طريق الأول إلى المدينة وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، قالوا:– وجه رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن إلى الغمر في أربعين رجلًا فخرج سريعًا يغذ السير ونذر به القوم فهربوا فنزلوا علياء بلادهم ووجدوا دارهم خلوفًا فبعث شجاع بن وهب طليعة فرأى أثر النعم فتحملوا فأصابوا ربيئة لهم فأمنوه فدلهم على نعم لبني عم له فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير فأرسلوا الرجل وحدروا النعم إلى المدينة وقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيدًا.

*- سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناب أرض عذرة وبلي:- ثم سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناب أرض عذرة وبلي في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ.

*- بعض المواقف من حياته مع الصحابة رضي الله عنهم:- ما كان منه في حروب الردة، وحسن بلائه في قتال المرتدين حتى قضى شهيدًا رضي الله عنه، وقد ذُكر ذلك في أكثر من موضع.

*- أثره في الآخرين:- روى عنه أبو هريرة وابن عباس، وروت عنه أخته أم قيس بنت محصن.

*- بعض كلماته:- قال عكاشة بن محصن:- انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عودًا فإذا هو سيف أبيض طويل، فقاتلت به.

*- الوفاة:- قال ابن حجر في الإصابة:- واتفق أهل المغازي على أن ثابت بن أقرم قتل في عهد أبي بكر قتله طليحة بن خويلد الأسدي، وقال عمر لطليحة بعد أن أسلم كيف أحبك وقد قتلت الصالحين عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم، فقال طليحة أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما.

*- عن أم قيس بنت محصن قالت:- توفي رسول الله ﷺ وعكاشة أ بن أربع وأربعين سنة، وقتل بعد ذلك بسنة ببزاخة في خلافة أبي بكر الصديق سنة اثنتي عشرة وكان عكاشة من أجمل الرجال.

*- وها أنا ذا قد أحببت اليوم أن القى الضوء على واحد من عمالقة الصحابة الكرام-رضى الله عنهم- الذين حملوا أمانة الدين فوق أعناقهم.

*- إنه الرجل الذى لا يدخل الجنة فحسب !!!بل إنه يدخلها بغير حساب ولا عذاب...فمرحبًا برياح الجنة.

*- تعالوا بنا نتعرف على الصحابي الجليل:-

*- بعد أن بعث النبي-ﷺ- وأخذ يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وأخذت الدعوة تنتشر في مكة وبدأت قريش تقف في وجه الدعوة وقوف المعارض، وتدافع عن وثنيتها دفاع المستميت.

*- بيد أن الحرب المستعرة جعلت بعض الشباب من ذوى العقول الواعية ينظرون إلى الإسلام نظرة خالية من شوائب الجاهلية ورواسبها، فكان بعضهم يقبل على الإسلام في صفاء تام ، ويعلن عن إسلامه وانضمامه إلى الدين الحنيف.

*- نبهت الدعوة أحد الشباب الذين عرفوا بوفرة العقل وصدق الإحساس، وحركت في نفسه نوازع الخير والركون إلى الإسلام وترك الشرك، وأشرقت نفسه بالحقيقة، وانطلق إلى رسول الله -ﷺ- يعلن إسلامه، لم يكن هذا الشاب سوى "عكاشة بن محصن" حليف بنى عبد شمس.

*- وكان عكاشة معروفًا بجمال الطلعة وحسن الهيئة والجرأة وقد تلقى الأذى من قريش مع من تلقى من المؤمنين.

*- هاجر الصحابي الجليل عكاشة إلى المدينة بعد أن اشتد العذاب على المسلمين بعدما أمرهم الرسول بالهجرة إليها، فكان ممن هاجر معهم- رضي الله عنه- وعاش في المدينة أبهى أيام عمره في رحاب إخوانه من الأنصار، وبعد أن التقط أنفاسه هناك كان في أشد شوقه لخدمة هذا الدين العظيم والذوذ عن حياضه.

*- فاستعمله النبي-ﷺ-على سرية (الغمر) في أربعين رجلًا، فذهبوا إلى الغمر فعلم القوم بمجيئه فهربوا ونزل على مياههم وأرسل عيونه فعرفوا مكان ماشيتهم فغزاها فوجد مائتي بعير فساقها إلى المدينة، وشهد بدر وأبلى بلاء حسنا وشهد أحدا والخندق وما بعدها.

*- تدبروا واسألوا الله من فضله:- عن أبى هريرة -رضى الله عنه - أنه قال:- سمعت رسول الله - ﷺ- يقول:- "يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، وقال أبو هريرة:- فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه فقال:- يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال:- اللهم اجعله منهم، ثم قام رجلٌ من الأنصار فقال:- يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال:- سبقك بها عكاشة ".

*- مواقف له- رضي الله عنه- قاتل عكاشة يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله -ﷺ- فأعطاه جذلًا من حطب، فقال:- "قاتل بهذا يا عكاشة "، فلما أخذه من رسول الله -ﷺ- هزه فعاد سيفًا في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى:- العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله -ﷺ- حتى قتله طليحة الأسدي أيام الردة.

*- الرحيل إلى النعيم المقيم:- وبعد حياة طويلة مليئة بالجهاد والتضحية والطاعة لله -جلَّ وعلا- رحل السعيد الشهيد(عكاشة بن محصن) من دنيا الناس إلى النعيم المقيم.

*- روى الإمام أحمد من طريق وحشى بن حرب، أن أبا بكر لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة، ولما توجه خالد من ذي القصة وفارقه الصديق ،واعده أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء- وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب-وأمره أن يذهب أولا إلى طليحة الأسدي، وكان الصديق قد بعث عدى بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال:- أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عدي إلى قومه بنى طيء فأمرهم أن يبايعوا الصديق، فقالوا:- لا نبايع أبا الفضل أبدا -أبو بكر-، ولم يزل عدي يفتل لهم في الذروة والغارب حتى لانوا، وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه ثابت بن قيس بن شماس، وبعث بين يديه ثابت بن أقرام، وعكاشة بن محصن (طليعة)، فتلقاهما طليحة وأخوه سلمة فيمن معهما، فلما وجدا ثابتا وعكاشة تبارزوا فقتل عكاشة جبال بن طليحة، وقيل:- بل كان قتل جبالًا قبل ذلك وأخذ ما معه، وحمل عليه طليحة فقتله وقتل هو وأخوه سلمة ،ثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين فشق ذلك على المسلمين، ثم أمر بهما فدفنا في ثيابهما.

*- وهكذا رحل هذا الصحابي الجليل ليدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، فاللهم اجمعنا بالصالحين من أمة حبيبك-ﷺ- في جنتك ودار كرامتك.

*- (حديث مرفوع) حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما:- لَمَّا نَزَلَتْ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ سورة النصر آية (١) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- " يَا جِبْرِيلُ ، نَفْسِي قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ " ،

قَالَ جِبْرِيلُ :- وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى { ٤ } وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى { ٥ } سورة الضحى آية (٤ – ٥) ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِلالًا أَنْ يُنَادِي بِالصَّلاةِ جَامِعَةً ، فَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَطَبَ خُطْبَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَبَكَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، ثُمَّ قَالَ :- " أَيُّهَا النَّاسُ ، أَيُّ نَبِيٍّ كُنْتُ لَكُمْ ؟ " فَقَالُوا :- جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ خَيْرًا ، فَلَقَدْ كُنْتَ لَنَا كَالأَبِ الرَّحِيمِ وَكَالأَخِ النَّاصِحِ الْمُشْفِقِ ، أَدَّيْتَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَأَبْلَغْتَنَا وَحْيَهُ وَدَعَوْتَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ :- " مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَنَا أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ وَبِحَقِّي عَلَيْكُمْ ، مَنْ كَانَتْ لَهُ قِبَلِي مَظْلَمَةٌ فَلْيَقُمْ فَلْيَقْتَصَّ مِنِّي " ، فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَنَاشَدَهُمُ الثَّانِيَةَ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَنَاشَدَهُمُ الثَّالِثَةَ :- " مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ كَانَتْ لَهُ قِبَلِي مَظْلَمَةٌ فَلْيَقُمْ فَلْيَقْتَصَّ مِنِّي قَبْلَ الْقِصَاصِ فِي الْقِيَامَةِ " ، فَقَامَ مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، يُقَالُ لَهُ :- عُكَّاشَةُ ، فَتَخَطَّى الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :- فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، لَوْلا أَنَّكَ نَاشَدْتَنَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى مَا كُنْتُ بِالَّذِي أَتَقَدَّمُ عَلَى شَيْءٍ مِنْكَ ، كُنْتُ مَعَكَ فِي غَزَاةٍ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا وَنَصَرَ نَبِيَّهُ، وَكُنَّا فِي الانْصِرَافِ حَاذَتْ نَاقَتِي نَاقَتَكَ ، فَنَزَلْتُ عَنِ النَّاقَةِ وَدَنَوْتُ مِنْكَ لأُقَبِّلَ فَخِذَكَ فَرَفَعْتَ الْقَضِيبَ فَضَرَبْتَ خَاصِرَتِي فَلا أَدْرِي أَكَانَ عَمْدًا مِنْكَ أَمْ أَرَدْتَ ضَرْبَ النَّاقَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- " أُعِيذُكَ بِجَلالِ اللَّهِ ، أَنْ يَتَعَمَّدَكَ رَسُولُ اللَّهِ بِالضَّرْبِ ، يَا بِلالُ ، انْطَلِقْ إِلَى مَنْزِلِ فَاطِمَةَ، وَائْتِنِي بِالْقَضِيبِ الْمَمْشُوقِ " ، فَخَرَجَ بِلالٌ مِنَ الْمَسْجِدِ وَيَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ يُنَادِي هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُعْطِي الْقِصَاصَ مِنْ نَفْسِهِ فَقَرَعَ عَلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ :- يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ، نَاوِلِينِي الْقَضِيبَ الْمَمْشُوقَ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ :- يَا بِلالُ وَمَا يَصْنَعُ أَبِي بِالْقَضِيبِ وَلَيْسَ هَذَا يَوْمَ حَجٍّ وَلا يَوْمَ غَزْوَةٍ، فَقَالَ :- يَا فَاطِمَةُ ، مَا أَغْفَلَكِ عَمَّا فِيهِ أَبُوكِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُوَدِّعُ النَّاسَ وَيُفَارِقُ الدُّنْيَا وَيُعْطِي الْقِصَاصَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ :- يَا بِلالُ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ يَا بِلالُ ، أَذِّنْ فَقُلْ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ يَقُومَانِ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَيَقْتَصُّ

مِنْهُمَا وَلا يَدَعَانِهِ يَقْتَصُّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ بِلالٌ الْمَسْجِدَ وَدَفَع الْقَضِيبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْقَضِيبَ إِلَى عُكَّاشَةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ إِلَى ذَلِكَ قَامَا ، فَقَالا :- يَا عُكَّاشَةُ ، هَذَانِ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ فَاقْتَصَّ مِنَّا وَلا تَقْتَصَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- " امْضِ يَا أَبَا بَكْرٍ وَأَنْتَ يَا عُمَرُ فَامْضِ فَقَدْ عَرَفَ اللَّهُ مَكَانَكُمَا وَمَقَامَكُمَا " ، فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ :- يَا عُكَّاشَةُ ، أَنَا فِي الْحَيَاةِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لا تَطِيبُ نَفْسِي أَنْ تَضْرِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَذَا ظَهْرِي وَبَطْنِي اقْتَصَّ مِنِّي وَاجْلِدْنِي مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَقْتَصَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- " يَا عَلِيُّ ، اقْعُدْ ، فَقَدْ عَرَفَ اللَّهُ مَقَامَكَ وَنِيَّتَكَ " ، فَقَامَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، فَقَالا :- يَا عُكَّاشَةُ ، أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّا سِبْطَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَالْقِصَاصُ مَا كَالْقِصَاصِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- " اقْعُدَا يَا قُرَّةَ عَيْنِي ، وَلا يُنْسَى لَكُمَا هَذَا الْمَقَامُ " ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- " اضْرِبْ إِنْ كُنْتَ ضَارِبًا " فَقَالَ :- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ضَرَبْتَنِي وَأَنَا حَاسِرٌ عَنْ بَطْنِي ، فَكَشَفَ عَنْ بَطْنِهِ وَصَاحَ الْمُسْلِمُونَ بِالْبُكَاءِ ، وَقَالُوا :- أَتَرَى عُكَّاشَةَ ضَارِبٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَلَمَّا نَظَرَ عُكَّاشَةُ إِلَى بَيَاضِ بَطْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَأَنَّهُ الْقُبَاطِيُّ ، لَمْ يَمْلِكْ أَنْ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَ بَطْنَهُ وَهُوَ يَقُولُ :- فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، وَمَنْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْكَ ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- " إِمَّا أَنْ تَضْرِبَ وَإِمَّا أَنْ تَعْفُوَ " فَقَالَ :- عَفَوْتُ عَنْكَ رَجَاءَ أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ عَنِّي فِي الْقِيَامَةِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الشَّيْخِ " ، فَقَامَ الْمُسْلِمُونَ فَجَعَلُوا يُقَبِّلُونَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْ عُكَّاشَةَ وَيَقُولُونَ :- طُوبَاكَ طُوبَاكَ ، نِلْتَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَمُرَافَقَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا والله هو جدُّ فضيلة شيخنا وإمامنا وقدوتنا ومرشدنا على حوض الحبيب وسنة الحبيب المصطفى سيدنا رسول الله ﷺ، والذي بشره الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بأنه يدخل

الجنة بلا حساب ولا سابقة عذاب، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد ﷺ بشره بأنه رفيقه في الجنة فقال:- { مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الشَّيْخِ}، وأشار بيده الشريفة الطاهرة إلى سيدنا عكاشة رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ومن المعروف أن تقوى الآباء تنفع الأبناء، وتظهر آثارها على المسلم نفسه، وعلى ذريته من بعده ولأجيال عديدة، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في الشرع من أخبار نذكر منها:-

١- أولاد صاحب الكنز:-

*- قال الله تعالى:- { وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا } (الكهف: ٨٢).

*- قال القرطبي:- قوله تعالى { وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا } فيه ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بعدوا عنه، وعلى هذا يدل قوله تعالى:- { إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ }،(الأعراف:- ١٩٦)،(تفسير القرطبي ٤٣/١١).

٢- أولاد عمر بن عبدالعزيز:-

*- دخل مسلمة بن عبدالملك على عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله- وهو في سياق الموت، فقال:- يا أمير المؤمنين:- إنك افقرت أفواه ولدك (وكانوا اثني عشر ولدًا) من هذا المال، وتركتهم عيلة (فقراء) لا شيء لهم؛ فلو وصيت بهم إلي (وكان مسلمة أخًا لفاطمة بنت عبدالملك زوجة عمر بن عبدالعزيز) وإلى نظرائي من أهل بيتك، فقال عمر بن عبدالعزيز:- أسندوني، ثم قال:- أما قولك أني أفقرت أفواه ولدي من هذا المال؛ فوالله إني ما منعتهم حقًّا هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم، وأما قولك:- لو أوصيت بهم فإن وصييَّ ووليييَّ فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

*- إن بنيَّ أحد رجلين:- إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا، وإما رجل مكب على المعاصي؛ فإني لم أكن أقويه على معاصي الله.

*- ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرًا، فنظر إليهم فذرفت عيناه، ثم قال:- أي بَنِيَّ، إن أباكم خُيِّرَ بين أمرين:- بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار، قوموا عصمكم الله،(صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/١٢٥، ١٢٦).

*- قال ابن كثير:- قال بعض السلف:- «لقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبدالعزيز يحمل على ثمانين فرسًا في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمان بن عبدالملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتعاطى ويسأل من أولاد عمر ابن عبدالعزيز؛ لأن عمر وَكَلَ ولده إلى الله عزَّ وجلَّ، وسليمان وغيره إنما يكلون أولادهم إلى ما يدعون لهم، فيضيعون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم». (البداية والنهاية لابن كثير ٩/٢١٨).

*- فرضى الله عن سيدنا عكاشة بن محصن الأسدي، وعن سائر الصحابة والقرابة أجمعين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيدنا/ أبو القاسم الجنيد

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

*- إن التاريخ الإسلامي المجيد حافل بالرموز الروحية التي كانت وما تزال تعيش في ضمير الأمة المغربية، فهي مصدر إشعاعها الوجداني الروحي، ومثلها الأعلى في الالتزام بالشريعة الإسلامية السمحة.

*- والإمام الجنيد رحمة الله عليه واحد من أولئك الذين تركوا بصماتهم واضحة في الحقل الصوفي:- بسيرته العطرة، وبمنهجه السلوكي التربوي الذي جمع فيه بين العلم والعمل به، ووُصف بسلوك طريق الرياضة ومجاهدة النفس من أجل بلوغ مرتبة الإحسان، والتحقّق بأعلى الكمالات الخلقية.

*- كان هذا التوجه الشرعي هو الذي جعل منهج الإمام الجنيد ينال القبول والاستحسان من الفقهاء والصوفية على السواء، فلم ينكروا عليه شيئًا من مسلكه، بل اعتمدوه وساروا على دربه، لما يمتاز به من رسوخ وتمكين، واعتدال وصحو، وربط بين الحقيقة والشريعة.

*- فالإمام الجنيد "كان من الشخصيات الهامة التي بلغت مبلغ القوة والعطاء والنفوذ الروحي العميق، بحفاظه على الإسلام عامة، والتصوف خاصة، من خلال منهج واضح محدد، وأسلوب معتدل مُتّزن لا يجاوز حدود الكتاب والسنة، حتى في أعلى ما يصل إليه مجهود المتدين، وأعني به الفناء، كان في ذلك كله ممثلًا لمنهجه، ولم يخرج عن قضية التصوف السني الإسلامي المعتدل بحال من الأحوال".

أ- سيـــــــرتـــــــــه:-

*- هو إمامٌ ضُرب بعلمه وحاله وسلوكه أروع المثل، وقدّم من جوهر صوفيته وتحقُّقه أنصع البراهين وأقوى الحجج على أن التصوف يُمثِّل أعلى قِمّة في الإسلام، يظل لواؤها صفوة عباد الله.

*- لُقِّب بسيِّد الطائفة، وطاووس العلماء، وشيخ طريقة التصوف، ومُقدّم الجماعة، وتاج العارفين، وشيخ المشايخ.

*- كيف لا وهو "المُربِّي بفنون العلم، المُؤيّد بعيون الحلم، المُنوّر بخالص الإيقان وثابت الإيمان، العالم بمُودع الكتاب، والعامل بحلم الخطاب، الموافق فيه للبيان والصواب...، كان كلامه بالنصوص مربوطًا، وبيانه بالأدلة مبسوطًا، فاق أشكاله بالبيان الشافي، واعتناقه للمنهج الكافي، ولزومه للعمل الوافي".

*- إنه الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي القواريري الخزاز، أبو القاسم، سيِّدٌ من سادات الصوفية وعلَمٌ من أعلامهم، يعود مسقط رأسه إلى نهاوند، أما مولده ومنشأه ووفاته فببغداد، صحِب جماعة من المشايخ، واشتهر بصحبة خاله السّري السقطي، والحارث المحاسبي، درَس الفقه على أبي ثور أحد تلامذة الإمام الشافعي.

*- "وكان قد سمع الحديث عن الكثير من الشيوخ، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورُزِق من الذكاء وصواب الجوابات في فنون العلم ما لم يُر في زمانه مثله عند أحد من قرنائه، ولا ممن أرفع سنًّا منه، ممن كان ينسب منهم إلى العلم الباطن والعلم الظاهر، في عفاف وعزوف عن الدنيا وأبنائها".

*- حصّل الجنيد العلم الضروري الذي لا يحصل إلا بالنقل وهو علم الفقه والحديث على أبي ثور، وكان يُفتي بحضرته وهو ابن عشرين سنة، ولم يكد يبلغ الثلاثين من عمره حتى رأى السري السقطي أنه أصبح مُؤهّلاً للجلوس والتدريس وإدارة حلقات العلم بالمساجد، غير أنه تحشّم ولم يجد نفسه أهلًا لذلك، حتى رأى ليلة في المنام رسول الله ﷺ، وكانت ليلة جمعة، فقال له ﷺ:- تكلّم على الناس، فانتبه من نومه وأتى باب السري السقطي قبل أن يصبح...، فقال له السري:- لم تُصدِّقنا حتى قيل لك...، وكان أمرُ رسول الله ﷺ حاسمًا، فقعد الجنيد في غدٍ للناس بالجامع.

*- "وكانت مجالسه هي جامعة بغداد الكبرى، كان عُشّاق الأدب يحضرون مجالسه ليتزودوا بالمُضِيء من القول، والمُشرِق من البيان، ويحُف به الفقهاء ينشدون لديه القول الفصل والحكم المبين، ويحيط به الفلاسفة ليتفقهوا دقائق الحكمة وأسرار النفوس والأكوان، ويلوذ به المتكلمون ليأخذوا عنه طرائق البحث وفنون الحديث، ويتبعه رجال التصوف، فهو النبع الذي يتدفق رحيقه من عرش الإيمان".

*- وجلوس الجنيد -رحمه الله تعالى- في حلقة بالمسجد يفتي ويدرس ويناقش، مكنّه من إرساء قواعد العلم الصوفي كواحد من العلوم الإسلامية جنبًا إلى جنب مع علم الفقه والحديث والتفسير وغيرها، وذاع صيته حتى أصبح المرجع الديني الأكبر للعامة والخاصة في بغداد وفي المشرق العربي على امتداده، في حقبة تاريخية عصيبة تمثلت في صراع الفقهاء مع علماء الكلام.

ب- منـــــزلتـــــــــــــه:-

*- لقد نال الجنيد مرتبة عالية، وإعجابًا كبيرًا، وثناءً عجيبًا من علماء الأمة ومؤرخيها، إذ اتفقوا "... على قبوله، والاعتداد بقوله، وعدُّوه وليًّا من أولياء الله تعالى...".

*- قال إسماعيل بن نجيد فيما يرويه عنه صاحب تاريخ بغداد:- " كان يقال:- إن في الدنيا من هذه الطبقة ثلاثة لا رابع لهم:- الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام".

*- ويضيف البغدادي:- " قال جعفر بن محمد الخلدي:- لم نرَ في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبي القاسم الجنيد، وإلا فأكثرهم كان يكون لأحدهم علم كثير ولا يكون له حال، وآخر يكون له حال كثير وعلم يسير، وأبو القاسم الجنيد كانت له حال خطيرة، وعلم غزير، فإذا رأيت حاله رجحته على علمه، وإذا رأيت علمه رجحته على حاله".

*- وشهد له ابن الأثير بالإمامة، قال:- "... وكان إمام الدنيا في زمانه...".

*- وقال عنه ابن خلكان:- "الزاهد المشهور...، وكان شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه في الحقيقة مشهور مُدوّن...".

*- وروى الجامي عن أبي عبد الله بن خفيف قوله:- "اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلِّموا أحوالهم:- الحارث المحاسبي، والجنيد، ورويم، وابن عطاء، وعمرو بن عثمان المكي، قدس الله أسرارهم، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق".

*- وقال الشيخ أبو جعفر الحداد:- " لو كان العقل رجلًا لكان الجنيد".

*- ومن العلماء المتأخرين الذين أثنوا على الجنيد الإمام الشوكاني، قال:-

ولكم مشى هذي الطريقة صاحب لمحمد فمشوا على أعقابـــــــــه

فبها الغفاري قد أنـــاخ مطيـــــه ومشى بها القرني بسبق ركابـه

وبها فضيل والجنيد تجاذبـــــــا كأس الهوى وتعللا برضابـــــه

*- وفي رأي سماحة الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف رضي الله تعالى عنه وأرضاه، كان الإمام الجنيد "متزنًا كامل الاتزان، وكان متعبدًا على علم، وكان عالمًا كأجمل وأعمق ما يكون العلم...،

*- وكان الجنيد إمامًا لهم، ومرشدًا، وأخذ بأيديهم إن قصروا، ومهدئًا لهم إن زاد بهم الوله:- لقد كان قائدًا يفرح بالنابه من جنده، ويشد أزر من تعثر به الطريق، ويرد جماح الجامحين، والكل يدين له بالفضل ويعترف له بالتقدير".

*- ووصفه الإمام ابن تيمية بأنه إمام من أئمة الهدى، قال:- "... ولهذا كان الجنيد -رضي الله عنه- سيّد الطائفة إمام هدى...".

*- أما فريد الدين العطار، فأثنى عليه بما هو أهله، في قوله:- "وكان في جميع العلوم ماهرًا، وفي الفنون كاملًا، وفي الأصول والفروع مُفتياً، وفي المعاملات والرياضات والإشارات العالية سابقًا على الأقران، ومن أول حاله إلى آخر حاله حميدًا مقبولًا، والكل متفق على أمانته وكماله، وكلامه حجة في علم الطريقة، وما استطاع أحد أن يعترض عليه بمخالفة السنة".

*- لقد حظي الجنيد بمكانة متميزة بين السابق واللاحق، فأثنوا عليه الثناء الحسن، وأنزلوه المنزلة الرفيعة، أهَّله لذلك حُسْنُ سَمْتِهِ وأخلاقه ومنهجه السلوكي التربوي، القائم على مجاهدة النفس وترويضها، والالتزام بصالح الأخلاق والأعمال، انطلاقا من كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم عليه الصلاة والتسليم، فاستحق بذلك لقب سيد الطائفة وتاج العارفين، رضوان الله عليهم أجمعين.

*- "وقلّما حظيت شخصية صوفية باهتمام المؤرخين بمثلما حظيت به شخصية الجنيد، كيف لا وهو الجامع بين الشريعة والحقيقة والواضع للمريدين أصول الطريقة، وهو أول من صاغ المعاني الصوفية تعبيرًا، وشرحها تفسيرًا، وحررها تحريرًا".

*- وهذا ما يفسر ذيوع طريقته الصوفية في المشرق والمغرب، فهي مبنية على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام، متمسكة بالأصول الشرعية من توحيد كامل، وإيمان راسخ، ويقين ثابت، ساعية إلى

تحقيق أعلى المراتب الخلقية الرفيعة، التي نادى بها ديننا الحنيف، فكانت من أسسه ومقوماته المحققة للمعرفة الإلهية، والقرب من الحضرة الربانية.

*- وعلى طريق النور تمضي مواكب العارفين الى غاية الغايات، حيث تنعم الأرواح التي شربت من ينابيع المحبة والصفاء حتى لم تبق فيها لغير الله بقية، فهي دائمًا وأبدًا مع الله وبالله، إنها أروح الصفوة الأولياء، الذين اصطفاهم الله تعالى لهداية خليقته، فهم الضياء المنبعث في أرجاء هذه الحياة ليغمر سناه آفاق هذه الإنسانية فيجذب الأرواح التائقة إلى النور.

*- ومع قمة شامخة من قمم التصوف نلتقي على طريق النور مع الإمام الجنيد -رضي الله عنه- فهو أحد أركان الطريق الصوفي الذي يشار إليه بالبنان، وهو إمام السلوك الذين ارتفعت على أيديهم منارات المعرفة وشربت من منابعهم العذبة أرواح المريدين والسالكين.

*- ولو ذهبنا نلتمس كلمة أو عبارة نستوحي من خلالها التعرف على مكانة الإمام الجنيد -رضي الله عنه- لما وجدنا خيرا من عبارة:- هو سيد هذه الطائفة، ولقد صارت هذه الكلمة اصطلاحًا لدى الصوفية على شخصية العارف بالله تعالى ''سيدنا الجنيد''، بجانب ما قيل فيه من أنه شيخ التصوف على الإطلاق وإمام أهل الخرقة ومقدم الجماعة وغير ذلك.

*- وهو أبو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج، أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه بالعراق وقد تفقه على مذهب أبن ثور من أصحاب الإمام الشافعي -رضي الله عنه- وراوي مذهبه القديم، وكان الجنيد يفتي بحضرته وهو في العشرين من عمره فذاعت شهرته في مختلف الأوساط العلمية ببغداد.

*- أما عن تربيته الصوفية، فقد أخذ الطريق من خاله السري السقطي وهو من أئمة رجال التصوف في عصره، وقد قال عنه الإمام القشيري:- كان أوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم الوحي، هذا ويؤرخ لوفاته -رضي الله عنه- بسنة سبع أو ثمان وتسعين ومائتين من الهجرة.

*- والمتصفح لتاريخ الجنيد، يقف في كل اتجاه على سر من الأسرار التي توحي بجملتها أن هذا الطراز من الرجال قد أعدته العناية الإلهية ليحمل مشعل الهدية لبني أمته، وليقدم لها ميزان العبودية الصادق

الذي تزن به نفسها في إطار علاقتها مع خالقه جلَّ شأنه، وهو يعد منذ صغره لتحمل هذه الأمانة، انظر إليه وهو يقول:- كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين، والجماعة يتكلمون في الشكر.

*- فقال:- يا غلام ما الشكر؟

*- قلت:- ألا يُعْصَى الله بنعمه.

*- فقال:- أخشى أن يكون حظك من الله لسانك، فلا أزال أبكي على هذه الكلمة.

*- أجل، فقد أحدثت هذه الكلمة من خاله السري في نفسه دويًا هزَّ أركان نفسه، إذ خشي على نفسه أن يكون حظه من التصوف مجرد الكلام فيه وترديد عباراته وأن يحرم من التحقق بمضمون هذا الكلام، فعمل من ساعته على أن يكون صوفيًّا بالحقيقة والحال لا باللسان والمقال، وحين تصدق من العبد الإرادة وصاحبها من الله العون والتوفيق فقل من الخير ما شئت.

*- فهذا هو الإمام الجنيد يقبل على مولاه إقبالًا يغنيه عن نفسه وعن وجوده، وهو يصور معنى هذه الإقبال ودرجته قائلًا -: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله!!.

*- إنه يرى أن لحظة تفوت العبد مع ربه فيها فوات مغنم تودي خسارته بكل مكاسب العمر، أرأيت همة أرقى من هذه الهمة؟ وتعبيرًا يصور ما صورته من معانٍ؟

*- ولكن التساؤل الآن هو:- بِمَ تكونُ معية الخلق مع خالقه ؟؟

*- وما هي الصفات التي تؤهل العبد للإقبال على ربه وترفعه إلى مصاف المقربين؟

*- وفصل الخطاب في ذلك إنما هو اتباع منهاج الشريعة المحمدية إتباعًا كليًّا ليس الأشباح فقط وإنما بتطويع النفس لطاعة الله وبمكابدة النفس لأنواع المجاهدات درجة فدرجة حتى يساير هوى النفس مقصود الشارع الحكيم وحتى تصير الطاعات عادات تألفها النفس وتتوق إليها، وأساس ذلك كله صدق النية في اتباع الشريعة المحمدية إتباعًا مبنيًّا على علم فلا وصول إلا من هذا الباب.

*- ولذا يقول الإمام الجنيد (الطرق كلها مسودة عن الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول -ﷺ- واتبع سنته ولزم طريقته) وبعد أن بين معالم السبيل بصراحةٍ لا لبس فيها، تجده يربط بإحكامٍ بَيّنٍ منبع الطريق الصوفي ومصبه، فالمنبع هو الشريعة المحمدية ممثلة في هدى الكتاب والسنة، والمصب:- هو الحقيقة التي يصلها العبد باتباعه لمنهاج الشريعة المستقيم.

*- فهنا هو يقول:- مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة، وهذا التقييد إنما هو من قبيل تقييد النتيجة بالمقدمة، وهو بلا جدال قاطع لأي منافاة بينهما.

*- ثم تعال معي لننظر إلى مدى بعد الرؤية عند الإمام الجنيد:- لقد أدرك هذا الرجل الذي كان يعيش في القرن الثالث الهجري ورأى ببصيرته التي نورها اللهُ أن ثمةَ دعاوي سيلفقها أعداء التصوف ويلصقونها به بعد حين من الزمن، وهي القول بخروج التصوف على الشريعة ودعوى أن الصوفية يسقطون الأعمال والتكاليف فقطع عليهم الطريق وقطع ألسنتهم، إذ ذكر أمامه أن شخصًا قال:- إن أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات – أي الأعمال – من باب البر والتقرب إلى الله -عزَّ وجلَّ-، فقال الإمام الجنيد:- إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم والذي يسرق ويزني أحسن حالًا من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنتقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها.

*- هذا هو قول سيد الطائفة الصوفية الرجل الذي أقام عشرين سنة وورده من النوافل في كل يوم ثلاثمائة ركعة، وثلاثون ألف تسبيحه.

*- إلى جانب مجالسه العلمية التي كانت ببغداد حيث الرائح والغادي والتي كان يؤمها الأدباء لينهلوا من بلاغته وروعة أسلوبه، والفقهاء ليأخذوا من فتاواه واستنباطاته، والفلاسفة لدقة نظره وسمو أفكاره، والمتكلمون لبراعته وتحقيقه والصوفية لإشارته وحقائقه.

*- ثم نمضي مع سيد الطائفة لنقتبس قبسات من إشاراته الصوفية ولمحاته العلوية، إنه يقول:- إن الله تعالى يُخْلِصُ إلى القلوب من بِرِّهِ بحسب ما تُخْلِصُ إليه القلوب من ذكره فانظر ماذا خالط قلبك ؟ وها

هو ذا يندد بالغفلة عن الله قائلًا:- الغفلة عن الله أشد من دخول النار.

*- ثم يوضح ماهية التصوف قائلًا:- التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله الصرف عن الدنيا كما قال حارثة:- صرفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري.

*- وبعد، فهذا هو الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية، الإمام الرباني والعالم اللدني الذي قال:- ما أخرج الله إلى الأرض علمًا وجعل للخلق إليه سبيلًا إلا وقد جعل لي فيه حظًّا) وقد شهد له أبو العباس بن عطاء قائلًا:- إمامنا في هذا العلم ومرجعنا والمقتدى به الجنيد، إنه مقدم الجماعة وإمام أهل الخرقة وشيخ التصوف الذي كان لا يغفل عن الله طرفة عين) يقول:- (الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار.

*- وهو الذي تكلم في المحبة – وهو شاب – بمكة في موسم الحج، على كبار المشايخ إذ قالوا له:- هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال واصفًا من تحقق بالمحبة:- ''عبد ذاهل عن نفسه، متصل بربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، وقد أحرق قلبه الأنوار الإلهية، وصفا شربه من كأس ورده، وانكشف له الحق من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وان نطق فمن الله، وان تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ومع الله.

*- فبكى المشايخ، وقالوا:- ما على هذا من مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين !! إنه الرجل الذي اكتملت فيه ولاية الله تعالى وفاضت من ينبوع معرفته لطائف الحكم لترتوي بها أرواح العارفين.

*- وهو الإمام الذي ضرب بعلمه وحاله وسلوكه أروع المثل، وَقَدَّمَ من جوهر صوفيته وتحققه أنصع البراهين وأقوى الحجج على أن التصوف يمثل أعلى قمة في الإسلام يظل لواؤها صفوة عباد الله، فسلام عليه في الخالدين، وسلام عليه مع النبيين والصديقين بمدده وبركاته دنيا وآخرة، اللهم آمين.

*- ومن كراماته رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- واشتهر عنه كرامات منها أن الشيخ كان يتكلم على الناس فوقف غلام نصراني متنكرًا وقال:- أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ:- "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى"، رواه الترمذي فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال له:- أسلم فقد حان وقت

إسلامك، فأسلم الغلام، والناس معتقدون أن هذا للجنيد كرامة واحدة وإنما فيه كرامتان إحداهما اطلاعه على كفر الغلام، والثانية اطلاعه على أنه سيسلم في الحال.

وأيّ أرض تخلو منك حتّى تعالوا يطلبونك في السمـــاء

تراهم ينظرون إليك جهـــراً وهم لا يبصرون من العمــاء

وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيدنا ابن عطاء الله السكندري رضي الله تعالى عنه وأرضاه

*- سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-

تاج العارفين سيدي ابن عطاء الله السكندري

*- على قلوب العارفين تتنزل النفحات الإلهية لتضيء ساحتها بالأنوار الربانية، وتجذبها إلى حضرة المولى عزَّ وجلَّ، فيظل العارف مستهلكًا في بحار التحقيق، فانيًا في الله، قائمًا به، فلا يشهد غير محبوبه الأزلي، ولا انشغال له إلا بمعشوقه الأبدي، مصدر كل جلال وجمال وكمال.

*- إنه الخضوع المطلق للحق تبارك وتعالى، الذي خصّ به صفوته من خليقته رضي الله عنهم أجمعين، ومن أفذاذ أولئك الأئمة الأخيار، والصوفية الأبرار، قطب سماء العرفان، وليٌّ أفنى ذاته في محبة الرحمن، إنه الإمام العابد، والصوفي الزاهد، والرباني الساجد، صاحب الأمداد والنور، سيدي ابن عطاء الله السكندري- رضي الله عنه-،علم من أعلام الصوفية الواصلين، المجمع على جلالتهم، من كبار الشيوخ العارفين، إمام أهل زمانه.

-*- نسبـــــــــــــــــــه:-

*- هو تاج الدين، ومنبع أسرار الواصلين، أبو الفضل، سيدي "أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله، الجذامي نسبًا، المالكي مذهبًا، الإسكندري دارًا، القرافي مزارًا، الصوفي حقيقةً، الشاذلي طريقةً، أعجوبةَ زمانه، ونخبةَ عصره وأوانه، الجامع لأنواع العلوم من تفسير، وحديث، وفقه، وتصوف، ونحو، وأصول، وغير ذلك".

*- كان "رجلًا صالحًا يتكلم على كرسي في الجامع بكلام حسن، وله ذوق ومعرفة بكلام الصوفية وآثار السلف، وله عبارة عذبة لها وقع في القلوب، وكانت له مشاركة في الفضائل، وكان من كبار القائمين على الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وكانت له جلالة".

***- ملامـــح مـــن سلوكـــه وعلمـــه:-**

*- كان سيدي ابن عطاء الله السكندري، "فقيهًا عالمًا ينكر على الصوفية، ثم جذبته العناية إلى اتباع طريقتهم الرضية، فصحب شيخ الشيوخ أبا العبّاس المرسي، وانتفع به، وفُتِحَ له على يديه بعد أن كان من المنكرين عليه، وسيرته معه...".

*- وقد "أكبَّ ابن عطاء الله على طلب العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول على الشيخ ناصر الدين بن المنير (ت٦٨٣هـ-١٢٨٤م)، كما تلقى علم الكلام والفلسفة على الشيخ شمس الدين الأصفهاني (ت٦٨٣هـ-١٢٨٤م)، كذلك برع في علوم اللغة من نحو وبيان، ولما شبّ سار على النهج المعارض للتصوف، فأنكر على أبي العباس المرسي تصوفه، وكان يناقش الصوفية ويعارضهم".

*- وقد جرت بينه وبين أصحاب أبو العباس المرسي قبل صحبته إياه مقاولة، يحكي ذلك في "لطائف المنن"، فيقول:- "وكنت أنا لأمره- يعني أبو العباس المرسي- من المنكرين، وعليه من المعترضين، لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صحّ نقله حتى جرت بيني مقاولة وبين أصحابه، وذلك قبل صحبتي إياه، وقلت لذلك الرجل:- "ليس إلا العلم الظاهر"؛ وهؤلاء القوم يدّعون أمورًا عظيمة وظاهر الشرع يأباها...، وكان سبب اجتماعي به أن قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل:- "دعني أذهب أنظر إلى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه، فأتيت إلى مجلسه، فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها، فقال:- الأول إسلام، والثاني إيمان، والثالث إحسان، وإن شئت قلت الأول شريعة، والثاني حقيقة، والثالث تحقق...، قال:- "وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهي، ومدد رباني، فأذهب الله ما كان عندي...، وصار رحمه الله تعالى من خواص أصحابه، ولازمه اثني عشر عامًا حتى أشرقت أنواره عليه وفُتِح له على يديه ثم استقر في الأزهر يدرّس الفقه والتصوف".

*- وقد قال له مرة شيخه أبو العباس المرسي:- "الزم فو الله لئن لزمت لتكون مفتيًا في المذهبين، يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر، ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن".

*- ولسيدي ابن عطاء الله السكندري، اليد الطولى في العلوم الظاهرة، والمعارف الباطنة، "إمام في التفسير والحديث والأصول، متبحر في الفقه، وله وعظ يعذب في القلوب، ويحلو في النفوس، وكان قد تدرب بقواعد العقائد الشرعية، وهذبته العلوم، فاستدل بالمنطوق على المفهوم، فساد بذلك العصابة الصوفية، فكان له من الرياسة شرب معلوم، وهو صاحب كتاب:- "الحكم" الذي من تأمله قال:- "ما هذا منشور، إن هذا إلا لؤلؤ منثور"، كل سطّر منه جنة قد حُفت بالثمار، وأحدقت بأنوار الأزهار، وكل شطر من سطر لو يباع بثمن بخس لَاشْتُرِيَ بألف دينار".

***- كراماتـــــــــــــــــــــــه:-**

*- من كراماته رضي الله عنه، أن "الكمال بن الهمام زار قبره، فقرأ عنده سورة هود حتى وصل إلى قوله تعالى:- ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾، فأجابه من القبر صوت عال:- "يا كمال، ليس فينا شقي، فأوصى بأن يُدفن هناك".

*- ومنها:- أن رجلًا من تلامذته حجَّ، فرأى الشيخ في المطاف، وخلف المقام، وفي المسعى، وفي عرفة، فلما رجع سأل عن الشيخ:- "هل خرج من البلد في غيبته إلى الحج؟" قالوا:- "لا"... فدخل إليه وسلم عليه، فقال له:- "من رأيت من الرجال؟" قال:- "يا سيدي، رأيتك"... فتبسم وقال:- "الرجل الكبير يملأ الكون، لو دُعي القطب من جحر لأجاب".

***- ابن عطاء الله من خلال كتب المناقب والتراجم:-**

*- قال ابن حجر في كتابه:- "الدرر الكامنة":- "صحب الشيخ أبا العباس المرسي صاحب الشاذلي، وصنّف مناقبه ومناقب شيخه، وكان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، وهو ممّن قام على الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وكان يتكلم على الناس، وله في ذلك تصانيف عديدة".

*- وذكر ابن حجر في كتابه أيضًا، أن الذهبي قال عنه:- "كانت له جلالة عجيبة، ووقع في النفوس، ومشاركة في الفضائل، وكان يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفوس، ومزج كلام القوم بآثار السلف وفنون العلم، فكثُر أتباعه، وكانت عليه سيما الخير، ويقال:- "إن ثلاثة قصدوا مجلسه، فقال

أحدهم:- "لو سَلِمتُ من العائلة لتجرّدت"، وقال الآخر:- "أنا أصلي وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرّة"، وقال الثالث:- "أنا صلاتي ما تُرضيني فكيف تُرضي ربي"، فلما حضروا مجلسه، قال في أثناء كلامه:- ومن الناس من يقول:-... فأعاد كلامهم بعينه".

*- وذكره الشعراني في طبقاته، فقال:- "الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه، الزاهد المذكر، الكبير القدر، تلميذ الشيخ ياقوت رضي الله عنه، وقبله تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي، كان ينفع الناس بإشاراته، ولكلامه حلاوة في النفوس، وجلالة".

وقال الكمال جعفر:- "سمع من الأبرقوهي، وقرأ النحو على الماروني، وشارك في الفقه والأدب، وصحب المرسي، وتكلم على الناس، وكثُر أتباعه".

*- وقال ابن الأهدال:- "الشيخ العارف بالله، شيخ الطريقين، وإمام الفريقين، كان فقيهًا، عالمًا، ينكر على الصوفية، ثم جذبته العناية، فصحب شيخ الشيوخ المرسي، وفُتِح عليه على يديه، والذي جرى له معه مذكور في كتابه:- "لطائف المنن"، وله عدة تصانيف، منها:- "الحكم"، وكلُّها مشتملة على أسرار ومعارف، وحكم ولطائف، نثرًا ونظمًا، وما أحسن قوله في شيخه في بعض قصائده".

***- مؤلفاتـــــــــــــــه:-**

*- ترك ابن عطاء الله السكندري عدة مصنفات في التصوف، منها:-

*- "الحكم العطائية": وقد نالت شروحها الداني والبعيد، وقرأها الكبير والصغير، وما زالت مرجعًا وافيًا في لون متميز من ألوان السلوك الإنساني، والمعراج إلى حضرة القدس الأعلى". عالج في كتابه هذا، مختلف الموضوعات التي تحدث عنها الصوفية، ولعل أهمها:- "كيف نستدل على الله، صلتنا بالله، التجريد والأسباب، الشهرة والخمول، دقائق الرياء...".

*- وممن أفرد حكم ابن عطاء الله، نَجِدُ:- «الشيخ زروق، سماه:- "الحكم العطائية للقطب الجامع للشريعة والحقيقة"، وهو شرح ممزوج أوله الحمد لله الذي شرف عباده، وقد ذكر في بعض شروحه أن الحكم مرتب بعضها على بعض، فكل كلمة منها توطئة لما بعدها...، وشرحها أيضًا محمد بن إبراهيم بن

عباد النفزي الرندي الشاذلي، سماه:- "غيث المواهب العلية"، ومنها أيضًا شرح أبي الطيب إبراهيم بن محمود الأقصراني المواهبي الشاذلي الحنفي، سماه:- "أحكام الحكم في شرح الحكم"، وشرح الشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي، سماه:- "الدرر الجوهرية"، وشرحها أيضًا صفي الدين أبي المواهب، ومحمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي...».

*-"لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبو الحسن":- وهو عبارة عن مقدمة وعشرة وأبواب وخاتمة، المقدمة في تفضيل النبي ﷺ على جميع بني آدم، وذكر أقسام الولاية، وما تبقى تعريف بشيخه أبي العباس وبعلمه ومجرباته وما فسره من الآيات والأحاديث، وما ذكره من كلام أهل الحقائق ودعائه وشعره...، "ولهذا المؤلف قيمة كبرى في التعريف بآداب الطريقة الشاذلية، وقد حفظ ابن عطاء تراث الشاذلية الروحي من الضياع".

* -"التنوير في إسقاط التدبير":- ذكر ابن عطاء الله أنه ألفه بمكة ثم استدرك عليه بدمشق وزاد فيه، قال في مقدمته:- "إذا طالعه المريد الصادق عرف أن المتلوث لا يصلح للحضرة القدسية".

*- وله أيضًا:-

*- "تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس.

* - مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح.

* - القول المجرد في الاسم المفرد".

-* بعـــــض حكمـــــــــــه:-

*- قال سيدي ابن عطاء الله السكندري- رضي الله عنه-، في بعض حكمه:-

* - "الأعمال صورة قائمة، وأرواحها وجود سرِّ الإخلاص فيها.

* - اخرج من أوصاف بشريتك، عن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيبًا، ومن حضرته قريبًا

* - لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقامه.

* – أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك.

* – من أشرقت بدايته، أشرقت نهايته.

* – من علامات النُّجح في النهايات، العودة إلى الله في البدايات.

* – الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار وحُجبت عنه شموس المعارف بسُحب الآثار.

* – لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة، إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور، إلى ذكر مع وجود غيبة عمّا سوى المذكور، ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾، (إبراهيم/٢٠).

***- وفاتـــــــــــــــه:-**

*– توفي رحمه الله تعالى بالمنصورية سنة (٧٠٩هـ)، و"دفن بالقرافة بقرب بني الوفا قدّس الله أسرارهم"، وقبره مشهور يُزار إلى يومنا هذا.

رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه... آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا ونور قلوبنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيدنا- المرسي أبو العباس
رضي الله تعالى عنه وأرضاه

***- سيدنا المرسي أبو العباس رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-**

***- نسبـــــــــــــه:-** هو المرسي أبو العباس هو الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن علي الخزرجي الأنصاري المرسى البلنسي، يتصل نسبه بالصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري (رضي الله عنه) سيد الخزرج وصاحب سقيفة بن ساعدة التي تمت فيها البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة، و كان جده الأعلى قيس بن سعد أميرًا علي مصر من قبل الإمام علي كرم الله وجهه عام (٣٦هـ-٦٥٦م).

*- ولقد ولد أبو العباس المرسى بمدينة مرسيه سنة (٦١٦هـ-١٢١٩م) ونشأ بها وهي إحدي مدن الأندلس وإليها نسب فقيل المرسي.

*- ولما بلغ سن التعليم بعثه أبوه إلي المعلم ليحفظ القرءان الكريم ويتعلم القراءة والكتابة والخط والحساب، وحفظ القرءان في عام واحد، وكان والده عمر بن علي من تجار مرسيه، فلما استوت معارف أبي العباس و ظهرت عليه علائم النجابة ألحقه والده بأعماله في التجارة، وصار يبعثه مع أخيه الأكبر أبو عبد الله فتدرب علي شؤون الأخذ والعطاء، وطرق المعاملات واستفاد من معاملات الناس وأخلاقهم.

*- وفي عام (٦٤٠هـ-١٢٤٢م) كانت له مع القدر حكاية عظيمة وذلك حين صحبه والده مع أخيه وأمه عند ذهابه إلي الحج فركبوا البحر عن طريق الجزائر حتى إذا قاربوا الشاطئ هبت عليهم ريح عاصفة فغرقت السفينة غير أن عناية الله تعالي أدركت أبا العباس وأخاه فنجاهما الله من الغرق،. وقصدا تونس وأقاما فيها واتجه أخوه محمد إلي التجارة واتجه أبو العباس إلي تعليم الصبيان الخط والحساب والقراءة وحفظ القرآن الكريم .

*- وكان لأبي العباس في تونس مع القدر حكاية أخري حددت مستقبله وأثرت علي اتجاهه فيما بعد، وذلك أنه تصادف وجود أبي الحسن الشاذلي علي مقربة منه في تونس ويروي أبو العباس نفسه عن لقاءه بأستاذه الشيخ أبي الحسن الشاذلي فيقول:-

*- "لما نزلت بتونس وكنت أتيت من مرسيه بالأندلس وأنا إذ ذاك شاب سمعت عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي وعن علمه وزهده وورعه فذهبت إليه وتعرفت عليه فأحببته ورافقته".

*- ولازم أبو العباس شيخه أبا الحسن الشاذلي من يومها ملازمه تامة وصار لا يفارقه في سفر ولا في حضر، ورأي الشيخ الشاذلي في أبي العباس طيب النفس وطهارة القلب والاستعداد الطيب للإقبال علي الله فغمره بعنايته وأخذ في تربيته ليكون خليفة له من بعده، وقال له يومًا يا أبا العباس:- ما صحبتك إلا أن تكون أنت أنا وأنا أنت، وقد تزوج أبو العباس من ابنة شيخه الشاذلي وأنجب منها محمد وأحمد وبهجه التي تزوجها الشيخ ياقوت العرش.

*- أما أبو الحسن الشاذلي فهو تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الجبار الشريف الإدريسي مؤسس الطريقة الشاذلية وأستاذ أبي العباس فينتهي نسبه إلي الأدارسة الحسينيين سلاطين المغرب الأقصى.

*- وفي عام (٦٤٢هـ- ١٢٤٤م)- خرج أبو الحسن الشاذلي إلي الحج وسافر إلي مصر عبر الإسكندرية وكان معه جماعة من العلماء والصالحين وعلي رأسهم الشيخ أبو العباس المرسى وأخوه أبو عبد الله جمال الدين محمد وأبو العزائم ماضي.

*- وقد حج الشيخ أبو الحسن الشاذلي وعاد إلي تونس وأقام بها ولحق به أبو العباس المرسي ثم وفدوا جميعًا إلي مصر للإقامة الدائمة بها واتخذ من الإسكندرية مقامًا له ولأصحابه.

*- ولما قدموا إلي الإسكندرية نزلوا عند عامود السواري وكان ذلك في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب (في عصر الدولة الأيوبية).

*- ولما استقروا بالإسكندرية اتخذ الشاذلي دارًا في كوم الدكة نزل بها هو وأصحابه وعلي رأسهم أبو العباس وبدأوا يدعون إلي الله في كل مكان حتى قصدهم العلماء والفضلاء ولازم مجالسهم الطلاب والمريدون وذاع صيتهم في الديار المصرية.

*- وقد اختار الشيخ أبو الحسن الشاذلي جامع العطارين لإلقاء دروسه فيه وعقد حلقات الوعظ والإرشاد فيه، وأقام الشيخ أبو العباس المرسي خليفة له وأذن له في إلقاء الدروس وإرشاد المريدين وتعليم الطلاب ومناظرة العلماء وتلقين مبادئ وآداب السلوك.

*- وقد أقام أبو العباس المرسى رضي الله عنه (٤٣ عامًا) بالإسكندرية ينشر فيها العلم ويهذب فيها النفوس ويربي المريدين ويضرب المثل بورعه وتقواه.

*- وقد استأذن أبو العباس شيخه الشاذلي في القيام بأمر الدعوة في القاهرة واتخذ من جامع أولاد عنان مدرسة لبث تعاليمه ومبادئه بين الطلاب والمريدين واتخذ هذا المسجد مأوي له، وكان يذهب كل ليلة إلي الإسكندرية ليلتقي بشيخه أبي الحسن ثم يعود إلي القاهرة ولم يستمر طويلًا إذ عاد واستقر بالإسكندرية .

*- وفي عام (٦٥٦هـ-١٢٥٨م) اعتزم الشيخ أبو الحسن الشاذلي الحج فصحب معه جماعة من إخوانه وعلي رأسهم أبو العباس المرسي وأبو العزائم ماضي وفي الطريق مرض مرضًا شديدًا فمات رضي الله عنه ودفن بحميثرة من صحراء عذاب وهي في الجنوب من أسوان علي ساحل البحر الأحمر.

*- ولما أدى الشيخ أبو العباس فريضة الحج بعد وفاة شيخه عاد إلي الإسكندرية فتصدر مجالسه وأخذ شأنه في الارتفاع وذاع صيته فَأَمَّهُ الطلاب والمريدون من جميع البلاد، ورحل إليه الزوار وذوو الحاجات من جميع الأقطار وتوافد عليه العلماء والأمراء والأغنياء والفقراء.

*- وكان إذا جاء الصيف رحل إلي القاهرة ونزل بجامع الحاكم وصار ينتقل بينه وبين جامع عمرو بالفسطاط ليلقي دروسه ومواعظه وكان أكثر من يحضر دروسه من العلماء خصوصًا عند شرحه لرسالة الإمام القشيري.

*- وكان رضي الله عنه علي الطريقة المثلي من الاستقامة والزهد والورع والتقوى وكان حادَّ الذهن قوي الفطنة نافذ الفراسة سريع الخاطر زكي الفؤاد مستنير البصيرة حسن الطباع.

*- وقد أخذ المرسي من كل فن بنصيب وافر وأتقن علومًا كثيرة وكان فقيهًا وأديبًا وعالمًا بأمور الحياة.

*- وقد ظل الشيخ أبو العباس المرسي يدعو إلي الله ملتزمًا طريق التقوى والصلاح ناشرًا للعلوم والمعارف بين الخلق، ومهذبًا لنفوس الطلاب والمريدين حتى وفاته في الخامس والعشرين من ذي القعدة (٦٨٥هـ-١٢٨٧م) ودفن في قبره المعروف خارج باب البحر بالإسكندرية.

*- ولم يترك أبو العباس المرسى شيئًا من آثاره المكتوبة فلم يؤلف كتابًا، ولم يقيد درسًا ولكنه ترك من التلاميذ الكثيرين فقد تخرج علي يديه في علم التصوف وآداب السلوك ومكارم الأخلاق خلق كثيرون، وتلاميذ نجباء منهم الإمام البوصيري وابن عطاء الله السكندري وياقوت العرش الذي تزوج ابنته وابن الحاجب وابن اللبان وابن أبي شامة وغيرهم، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم جميعًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه، وصفوته من عباده، وإمام جميع الأنبياء والمرسلين، وقائد الغرِّ الحجلين، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الأمين عليه الصلاة والسلام.

أبو سليمان الداراني
رضي الله تعالى عنه وأرضاه

***- أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-**

***- نسبـــــــــــــــه:-** هو أبو سليمان الداراني هو:- عبد الرحمن بن عطية، وقيل:- عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، وقيل:- عبد الرحمن بن عسكر.

*- أبو سليمان الداراني، أحد أئمة العلماء العاملين، أصله من واسط، سكن قرية غربي دمشق يقال لها:- داريا.

*- وقد سمع الحديث من:- سفيان الثوري، وغيره.

*- وروى عنه:- أحمد بن أبي الحواري، وجماعة.

*- وأسند الحافظ ابن عساكر من طريقه، قال:- سمعت علي بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد، يقول:- سمعت إبراهيم بن أدهم، يقول:- سمعت ابن عجلان يذكر، عن القعقاع بن حكيم، عن أنس بن مالك، قال:- قال رسول الله ﷺ: «من صلى قبل الظهر أربعًا غفر الله ذنوبه يومه ذلك».

*- وقال أبو القاسم القشيري:- حكي عن أبي سليمان الداراني، قال:- اختلفت إلى مجلس قاصٍّ فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء، فعدت إليه ثانية فأثر في قلبي بعد ما قمت وفي الطريق، ثم عدت إليه ثالثة فأثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق، فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ، فقال:- عصفور اصطاد كركيًّا - يعني:- بالعصفور القاص، وبالكركي:- أبا سليمان -.

*- وقال أحمد بن أبي الحواري:- سمعت أبا سليمان يقول:- ليس لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر، فإذا سمع به في الأثر عمل به فكان نورًا على نور.

*- وقال الجنيد:- قال أبو سليمان:- ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين:- الكتاب والسنة.

*- قال:- وقال أبو سليمان:- أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.

*- وقال:- لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء من خشية الله.

*- وقال:- لكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن.

*- وقال:- كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو شؤم.

*- وقال:- كنت ليلة في المحراب أدعو ويداي ممدوتان فغلبني البرد فضممت إحداهما وبقيت الأخرى مبسوطة أدعو بها، وغلبتني عيني فنمت فهتف بي هاتف:- يا أبا سليمان- ! قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها.

*- قال:- فآليت على نفسي ألا أدعو إلا ويداي خارجتان حرًّا كان أو بردًا.

*- وقال:- نمت ليلة عن وردي فإذا أنا بحوراء تقول لي:- تنام وأنا أُرَبَّي لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟

*- وقال أحمد بن أبي الحواري:- سمعت أبا سليمان يقول:- إن في الجنة أنهارًا على شاطئيها خيام فيهن الحور، ينشئ الله خلق الحوراء إنشاءً، فإذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيام، الواحدة منهن جالسة على كرسيٍّ منْ ذهبٍ ميلٌ في ميلٍ، قد خرجت عجيزتها من جانب الكرسي، فيجيء أهل الجنة من قصورهم يتنزهون على شاطئ تلك الأنهار ما شاؤوا ثم يخلو كل رجل بواحدة منهن.

*- قال أبو سليمان:- كيف يكون في الدنيا حال من يريد افتضاض الأبكار على شاطئ تلك الأنهار في الجنة.

*- وقال:- سمعت أبا سليمان يقول:- ربما مكثت خمس ليال لا أقرأ بعد الفاتحة بآية واحدة أتفكر في معانيها، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل، فسبحان من يرده بعد.

*- وسمعته يقول:- أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عزَّ وجلَّ، ومفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع.

*- وقال لي يومًا:- يا أحمد! جوعٌ قليلٌ، وعريٌّ قليلٌ، وفقرٌ قليلٌ، وصبرٌ قليلٌ، وقد انقضت عنك أيام الدنيا.

*- وقال أحمد:- اشتهى أبو سليمان يومًا رغيفًا حارًّا بملح فجئته به فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي ويقول:- يا رب عجلت لي شهوتي، لقد أطلت جهدي وشقوتي وأنا تائب؟ فلم يذق الملح حتى لحق بالله عزَّ وجلَّ.

*- قال:- وسمعته يقول:- ما رضيت عن نفسي طرفة عين، ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا.

*- وسمعته يقول:- من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة.

*- وسمعته يقول:- من حسن ظنه بالله ثم لم يخفه ويطعه فهو مخدوع.

*- وقال:- ينبغي للخوف أن يكون على العبد أغلب الرجاء، فإذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب.

*- وقال لي يومًا:- هل فوق الصبر منزلة؟

*- فقلت:- نعم ! - يعني: الرضا -.

*- فصرخ صرخة غشي عليه ثم أفاق فقال:- إذا كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب، فما ظنك بالأخرى وهم الذين رضي عنهم.

*- وقال:- ما يسرني أن لي الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها أنفقه في وجوه البر، وإني أغفل عن الله طرفة عين.

*- وقال:- قال زاهد لزاهد:- أوصني.

*- فقال:- لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

*- فقال:- زدني.

*- فقال:- ما عندي زيادة.

*- وقال:- من أحسن في نهاره كوفئ في ليله، ومن أحسن في ليلة كوفئ في نهاره، ومن صدق في ترك شهوة أذهبها الله من قلبه، والله أكرم من أن يعذب قلبًا بشهوة تركت له.

*- وقال:- إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة، وإذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة، لأن الدنيا لئيمة والآخرة كريمة، وما ينبغي لكريم أن يزاحم لئيمًا.

*- وقال أحمد بن أبي الحواري:- بتُّ ليلة عند أبي سليمان فسمعته يقول:- وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني ببخلي لأطالبنك بكرمك، ولئن أمرت بي إلى النار لأخبرن أهل النار أني أحبك.

*- وكان يقول:- لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي.

*- وكان يقول:- ما خلق الله خلقًا أهون عليَّ من إبليس، ولولا أن الله أمرني أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبدًا، ولو تبدَّى لي ما لطمت إلا صفحة وجهه.

*- وقال:- إن اللص لا يجيء إلى خربة ينقب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أي مكان شاء، وإنما يجيء إلى البيت المعمور، كذلك إبليس لا يجيء إلا كل قلب عامر ليستنزله وينزله عن كرسيه ويسلبه أعزَّ شيء.

*- وقال:- إذا أخلص العبد انقطعت عنه الوساوس والرؤيا.

*- وقال:- الرؤيا - يعني: الجنابة -.

*- وقال:- مكثت عشرين سنة لم أحتلم فدخلت مكة ففاتتني صلاة العشاء جماعة فاحتلمت تلك الليلة.

*- وقال:- إن من خلق الله قومًا لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون بالدنيا عنه؟.

*- وقال:- الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة فما الزهد فيها، وإنما الزهد في الجنان والحور العين، حتى لا يرى الله في قلبك غيره.

*- وقال الجنيد:- شيء يروى عن أبى سليمان، أنا استحسنته كثيرًا قوله:- من اشتغل بنفسه شغل عن الناس، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس.

*- وقال:- خير السخاء ما وافق الحاجة.

*- وقال:- من طلب الدنيا حلالًا واستغناءً عن المسألة واستغناءً عن الناس لقي الله يوم يلقاه ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالًا مفاخرًا ومكاثرًا لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان.

*- وقد روي نحو هذا مرفوعًا.

*- وقال:- إن قومًا طلبوا الغنى في المال وجمعه فأخطأوا من حيث ظنوا، ألا وإنما الغنى في القناعة، وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة، وطلبوا الكرامة من الخلق وإنما هي في التقوى، وطلبوا التنعم في اللباس الرقيق اللين، والطعام الطيب، والمسكن الأنيق المنيف، وإنما هو في الإسلام والإيمان، والعمل الصالح، والستر والعافية، وذكر الله.

*- وقال:- لولا قيام الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وما أحب الدنيا لغرس الأشجار ولا لكري الأنهار، وإنما أحبها لصيام الهواجر وقيام الليل.

*- وقال:- أهل الطاعة في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم.

*- وقال:- ربما استقبلني الفرح في جوف الليل، وربما رأيت القلب يضحك ضحكًا.

*- وقال:- إنه لتمرُّ بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا فأقول:- إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

*- وقال أحمد بن أبي الحواري:- سمعت أبا سليمان يقول:- بينا أنا ساجد إذ ذهب بي النوم فإذا أنا بها - يعني: الحوراء - قد ركضتني برجلها فقالت:- حبيبي أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟ بؤسًا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضًا، فما هذا الرقاد؟ حبيبي وقرَّة عيني أترقد عيناك وأنا أتربى لك في الخدود منذ كذا وكذا؟

*- قال:- فوثبت فزعًا وقد عرقت حياءً من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي.

*- وقال أحمد:- دخلت على أبي سليمان فإذا هو يبكي، فقلت:- مالك؟

*- فقال:- زجرت البارحة في منامي.

*- قلت:- ما الذي زجرك؟

*- قال:- بينا أنا نائم في محرابي إذ وقفت عليّ جارية تفوق الدنيا حسنًا، وبيدها ورقة وهي تقول:- أتنام يا شيخ؟

*- فقلت:- من غلبت عينه نام؟

*- قالت:- كلا إن طالب الجنة لا ينام، ثم قالت:- أتقرأ؟

*- قلت:- نعم ! فأخذت الورقة من يدها فإذا فيها مكتوب:-

لهثْ بكَ لذةٌ عنْ حُسْنِ عيشٍ مع الخيرات في غرف الجنان

تعيشُ مُخَلَّدًا لَا موتَ فيهـــا وتنعم في الجنان مع الحسـان

تَيَقَّظْ منْ منامكَ إنَّ خيـــــرًا من النوم التهجد في القــرآن

*- وقال أبو سليمان:- أما يستحي أحدكم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم؟

*- وقال أيضا:- لا يجوز لأحد أن يظهر للناس الزهد والشهوات في قلبه، فإذا لم يبق في قلبه شيء من الشهوات جاز له أن يظهر إلى الناس الزهد بلبس العبا فإنها علم من أعلام الزهاد، ولو لبس ثوبين أبيضين ليستر بهما أبصار الناس عنه وعن زهده كان أسلم لزهده من لبس العبا.

*- وقال:- إذا رأيت الصوفي يتنوق في لبس الصوف فليس بصوفي، وخيار هذه الأمة أصحاب القطن، أبو بكر الصديق وأصحابه.

*- وقال غيره:- إذا رأيت ضوء الفقير في لباسه فاغسل يديك من فلاحه.

*- وقال أبو سليمان:- الأخ الذي يعظك برؤيته قبل كلامه، وقد كنت أنظر إلى الأخ من أصحابي بالعراق فأنتفع برؤيته شهرًا.

*- وقال أبو سليمان:- قال الله تعالى:- «عبدي إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت زلاتك من أم الكتاب ولم أناقشك الحساب يوم القيامة».

*- وقال أحمد:- سألت أبا سليمان عن الصبر فقال:- والله إنك لا تقدر عليه في الذي تحب فكيف تقدر عليه فيما تكره؟.

*- وقال أحمد:- تنهدت عنده يومًا فقال:- إنك مسؤول عنها يوم القيامة، فإن كانت على ذنب سلف فطوبى لك، وإن كانت على فوت دنيا أو شهوة فويل لك.

*- وقال:- إنما رجع من رجع من الطريق قبل وصول ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا.

*- وقال:- إنما عصى الله من عصاه لهوانهم عليه، ولو عزوا عليه وكرموا لحجزهم عن معاصيه، وحال بينهم وبينها.

*- وقال:- جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصالًا:- الكرم، والحلم، والعلم، والحكمة، والرأفة، والرحمة، والفضل، والصفح، والإحسان، والبر، والعفو، واللطف.

*- وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب محن المشايخ أن أبا سليمان الداراني أخرج من دمشق.

*- وقالوا:- إنه يرى الملائكة ويكلمونه، فخرج إلى بعض الثغور فرأى بعض أهل الشام في منامه أنه إن لم يرجع إليهم هلكوا.

*- فخرجوا في طلبه وتشفعوا وتذللوا له حتى ردوه.

*- وقد اختلف الناس في وفاته على أقوال:-

*- فقيل:- مات سنة أربع ومائتين.

*- وقيل:- سنة خمس ومائتين.

*- وقيل:- خمس عشرة ومائتين.

*- وقيل:- سنة خمس وثلاثين ومائتين، فالله أعلم.

*- وقد قال مروان الطاطري يوم مات أبو سليمان:- لقد أصيب به أهل الإسلام كلهم.

*- قلت:- وقد دفن في قرية داريا في قبلتها، وقبره بها مشهور وعليه بناء، وقبلته مسجد بناه الأمير ناهض الدين عمر النهرواني، ووقف على المقيمين عنده وقفًا يدخل عليهم منه غلة، وقد جدد مزاره في زماننا هذا.

*- ولم أرَ ابن عساكر تعرض لموضع دفنه بالكلية، وهذا منه عجيب.

*- وروى ابن عساكر، عن أحمد بن أبي الحواري قال:- كنت أشتهي أن أرى أبا سليمان في المنام فرأيته بعد سنة.

*- فقلت له:- ما فعل الله بك يا معلم؟

*- فقال:- يا أحمد دخلت يومًا من باب الصغير فرأيت حمل شيح فأخذت منه عودًا فما أدري تخللت به أو رميته، فأنا في حسابه إلى الآن.

*- وقد توفي ابنه سليمان بعده بنحو من سنتين رحمهما الله تعالى، ورضي الله تعالى عن جميع الأولياء والصالحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

سيدنا- أحمد بن أبي الحواري

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

***- أحمد بن أبي الحواري رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-**

***- نسبـــــــــــــــــــه:-** هو أحمد، واسم أبيه عبد الله بن ميمون الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام أبو الحسن، الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد أحد الأعلام أصله من الكوفة.

*- وقد قال:- سألني أحمد بن حنبل:- متى مولدك؟ قلت:- في سنة أربع [ص:- ٨٦] وستين ومائة قال:- هي مولدي.

*- قلت:- عني بهذا الشأن أتم عناية.

*- وسمع من:- سفيان بن عيينة، وعبد الله بن إدريس، وأبي معاوية، والوليد بن مسلم، وعبد الله بن وهب، وأبي الحسن الكسائي، ووكيع، وحفص بن غياث، وشعيب بن حرب، وطبقتهم، ودخل دمشق، فصحب الشيخ أبا سليمان الداراني مدة، وأخذ عن مروان بن محمد، وأبي مسهر الغساني وطائفة، ثم أقبل على العبادة والتأله.

*- حدث عنه:- سلمة بن شبيب، وأبو زرعة الدمشقي، وأبو زرعة الرازي، وأبو داود، وابن ماجه في سننهما، وأبو حاتم، وسعيد بن عبد العزيز الحلبي، ومحمد بن المعافى الصيداوي، وأبو الجهم بن طلاب، ومحمد بن محمد الباغندي، وابنه عبد الله بن أحمد، وعمر بن بحر الأسدي، ومحمد بن خريم، ويوسف بن الحسين الرازي، وإبراهيم بن نائلة الأصبهاني، ومحمد بن علي بن خلف، وأبو بكر بن أبي داود، وخلق كثير آخرهم أحمد بن سليمان بن زبان الكندي، أحد الضعفاء.

*- قال هارون بن سعيد الأيلي، عن يحيى بن معين، وذكر أحمد بن [ص:- ٨٧] أبي الحواري، فقال:- أهل الشام به يمطرون.

*- وقال ابن أبي حاتم:- سمعت أبي يحسن الثناء عليه، ويطنب فيه.

*- وقال فياض بن زهير:- سمعت يحيى بن معين، وذكر أحمد بن أبي الحواري، فقال:- أظن أهل الشام يسقيهم الله به الغيث.

*- قال محمود بن خالد، وذكر أحمد بن أبي الحواري، فقال:- ما أظن بقي على وجه الأرض مثله.

*- وروي عن الجنيد قال:- أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام.

*- قال أبو زرعة الدمشقي:- حدثني أحمد بن أبي الحواري قال:- قلت لشيخ دخل مسجد النبي - ﷺ:- دلني على مجلس إبراهيم بن أبي يحيى، فما كلمني، فإذا هو عبد العزيز بن محمد الدراوردي.

*- قال أحمد بن عطاء:- سمعت عبد الله بن أحمد بن أبي الحواري، يقول:- كنا نسمع بكاء أبي بالليل حتى نقول:- قد مات، ثم نسمع ضحكه حتى نقول:- قد جُنَّ.

*- قال محمد بن عوف الحمصي:- رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس، فلما صلى العتمة قام يصلي، فاستفتح بـ ''الحمد لله - إلى إياك نعبد وإياك نستعين'' فطفت الحائط كله، ثم رجعت، [ص:- ٨٨] فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت، ومررت في السحر، وهو يقرأ :- ''إياك نعبد'' فلم يزل يرددها إلى الصبح.

*- قال سعيد بن عبد العزيز:- سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول:- من عمل بلا اتباع سنة فعمله باطل.

*- وقال:- من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه.

*- قال أبو عبد الرحمن السلمي في " تاريخ الصوفية " سمعت محمد بن جعفر بن مطر، سمعت إبراهيم بن يوسف الهسنجاني يقول:- رمى أحمد بن أبي الحواري بكتبه في البحر، وقال:- نعم الدليل كنت، والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال.

*- وقال السلمي:- سمعت محمد بن عبد الله الطبري يقول:- سمعت يوسف بن الحسين يقول:- طلب أحمد بن أبي الحواري العلم ثلاثين سنة، ثم حمل كتبه كلها إلى البحر فغرقها، وقال:- يا علم، لم أفعل بك هذا استخفافًا، ولكن لما اهتديت بك استغنيت عنك.

*- أخبرنا أحمد بن سلامة في كتابه، عن عبد الرحيم بن محمد الكاغدي، وأخبرنا إسحاق بن خليل، أخبرنا الكاغدي، أخبرنا أبو علي الحداد، أخبرنا أبو نعيم، حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال:- قلت لراهب في دير حرملة، [ص:- ٨٩] وأشرف من صومعته:-

ما اسمك؟ قال:- جريج، قلت:- ما يحبسك؟ قال:- حبست نفسي عن الشهوات، قلت:- أما كان يستقيم لك أن تذهب معنا ها هنا، وتجيء وتمنعها الشهوات؟ قال:- هيهات! ! هذا الذي تصفه قوة، وأنا فيَّ ضعفٌ، قلت:- ولم تفعل هذا؟ قال:- نجد في كتبنا أن بدن ابن آدم خلق من الأرض، وروحه خلق من ملكوت السماء، فإذا أجاع بدنه وأعراه وأسهره وأقمأه نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه، وإذا أطعمه وأراحه أخلد البدن إلى المواضع الذي منه خلق، فأحب الدنيا، قلت:- فإذا فعل هذا يعجل له في الدنيا الثواب؟ قال:- نعم، نور يوازيه، قال:- فحدثت بهذا أبا سليمان الداراني، فقال:- قاتله الله، إنهم يصفون.

*- وقلت:- الطريقة المثلى هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى:- {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا }، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم- :- لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآتي النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني فلم يشرع لنا الرهبانية، [ص:- ٩٠]، ولا التمزق ولا الوصال بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال الله تعالى:- {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ}، وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا -ﷺ، وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمسك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى، ثم إن العابد العريان من العلم، متى زَهَدَ وتبتلَ وجاعَ، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدقة والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطابًا يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب في الحقيقة من الله تعالى لأنه جاهل بأمور الشريعة الحنيفية السمحاء، فالله تبارك وتعالى ليس في قلبه - بل مخافته في خارج القلب، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي، صاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانه، فالخلوة والجوع والترهب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء، بلى السلوك الكامل:- هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة، والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل

والتدبر، ومقت النفس وذمها في ذات الله والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم، والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المر برفق وتؤدة، والأمر بالعرف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين، والرباط بالثغر، وجهاد العدو، وحج البيت، وتناول الطيبات [ص:- ٩١] في الأحايين، وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحبين، أماتنا الله تعالى على محبتهم.

*- وبالإسناد إلى أبي نعيم:- حدثنا أبو أحمد الحافظ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول:- من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه، ثم روى أبو نعيم، عن السلمي الحكايتين في تغريق كتب أحمد في البحر.

*- وبه:- حدثنا عبد الله بن محمد إملاء، حدثنا عمر بن بحر، سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول:- بينا أنا في قبة بالمقابر بلا باب إلا كساء أسبلته، فإذا أنا بامرأة تدق على الحائط، فقلت:- من هذا؟ قالت:- ضالة، فدلني على الطريق، فقلت:- رحمك الله، أي الطريق تسلكين، فبكت ثم قالت:- على طريق النجاة، يا أحمد، قلت:- هيهات! إن بيننا وبينها عقابًا، وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة، فبكت، ثم قالت:- سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تتقطع، وفؤادك فلم يتصدع، ثم خرت مغشيًا عليها.

*- فقلت لبعض النساء:- أي شيء حالها؟ فقمن، ففتشنها، فإذا وصيتها في جيبها:- كفنوني في أثوابي هذه، فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعدًا لنفسي، قلت:- ما هي؟ فحركوها، فإذا هي ميتة.

*- فقلت:- لمن هذه الجارية؟ قالوا:- جارية قرشية مصابة، وكان قرينها يمنعها من الطعام، وكانت تشكو إلينا وجعًا بجوفها، فكنا نصفها للأطباء، فتقول:- [ص:- ٩٢] خلوا بيني وبين الطبيب الراهب، تعني:- أحمد بن أبي الحواري، أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي، لعله أن يكون عنده شفائي.

*- وبه:- حدثنا سليمان الطبراني، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال:- كنت أسمع وكيعًا يبتدئ قبل أن يحدث، فيقول:- ما هنالك إلا عفوه، ولا نعيش إلا في ستره، ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم.

*- وبه:- حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن نائلة، حدثنا أحمد، سمعت شعيب بن حرب يقول لرجل:- إن دخلت القبر ومعك الإسلام، فأبشر.

*- وبه:- حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا ابن أبي الحواري، قلت لأبي بكر بن عياش:- حدثنا، قال-: دعونا من الحديث، فقد كبرنا ونسينا، جيئونا بذكر المعاد وبذكر المقابر، لو أني أعرف أهل الحديث، لأتيتهم إلى بيوتهم أحدثهم.

*- وبه قال أبو نعيم:- أسند أحمد بن أبي الحواري عن المشاهير والأعلام ما لا يعد كثرة.

*- أبو الدحداح الدمشقي:- حدثنا الحسين بن حامد أن كتاب المأمون ورد على إسحاق بن يحيى بن معاذ أمير دمشق:- أن أحضر المحدثين بدمشق، فامتحنهم، قال:- فأحضر هشام بن عمار، وسليمان بن عبد الرحمن [ص:- ٩٣]، وابن ذكوان، وابن أبي الحواري، فامتحنهم امتحانًا ليس بالشديد، فأجابوا خلا أحمد بن أبي الحواري، فجعل يرفق به، ويقول:- أليس السماوات مخلوقة؟ أليس الأرض مخلوقة، وأحمد يأبى أن يطيعه، فسجنه في دار الحجارة، ثم أجاب بعد، فأطلقه.

*- قال أحمد السلمي في " محن الصوفية ":- أحمد بن أبي الحواري شهد عليه قوم أنه يفضل الأولياء على الأنبياء وبذلوا الخطوط عليه، فهرب من دمشق إلى مكة، وجاور حتى كتب إليه السلطان، يسأله أن يرجع، فرجع.

*- قلت-: إن صحت الحكاية فهذا من كذبهم على أحمد، هو كان أعلم بالله من أن يقول ذلك.

*- ونقل السلمي حكاية منكرة، عن محمد بن عبد الله، ونقلها ابن باكويه، عن أبي بكر الغازي، سمعا أبا بكر الشباك، سمعت يوسف بن الحسين يقول:- كان بين أبي سليمان الداراني وأحمد بن أبي الحواري عقد لا يخالفه في أمر، فجاءه يومًا وهو يتكلم في مجلسه، فقال أحمد:- إن التنور قد سجر، فما تأمر؟

فلم يجبه، فأعاد مرتين أو ثلاثًا، فقال:- اذهب فاقعد فيه - كأنه ضاق به - وتغافل أبو سليمان ساعة ثم ذكر، فقال:- اطلبوا أحمد فإنه في التنور، لأنه على عقد أن لا يخالفني، فنظروا فإذا هو في التنور لم يحترق منه شعرة [ص:- ٩٤] توفي أحمد سنة ست وأربعين ومائتين.

*- أنبأنا أحمد بن سلامة، عن عبد الرحيم بن محمد الكاغدي، أخبرنا الحسن بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن عاصم بن عمر، قال:- قال عمر -رضي الله عنه:- من يحرص على الإمارة لم يعدل فيها، توفي مع ابن أبي الحواري أحمد بن إبراهيم الدورقي، وأبو عمر الدوري المقرئ، ومحمد بن سليمان لوين، والمسيب بن واضح، ومحمد بن مصفى، والحسين بن الحسن المروزي، وحامد بن يحيى البلخي، رحمهم الله تعالى جميعًا، وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد نور العيون، ونور القلوب، ونور الجوارح، ونور الأبصار، ونور البصيرة، ومفتاح السرور والهناء، والحب والوفاء، والخير والنماء، والبذل والعطاء، والكرم والسخاء، سيد السادة، وأمير الزعماء والقادة، الذي اصطفاه مولاه للريادة، فكان بكل حقٍ وصدقٍ أهلًا للقيادة والسيادة، سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سيدنا الفضيل بن عياض

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

***- سيدنا الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-**

***- نسب سيدنا الفضيل بن عياض هو**:- ابن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله، ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم.

*- فكتب بالكوفة عن منصور، والأعمش، وبيان بن بشر، وحصين بن عبد الرحمن، وليث، وعطاء بن السائب، وصفوان بن سليم، وعبد العزيز بن رفيع، وأبي إسحاق الشيباني، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن حسان، وابن أبي ليلى، ومجالد، وأشعث بن سوار، وجعفر الصادق، وحميد الطويل، وخلق سواهم من الكوفيين والحجازيين.

*- حدث عنه:- ابن المبارك، ويحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وابن عيينة، والأصمعي، وعبد الرزاق، وعبد الرحمن بن مهدي بن هلال شيخ واسطي، وحسين الجعفي، وأسد السنة والشافعي، وأحمد بن يونس، ويحيى بن يحيى التميمي، وابن وهب، ومسدد، وقتيبة، وبشر الحافي، والسري بن مغلس السقطي، وأحمد بن المقدام، وعبيد الله القواريري، ومحمد بن زنبور المكي، ولوين، ومحمد بن يحيى العدني، والحميدي، وعبد الصمد بن يزيد مردويه، وعبدة بن عبد الرحيم المروزي، ومحمد بن أبي السري العسقلاني، ومحمد بن قدامة المصيصي، ويحيى بن أيوب المقابري، وخلق كثير، آخرهم موتا الحسين بن داود البلخي.

*- وروى عنه سفيان الثوري أجل شيوخه، وبينهما في الموت مائة وأربعون عامًا.

*- قال أبو عمار الحسين بن حريث، عن الفضل بن موسى قال:- كان الفضيل بن عياض شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تاليًا يتلو:- { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ }،(الحديد:-١٦)، فلما سمعها قال:- بلى يا رب قد آن، فرجع، فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم:- نرحل، وقال بعضهم:- حتى [نصبح] فإن فضيلًا على الطريق يقطع علينا.

*- قال:- ففكرت، وقلت:- أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا، يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

*- وقال إبراهيم بن محمد الشافعي:- سمعت سفيان بن عيينة يقول:- فضيل ثقة.

*- وقال أبو عبيد:- قال ابن مهدي:- فضيل رجل صالح، ولم يكن بحافظ.

*- وقال العجلي:- كوفي ثقة متعبد، رجل صالح، سكن مكة.

*- وقال محمد بن عبد الله بن عمار: ليت فضيلًا كان يحدثك بما يعرف، قيل لابن عمار:- ترى حديثه حجة؟ قال:- سبحان الله، وقال أبو حاتم:- صدوق، وقال النسائي:- ثقة مأمون، رجل صالح، وقال الدارقطني:- ثقة.

*- قال محمد بن سعد:- ولد بخراسان بكورة أبيورد، وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع من منصور وغيره، ثم تعبد، وانتقل إلى مكة ونزلها إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون، وكان ثقةً نبيلًا فاضلًا عابدًا ورعًا، كثير الحديث.

*- وقال أبو وهب محمد بن مزاحم:- سمعت ابن المبارك يقول:- رأيت أعبد الناس عبد العزيز بن أبي رواد، وأورع الناس الفضيل بن عياض، وأعلم الناس سفيان الثوري، وأفقه الناس أبا حنيفة، ما رأيت في الفقه مثله.

*- وروى إبراهيم بن شماس، عن ابن المبارك قال:- ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل بن عياض.

*- قال نصر بن المغيرة البخاري:- سمعت إبراهيم بن شماس يقول:- رأيت أفقه الناس، وأورع الناس، وأحفظ الناس وكيعًا والفضيل وابن المبارك.

*- وقال عبيد الله القواريري:- أفضل من رأيت من المشايخ: بشر بن منصور، وفضيل بن عياض، وعون بن معمر، وحمزة بن نجيح، قلت: عون وحمزة لا يكادان يعرفان، وكانا عابدين، قال النضر بن شميل:- سمعت الرشيد يقول:- ما رأيت في العلماء أهيب من مالك، ولا أورع من الفضيل.

*- وروى أحمد بن أبي الحواري، عن الهيثم بن جميل، سمعت شريكًا يقول:- لم يزل لكل قوم حجة في أهل زمانهم، وإن فضيل بن عياض حجةٌ لأهل زمانه، فقام فتى من مجلس الهيثم، فلما توارى، قال الهيثم:- إن عاش هذا الفتى يكون حجةً لأهل زمانه، قيل:- من كان الفتى؟ قال:- أحمد بن حنبل.

*- قال عبد الصمد مردويه الصائغ:- قال لي ابن المبارك:- إن الفضيل بن عياض صدق الله فأجرى الحكمة على لسانه، فالفضيل ممن نفعه علمه.

*- وقال أبو بكر عبد الرحمن بن عفان:- سمعت ابن المبارك يقول لأبي مريم القاضي:- ما بقي في الحجاز أحد من الأبدال إلا فضيل بن عياض، وابنه علي، وعلي مقدم في الخوف، وما بقي أحد في بلاد الشام إلا يوسف بن أسباط، وأبو معاوية الأسود، وما بقي أحد بخراسان إلا شيخ حائك يقال له:- معدان.

*- قال أبو بكر المقاريضي المذكر:- سمعت بشر بن الحارث يقول:- عشرة ممن كانوا يأكلون الحلال، لا يدخلون بطونهم إلا حلالًا ولو استفوا التراب والرماد، قلت:- من هم يا أبا نصر؟ قال:- سفيان، وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وابنه، وسليمان الخواص، ويوسف بن أسباط، وأبو معاوية نجيح الخادم، وحذيفة المرعشي، وداود الطائي، ووهيب بن الورد.

*- وقال إبراهيم بن الأشعث:- ما رأيت أحدًا كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده، أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من يحضره، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيت رجلًا يريد الله بعلمه وعمله، وأخذه وعطائه، ومنعه وبذله، وبغضه وحبه، وخصاله كلها غيره، كنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ، ويذكر ويبكي كأنه مودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر؛ فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء، حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

*- وقال عبد الصمد بن يزيد مردويه:- سمعت الفضيل يقول:- لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق، وطلب الحلال، فقال ابنه علي:- يا أبتي إن الحلال عزيز، قال:- يا بني، وإن قليله عند الله كثير.

*- قال سري بن المغلس:- سمعت الفضيل يقول:- من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد.

*- وقال فيض بن إسحاق:- سمعت الفضيل بن عياض، وسأله عبد الله بن مالك:- يا أبا علي ما الخلاص مما نحن فيه؟ قال:- أخبرني، من أطاع الله هل تضره معصية أحد؟ قال:- لا، قال:- فمن يعصي الله هل تنفعه طاعة أحد؟ قال:- لا ، قال:- هو الخلاص إن أردت الخلاص.

*- قال إبراهيم بن الأشعث:- سمعت الفضيل يقول:- رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة، من عمل بما علم استغنى عما لا يعلم، ومن عمل بما علم وفقه الله لما لا يعلم، ومن ساء خلقه شان دينه وحسبه ومروءته.

*- وسمعته يقول:- أكذب الناس العائد في ذنبه، وأجهل الناس المدل بحسناته، وأعلم الناس بالله أخوفهم منه، لن يكمل عبد حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه.

*- وقال محمد بن عبدويه:- سمعت الفضيل يقول:- ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما.

*- قال سلم بن عبد الله الخراساني:- سمعت الفضيل يقول:- إنما أمس مثلٌ، واليوم عملٌ، وغدًا أمل.

*- وقال فيض بن إسحاق:- قال الفضيل:- والله ما يحل لك أن تؤذي كلبًا ولا خنزيرًا بغير حق، فكيف تؤذي مسلمًا.

*- وعن فضيل:- لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه.

*- وعنه:- بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

*- قال محرز بن عون:- أتيت الفضيل بمكة، فقال لي:- يا محرز، وأنت أيضًا مع أصحاب الحديث، ما فعل القرآن؟ والله لو نزل حرف باليمن لقد كان ينبغي أن نذهب حتى نسمعه، والله لأن تكون راعي الحمر وأنت مقيم على ما يحب الله، خير لك من الطواف وأنت مقيم على ما يكره الله.

*- المفضل الجندي:- حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري، قال:- ما رأيت أحدًا أخوف على نفسه، ولا أرجى للناس من الفضيل، كانت قراءته حزينة، شهية، بطيئة، مترسلة، كأنه يخاطب إنسانًا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها وسأل، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعدًا، يلقى له الحصير في مسجده، فيصلي من أول الليل ساعة، ثم تغلبه عينه، فيلقي نفسه على الحصير، فينام قليلًا، ثم يقوم، فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم، هكذا حتى يصبح، وكان دأبه إذا نعس أن ينام، ويقال:- أشد العبادة ما كان هكذا.

*- وكان صحيح الحديث، صدوق اللسان، شديد الهيبة للحديث إذا حدث، وكان يثقل عليه الحديث جدًّا، وربما قال لي:- لو أنك طلبت مني الدنانير كان أيسر علي من أن تطلب مني الحديث، فقلت:- لو حدثتني بأحاديث فوائد ليست عندي، كان أحب إلي من أن تهب لي عددها دنانير، قال-: إنك مفتون، أما والله لو عملت بما سمعت، لكان لك في ذلك شغل عما لم تسمع، سمعت سليمان بن مهران يقول:- إذا كان بين يديك طعام تأكله، فتأخذ اللقمة ، فترمي بها خلف ظهرك متى تشبع؟.

*- أنبأنا أحمد بن سلامة عن أبي المكارم التيمي، أخبرنا الحداد، أخبرنا أبو نعيم، حدثنا الطبراني، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا أبو عمر الجرمي النحوي، حدثنا الفضل بن الربيع، قال:- حج أمير المؤمنين - يعني هارون - فقال لي:- ويحك، قد حاك في نفسي شيء، فانظر لي رجلًا أسأله، فقلت:- هاهنا سفيان بن عيينة، فقال:- امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعت بابه، فقال:- من ذا؟ فقلت:- أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال:- يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إليَّ أتيتك، فقال:- خذ لما جئتك له، فحدثه ساعة، ثم قال له:- عليك دين، قال:- نعم، فقال لي:- اقضِ دينه، فلما قال:- ما أغنى عني صاحبك شيئًا، قلت:- هاهنا عبد الرزاق، قال:- امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعت الباب فخرج، وحادثه ساعة، ثم قال:- عليك دين؟ قال:- نعم، قال:- أبا عباس، اقضِ دينه، فلما خرجنا قال:- ما أغنى عني صاحبك شيئًا، انظر لي رجلًا أسأله، قلت:- هاهنا الفضيل بن عياض، قال:- امضِ بنا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائم يصلي، يتلو آية يرددها، فقال:- اقرع الباب، فقرعت، فقال:- من هذا؟ قلت-: أجب أمير المؤمنين،

قال:- مالي ولأمير المؤمنين؟ قلت:- سبحان الله! أما عليك طاعة، فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية، فدخلنا، فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفُّ هارون قبلي إليه، فقال:- يا لها من كفٍّ ما ألينها إنْ نجتْ غدًا من عذاب الله، فقلت في نفسي:- ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي، فقال له:- خذ لما جئناك له - رحمك الله- فقال:- إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حيوة، فقال لهم:- إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا عليَّ، فعدَّ الخلافة بلاءً، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم:- إن أردت النجاة، فصم الدنيا وليكن إفطارك منها الموت، وقال له ابن كعب:- إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أبًا، وأوسطهم أخًا، وأصغرهم ولدًا، فَوَقِّرْ أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

*- وقال له رجاء:- إن أردت النجاة من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك هذا، وإني أخاف عليك أشد الخوف يومًا تزل فيه الأقدام، فهل معك - رحمك الله- من يشير عليك بمثل هذا، فبكى بكاءً شديدًا حتى غشي عليه، فقلت له:- ارفق بأمير المؤمنين، فقال:- يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟ ثم أفاق، فقال له:- زدني - رحمك الله- قلت:- بلغني أن عاملًا لعمر بن عبد العزيز شكي إليه، فكتب إليه:- يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه، فقال:- ما أقدمك؟ قال:- خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله، فبكى هارون بكاءً شديدًا فقال:- يا أمير المؤمنين، إن العباس عم النبي - ﷺ- جاء إليه فقال:- أَمِّرْنِي، فقال له:- إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرًا فافعل، فبكى هارون، وقال:- زدني، قال:- يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار، فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي -ﷺ- قال:- من أصبح لهم غاشًا لم يرح رائحة الجنة، فبكى هارون وقال له:- عليك دين؟ قال:- نعم، دين لربي، لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني، والويل لي إن ناقشني،

والويل لي إن لم ألهم حجتي، قال:- إنما أعني من دين العباد، قال:- إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال - عزَّ وجلَّ:- {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }،(الذاريات:-٥٦)، فقال:- هذه ألف دينار خذها، فأنفقها على عيالك، وتقوَّ بها على عبادة ربك، فقال:- سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا، سلمك الله، ووفقك، ثم صمت، فلم يكلمنا، فخرجنا، فقال هارون:- أبا عباس، إذا دللتني، فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين، فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت:- قد ترى ما نحن فيه من الضيق، فلو قبلت هذا المال، قال:- إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال:- ندخل فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل، خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون، فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت:- يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف فانصرفنا، حكاية عجيبة، والغلابي غير ثقة، وقد رواها غيره.

*- أخبرتنا عائشة بنت عيسى، أخبرنا ابن راجح، أخبرنا السلفي، أخبرنا العلاف، أخبرنا أبو الحسن الحمامي، أخبرنا جعفر بن محمد بن الحجاح بالموصل، حدثنا محمد بن سعدان الحراني، حدثنا أبو عمر النحوي، هو الجرمي، عن الفضل بن الربيع، بها.

*- قال محمد بن علي بن شقيق:- حدثنا أبو إسحاق قال:- قال الفضيل:- لو خيرت بين أن أعيش كلبًا وأموت كلبًا، ولا أرى يوم القيامة، لاخترت ذلك.

*- وقال فيض بن إسحاق:- سمعت الفضيل يقول:- والله لأن أكون ترابًا أحب إليَّ من أن أكون في مسلاخ أفضل أهل الأرض، وما يسرني أن أعرف الأمر حق معرفته، إذًا لطاش عقلي.

*- وقال إسحاق بن إبراهيم الطبري:- سمعت الفضيل يقول:- لو قلت-: إنك تخاف الموت ما قبلت منك، لو خفت الموت ما نفعك طعام ولا شراب، ولا شيء، ما يسرني أن أعرف الأمر حق معرفته إذًا لطاش عقلي، ولم أنتفع بشيء.

*- وعن عبد الصمد بن يزيد:- سمعت الفضيل يقول:- لا تجعل الرجال أوصياءك، كيف تلومهم أن يضيعوا وصيتك، وأنت قد ضيعتها في حياتك، وسمعته يقول:- إذا أحب الله عبدًا، أكثر غمه، وإذا أبغض عبدًا، وسع عليه دنياه.

*- وقال إبراهيم بن الأشعث-: سمعت الفضيل يقول:- من أحب أن يذكر لم يذكر، ومن كره أن يذكر ذكر، وسمعته يقول:- وعزته، لو أدخلني النار ما أيست، وسمعته - وقد أفضنا من عرفات- يقول:- وا سوأتاه - والله منك- وإن عفوت، وسمعته يقول:- الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل.

*- قلت:- وذلك لقوله -ﷺ:- لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا ومولانا سيد الخلق أجمعين، وحبيب رب العالمين، المصطفى من الله تعالى رحمة للعالمين، الذي ''لولاه ما خلق الأكوان خالقها، أو جاء بالغيب رسل الله لولاه، قد خصَّه الله بالإسراء معجزة، بل تلك مكرمة للقرب ناداه، شرح صدره أربع مرات ومن حظِّ الشيطان نقَّاه، وملأه علمًا وحكمة ومن الماء الغدق أسقاه، وأراه من آياته الكبرى في مرقاه ومسراه، وكلما بلغ سماءً سعد أهلها بنظرة الوُدِّ إليه ورحب به نبيها وحيَّاه، وعند سدرة المنهى انقطع الرفيق ودخل بحورًا ما يطيقيها إلا هو، عشقه قلبي وسرى على براق العشق مسراه، وأطلقت روحي فطارت صوب مرقاه، من أحبه مشى بنوره ولم يفارقه فطاب وطاب ممشاه، ومن جفاه ﷺ فلا شكَّ أن النار مثواه، فصلِّ عليه يا فتى كما أمرك علام الغيوب، واعلم أن الصلاة عليه ماحقة للذنوب، بل إن الصلاة عليه دواء لمرض القلوب، وببركة الصلاة عليه يقضى كل مطلوب، ويطهر الله المصلي عليه من النقائص والعيوب، وييسر له الأمور ويفرج عنه الكروب، ومن أكثر الصلاة عليه هبَّتْ عليه نسائم الهوى، وما أحلى ذيَّاك الهبوب، فدعني ولا تلمني في هوى المحبوب، حبه قاهر وحسنه آسر للقلوب، جلبابه شفاف، ومن رأى وجهه خرج من الظلمات والهموم، قلبه بالرحمة فياض وبالحكمة وكل العلوم، حوضه منهل يحلو لوارده كيزانه عدد النجوم، يا لائذًا به أبشر بنجدته من في البرية مثله لذي الحاجة والمظلوم، فتوسلوا إليه بالصلاة عليه وبهديه المرسوم، '' إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ''،{الأحزاب:-٥٦}، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيدنا- السري السقطي

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

***- السري السقطي رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-**

***- نسبـــــــــــــــه:-** السري بن المغلس السقطي الإمام القدوة، شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادي.

*- ولد في حدود الستين ومائة، وحدث عن:- الفضيل بن عياض، وهشيم بن بشير، وأبي بكر بن عياش، وعلي بن غراب، ويزيد بن هارون، وغيرهم بأحاديث قليلة، واشتغل بالعبادة، وصحب معروفًا الكرخي، وهو أجلُّ أصحابه.

*- روى عنه:- الجنيد بن محمد، والنوري أبو الحسين، وأبو العباس بن مسروق، وإبراهيم بن عبد الله المخرمي، وعبد الله بن شاكر، فروى ابن شاكر عنه، قال:- صليت وردي ليلة، ومددت رجلي في المحراب، فنوديت:- يا سري:- كذا تجالس الملوك! فضممتها، وقلت:- وعزتك لا مددتها.

*- قال أبو بكر الحربي:- سمعت السري يقول:- حمدت الله مرة ، فأنا أستغفر من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة، قيل:- وكيف ذاك؟ قال:- كان لي دكان فيه متاع، فاحترق السوق، فلقيني رجل، فقال:- أبشر، دكانك سلمت، فقلت:- الحمد لله، ثم فكرت، فرأيتها خطيئة.

*- ويقال:- إن السري رأى جارية سقط من يدها إناء، فانكسر، فأخذ من دكانه إناء، فأعطاها، فرآه معروف الكرخي، فدعا له، وقال:- بغض الله إليك الدنيا، قال:- فهذا الذي أنا فيه من بركات معروف.

*- وقال الجنيد:- سمعت سريًّا يقول:- أشتهي منذ ثلاثين جزرة أغمسها في دبس وآكلها، فما يصح لي.

*- وسمعته يقول:- أحب أن آكل أكلة ليس لله عليَّ فيها تبعة، ولا لمخلوق فيها مِنَّةٌ، فما أجد إلى ذلك سبيلًا، ودخلت على السري وهو يجود بنفسه، فقلت:- أوصني، قال:- لا تصحب الأشرار، ولا تشتغلن عن الله بمجالسة الأخيار.

*- قال الفرخاني:- سمعت الجنيد يقول:- ما رأيت أعبد لله من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعًا إلا في علة الموت.

*- قال الجنيد:- وسمعته يقول:- إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مخافة أن يكون وجهي قد اسود، وما أحب أن أموت حيث أعرف، أخاف أن لا تقبلني الأرض، فأفتضح، وسمعته يقول:- فاتني جزء من وردي، فلا يمكنني قضاؤه، يعني لاستغراق أوقاته.

*- قال أبو عبد الرحمن السلمي:- كان السري أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، وتكلم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات.

*- قلت:- وممن صحبه العباس بن يوسف الشكلي، ومحمد بن الفضل ابن جابر السقطي.

*- توفي في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وقيل:- توفي سنة إحدى وخمسين، وقيل:- سنة سبع وخمسين، رضي الله تعالى عنه وعنا به، وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيدنا- معروف الكرخي

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

***- سيدنا معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-**

***- نسبـــــــــــــــــــــــه:-** هو علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، واسم أبيه فيروز، وقيل:- فيرزان، من الصابئة.

*- وقيل:- كان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدب كان يقول له قل:- ثالث ثلاثة، فيقول معروف:- بل هو الواحد، فيضربه، فيهرب، فكان والداه يقولان: ليته رجع، ثم إن أبويه أسلما.

*- وذكر السلمي أنه صحب داود الطائي، ولم يصح.

*- روى عن الربيع بن صبيح، وبكر بن خنيس، وابن السماك وغيرهم شيئًا قليلًا.

*- وروى عنه خلف بن هشام، وزكريا بن يحيى بن أسد، ويحيى بن أبي طالب.

*- ذكر معروف عند الإمام أحمد، فقيل:- قصير العلم، فقال:- أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف.

*- قال إسماعيل بن شداد:- قال لنا سفيان بن عيينة:- ما فعل ذلك الحبر الذي فيكم ببغداد؟ قلنا:- من هو؟ قال:- أبو محفوظ معروف، قلنا:- بخير، قال:- لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم.

*- قال السراج:- حدثنا أبو بكر بن أبي طالب قال:- دخلت مسجد معروف، فخرج وقال:- حياكم الله بالسلام، ونعمنا وإياكم بالأحزان، ثم أذن فارتعد، وقف شعره، وانحنى حتى كاد يسقط.

*- عن معروف قال:- إذا أراد الله بعبد شرًا، أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل.

*- وقال جشم بن عيسى:- سمعت عمي معروف - بن الفيرزان - يقول:- سمعت بكر بن خنيس يقول:- كيف تتقي وأنت لا تدري ما تتقي؟ رواها أحمد الدورقي عن معروف، قال:- ثم يقول معروف:- إذا كنت لا تحسن تتقي، أكلت الربا، ولقيت المرأة، فلم تغضَّ عنها، ووضعت سيفك على عاتقك، إلى أن قال:- ومجلسي هذا ينبغي لنا أن نتقيه، فتنة للمتبوع، وذلة للتابع.

*- قيل:- أتى رجل بعشرة دنانير إلى معروف، فمر سائل، فناوله إياها، وكان يبكي، ثم يقول:- يا نفس كم تبكين؟ أخلصي تخلصي.

*- وسئل:- كيف تصوم؟ فغالط السائل، وقال:- صوم نبينا - ﷺ - كان كذا وكذا، وصوم داود كذا وكذا، فألح عليه، فقال:- أصبح دهري صائمًا، فمن دعاني، أكلت، ولم أقل:- إني صائم.

*- وقص إنسان شارب معروف، فلم يفتر من الذكر، فقال:- كيف أقص؟ فقال:- أنت تعمل، وأنا أعمل.

*- وقيل:- اغتاب رجل عند معروف، فقال:- اذكر القطن إذا وضع على عينيك.

*- وعنه قال:- ما أكثر الصالحين، وما أقل الصادقين.

*- وعنه من كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه منعه، ومن تواضع له رفعه، كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله .

*- وقيل:- أتاه ملهوفُ سِرَق منه ألف دينار ليدعو له، فقال:- ما أدعو- أما زويته عن أنبيائك وأوليائك، فرده عليه.

*- قيل أنشد مرة في السحر:-

ما تضر الذنوب لو أعتقتني رحمة لي فقد علاني المشيب

*- وعنه:- من لعن إمامه حرم عدله.

*- وعن محمد بن منصور الطوسي، قال:- قعدت مرة إلى معروف، فلعله قال:- واغوثاه يا الله، عشرة آلاف مرة، وتلا:- {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ }،(الأنفال:-٩).

*- وعن ابن شيرويه:- قلت لمعروف:- بلغني أنك تمشي على الماء، قال:- ما وقع هذا، ولكن إذا هممت بالعبور، جمع لي طرفا النهر، فأتخطاه.

*- قال أبو العباس بن مسروق:- حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال:- كنت عند معروف، ثم جئت، وفي وجهه أثر، فسئل عنه، فقال للسائل:- سل عما يعنيك عافاك الله، فأقسم عليه، فتغير وجهه، ثم قال:- صليت البارحة، ومضيت، فطفت بالبيت، وجئت لأشرب من زمزم، فزلقت، فأصاب وجهي هذا.

*- وقال ابن مسروق:- حدثنا يعقوب ابن أخي معروف، أن معروفًا استسقى لهم في يومٍ حارٍّ، فما استتموا رفع ثيابهم حتى مطروا.

*- وقد استجيب دعاء معروف في غير قضية، وأفرد الإمام أبو الفرج بن الجوزي مناقب معروف في أربع كراريس.

*- قال عبيد بن محمد الوراق:- مر معروف، وهو صائم بِسَقَّاءٍ يقول:- رحم الله من شرب، فشرب رجاء الرحمة.

*- وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي شيئًا غير صحيح وهو أن معروفًا الكرخي كان يحجب علي بن موسى الرضى، قال:- فكسروا ضلع معروف، فمات فلعل الرضى كان له حاجب اسمه معروف، فوافق اسمه اسم زاهد العراق.

*- وعن إبراهيم الحربي قال:- قبر معروف الترياق المجرب يريد إجابة دعاء المضطر عنده؛ لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء، كما أن الدعاء في السحر مرجوٌّ، ودبر المكتوبات، وفي المساجد، بل دعاء المضطر مجاب في أي مكان اتفق، اللهم إني مضطر إلى العفو، فاعف عني.

*- قال أبو جعفر بن المنادي وثعلب:- مات معروف سنة مائتين، قال الخطيب:- هذا هو الصحيح.

*- وقال يحيى بن أبي طالب:- مات سنة أربع ومائتين - رحمة الله عليه -.

*- أخبرنا محمد بن علي السلمي، أخبرنا البهاء عبد الرحمن المقدسي، أخبرتنا تجني مولاة ابن وهبان، أخبرنا الحسين بن أحمد النعالي، أخبرنا محمد بن أحمد بن رزقويه، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا زكريا بن يحيى المروزي، حدثنا معروف الكرخي قال:- قال بكر بن خنيس:- إن في جهنم لواديًا تتعوذ جهنم منه كل يوم سبع مرات، وإن في الوادي لَجُبًّا يتعوذ الوادي وجهنم منه كل يوم سبع مرات، وإن فيه لحية يتعوذ الجُبُّ والوادي وجهنم منها كل يوم سبع مرات، يبدأ بفسقة حملة القرآن، فيقولون:- أي ربِّ، بدئ بنا قبل عبدة الأوثان؟! قيل لهم:- ليس من يعلم كمن لا يعلم.

*- أنبأنا مؤمل بن محمد، أخبرنا الكندي، أخبرنا أبو منصور الشيباني، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا ابن رزق، حدثنا عثمان بن أحمد، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أخبرنا معروف الكرخي، حدثني الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن عائشة، قالت:- لو أدركت ليلة القدر، ما سألت الله إلا العفو والعافية، رضي الله تعالى عنه وعنا به، وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيدنا الجليل من كبار التابعين

أويـــس القرنـــي

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

***- سيدنا أويس القرني رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-**

***- نسب سيدنا أويس بن عامر وقبيلتـــــــــــه:-** هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك...المرادي ثم القرني الزاهد المشهور، أدرك رسول الله ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعيها، ومن أفضل التابعين، على خلاف، قال أحمد:- هو سعيد بن المسيب، وقيل:- هو أويس القرني، وقيل:- الحسن البصري والصواب:- أويس لما في صحيح مسلم:- أن خير التابعين رجل يقال له:- "أويس" وبعضهم قال:- الأعلم ابن المسيب، والأزهد والعابد:- أويس.

*- عاش أويس بن عامر في اليمن، وانتقل إلى الكوفة، وكان مع سيدنا علي بن أبي طالب في صفين وبها لقي الله شهيدًا.

*- روى أويس بن عامر عن عمر وعلي، وتعلم على يد كثير من الصحابة ونهل من علمهم حتى صار من أئمة التابعين زهدًا وورعًا، ولقد تعلم منه خلق كثير، تعلموا منه بره بأمه، وتواضعه لربه رغم ما ورد في فضله من أحاديث، ورغم ما ذكره به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وروى عنه بشير بن عمرو وعبد الرحمن بن أبي ليلى ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة، وقال كان ثقة، وذكره البخاري فقال:- في إسناده نظر، وقال ابن عدي:- ليس له رواية، لكن كان مالك ينكر وجوده إلا أن شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحدًا أن يشك فيه.

*- مكانة أويس القرني:- لأويس القرني مكانة عظيمة يعرفها الصحابة رضوان الله عليهم لما سمعوه من النبي ﷺ، ولقد أفرد الإمام مسلم في صحيحه بابًا من فضائل أويس القرني، وروى مسلم بسنده عن أسير بن جابر قال:- كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر، حتى أتى على أويس فقال:- أنت أويس بن عامر؟ قال:- نعم قال:- من مراد ثم من قرن؟ قال:- نعم قال:- فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال:- نعم قال:- لك والدة؟ قال:- نعم قال:- سمعت رسول الله ﷺ يقول:- يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره؛ فإن استطعت أن يستغفر

لك فافعل؛ فاستغفر لي فاستغفر له، فقال له عمر:- أين تريد؟ قال:- الكوفة قال:- ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال:- أكون في غبراء الناس أحب إلي قال:- فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال:- تركته رثَّ البيتِ، قليل المتاع قال:- سمعت رسول الله ﷺ يقول:- يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فأتى أويسًا فقال:- استغفر لي، قال:- أنت أحدث عهدًا بسفر صالح فاستغفر لي، قال:- لقيت عمر قال:- نعم فاستغفر له، ففطن له الناس فانطلق على وجهه، قال أسيرٌ:- وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال:- من أين لأويس هذه البردة.

*- ونَادَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَوْمَ صِفِّينَ، فقال:- أَفِيكُمْ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ، قَالُوا:- نَعَمْ، قَالَ:- سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يقول: "إِنَّ مِنْ خَيْرِ التَّابِعِينَ أُوَيْسًا الْقَرَنِيَّ".

*- ملامح من شخصية وعبادة أويس القرني:- لكل من يريد الوصول إلى الله طريقًا يلتمس فيه القرب من الله، وما يميزه عن غيره، فالبعض اتخذ قيام الليلة وسيلة القرب إلى الله، والبعض الآخر اتخذ الاستغفار بالأسحار الطريق الذي ينتهي به إلى حب الله، والبعض اتخذ التفكر وسيلة القرب من الله، ولم يكن أويس القرني كعامة الناس يحيا ولا يفكر إلا في طعامه وشرابه؛ لكنه فهم حقيقة هذه الدنيا، وأدان نفسه وعمل لما بعد الموت، وكان يغلب على أويس القرني التفكر في مخلوقات الله لتنتهي به إلى حب خالقها، ولما قدم هرم بن حيان الكوفة سأل عن أويس القرني فقيل له:- هو يألف موضعًا من الفرات يقال له:- العريض بين الجسر والعاقل، ومن صفته كذا فمضى هرم حتى وقف عليه فإذا هو جالس ينظر إلى الماء ويفكر وكانت عبادة أويس الفكرة.

*- انعكست عبادة أويس القرني على سلوكه، مما أثر إيجابًا في الآخرين، فقد كان التأثير بسلوكه أكثر منه بقوله، فهو المتواضعُ لربه، البارُّ بأمه، ومع ذلك فكان دائم النصح والتوجيه للآخرين، قائمًا بالحق رغم معاداة الآخرين له ورميه بعظائم الأمور إلا أن ذلك لم يمنعه من الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، ومما يروى في هذا الصدد أن رجلاً من "مراد" جاءه وقال له:- السلام عليكم قال:- وعليكم قال:- كيف أنت يا أويس؟ قال:- بخير نحمد الله قال:- كيف الزمان عليكم؟ قال:- ما تسأل رجلًا إذا أمسى لم يرَ أنه يصبح، وإذا أصبح لم يرَ أنه يمسي، يا أخا مراد:- إن الموت لم يُبْقِ لمؤمن فرحًا، يا أخا مراد:- إن معرفة المؤمن بحقوق الله لم تُبْقِ له فضةً وذهبًا، يا أخا مراد:- إن قيام المؤمن بأمر الله لم يُبْقِ له صديقًا، والله إنا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيتخذونا أعداءً ويجدون على ذلك من الفساق أعوانًا حتى والله لقد رموني بالعظائم، وأيم الله لا يمنعني ذلك أن أقوم لله بالحق.

*- أويس القرني وبذل النصيحة:- ولما طلب منه هرم بن حيان أن يوصيه قال له:- قرأ عليه آيات من آخر حم الدخان من قوله:- {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ}،[الدخان:-٤٠]، حتى ختمها ثم قال له:- يا هرم:- احذر ليلة صبيحتها القيامة ولا تفارق الجماعة فتفارق دينك ما زاده عليه.

*- وكان يخاطب أهل الكوفة قائلاً لهم:- يا أهل الكوفة توسدوا الموت إذا نمتم، واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم.

*- عفو أويس القرني وصفحه عن الآخرين:- عاش أويس القرني بين الناس وهم يرمونه بالحجر فلا يجدون منه إلا أطيب الثمر، وكانت يد الأذى تناله إلا أنه كان دائمًا ما يعفو ويصفح، وكان يجالسهم ويحدثهم رغم ما يصيبه من أذى ألسنتهم ويقول أسيرُ بن جابر:- كان مُحَدِّثٌ يتحدث بالكوفة فإذا فرغ من حديثه تفرقوا ويبقى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحدًا يتكلم بكلامه فأحببته؛ ففقدته فقلت لأصحابي:- هل تعرفون رجلاً كان يجالسنا كذا وكذا؟ فقال رجل من القوم:- نعم أنا أعرفه؛ ذاك أويس القرني قلت:- أو تعرف منزله؟ قال:- نعم فانطلقت معه حتى جئت حجرته فخرج إلي فقلت:- يا أخي ما حبسك عنا، فقال:- العري.

*- قال:- وكان أصحابه يسخرون منه ويؤذونه، قال:- قلت:- خذ هذا البرد فالبسه قال:- لا تفعل فإنهم يؤذونني قال:- فلم أزل به حتى لبسه فخرج عليهم فقالوا:- من ترى خدع عن برده هذا فجاء

فوضعه وقال:- قد ترى، فأتيت المجلس فقلت:- ما تريدون من هذا الرجل قد آذيتموه الرجل يعرى مرة ويكتسي مرة وأخذتهم بلساني.

*- وفاة أويس القرني:- خرج أويس القرني مع سيدنا علي كرم الله وجهه في موقعة صفين، وتمنى الشهادة ودعا الله قائلاً: اللهم ارزقني شهادة توجب لي الحياة والرزق، وقاتل بين يدي سيدنا علي حتى استشهد فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة، وكان ذلك (سنة ٣٧ هـ) في وقعة صفين.

*- هذه القصة التي تجسد موضوع السكينة، فقدْ أخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه:- ((أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ:- هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ الْقَرَنِيِّينَ ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ:- إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ:- إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدِّرْهَمِ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ))،[رواه مسلم عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ]، وفي رواية أخرى:- ((إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ))،[رواه مسلم عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ].

*- وقد ورد في كتب السيرة أنَّ رسول الله ﷺ قال لعمرَ بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب:- إذا لقيتما أويساً القرني فاسألاه أن يستغفر لكما فإنه مجاب الدعوة، فترصدا موسم الحج عشر سنين يدعوان أهل الموسم من اليمن على طعام فما ظفرا بضالّتهما، ثم جاء العام الذي يليه فقال عمر لرئيس وفد اليمن:- أبقي أحد لم يحضر وليمتنا، قال:- لا، إلا فتىً خامل الذكر يرعى إبلاً لنا، فقال له سيدنا عمر:- أهو آدم أشهل ذو صهوبة ؟ فقال:- كأنك تعرفه يا أمير المؤمنين، فذهب عمر وعلي إليه، فلما أتياه قالا:- من الرجل ؟ قال:- راعي إبل وأجير قوم، قالا:- لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك ؟ قال:- عبد الله، قال له علي رضي الله عنه:- قد علمنا أن كل من في السماوات والأرض عبيد لله، ما اسمك الذي سمتك به أمك ؟ قال:- يا هذان من أنتما وما تريدان مني ؟ فقال عمر:- أنا عمر بن الخطاب، وهذا علي بن أبي طالب، فانتفض واقفاً، وقال:- جزاكما الله عن الإسلام خيراً يا أمير المؤمنين، ويا صهر رسول الله، أما

أنتما فقد كان لكما شرف الصحبة، وأما أنا فقد حرمت هذا الشرف، فقال له سيدنا عمر:- كيف تتصور النبي يا أويس ؟ قال:- أتصوره نوراً يملأ الأفق، فبكى عمر شوقاً إلى النبي ﷺ، قال عمر:- يا أويس إن النبي أمرنا أن تستغفر لنا، وأن تدعو لنا، قال:- ما أخص بالدعاء أحداً، ولكن أعمم ! قال عمر:- يا أويس عظني، قال:- يا أمير المؤمنين، اطلب رحمة الله عند طاعته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه، قال سيدنا عمر:- أفلا نأمر لك بصلة ؟ قال:- يا أمير المؤمنين أخذت على عملي أربعة دراهم، ولي على القوم ذمة، متى تراني أنفقها ؟ وعليّ رداء وإزار، متى تراني أخرقهما ؟ يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤود لا يقطعها إلا كل مخفٍّ مهزول، فبكى عمر، وقال:- ليت أم عمر لم تلد عمر، قال:- يا أويس ألا تقيم عندنا ؟ قال:- أريد الكوفة، قال:- أفلا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال:- أحب أن أكون في دهماء الناس، ومضى إلى سبيله، ومات في غمار خيمة من خيام المسلمين خاملاً في الأرض علماً في السماء، إنها السكينة التي يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء.

*- حج بالناس عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سنة ثلاث وعشرين، قبيل استشهاده بأيام، وكان شغله الشاغل في حجه البحث عن رجل من رعيته من التابعين يريد مقابلته، وصعد عمر جبل أبا قبيس وأطل على الحجيج، ونادى بأعلى صوته:- يا أهل الحجيج من أهل اليمن، أفيكم أويس من مراد؟

*- فقام شيخ طويل اللحية من قرن، فقال:- يا أمير المؤمنين، إنك قد أكثرت السؤال عن أويس هذا، وما فينا أحد اسمه أويس إلا ابن أخ لي يقال له:- أويس، فأنا عمه، وهو حقير بين أظهرنا، خامل الذكر، وأقل مالاً، وأوهن أمراً من أن يرفع إليك ذكره.

*- فسكت عمر- كأنه لا يريده - ثم قال:- يا شيخ، وأين ابن أخيك هذا الذي تزعم؟ أهو معنا بالحرم؟ قال الشيخ:- نعم يا أمير المؤمنين، هو معنا في الحرم، غير أنّه في أراك عرفة يرعى إبلاً لنا.

*- فركب عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - على حمارين لهما، وخرجا من مكة، وأسرعا إلى أراك عرفة، ثم جعلا يتخللان الشجر ويطلبانه، فإذا هما به في طمرين من صوف

أبيض، قد صف قدميه يصلي إلى الشجرة وقد رمى ببصره إلى موضع سجوده، وألقى يديه على صدره والإبل حوله ترعى – قال عمر لعلي – رضي الله عنهما:– يا أبا الحسن، إن كان في الدنيا أويس القرني فهذا هو، وهذه صفته، ثم نزلا عن حماريهما وشدا بهما إلى أراكه ثم أقبلا يريدانه.

*– فلما سمع أويس حسّهما أوجز في صلاته، ثم تشهّد وسلم وتقدما إليه فقالا له:– السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال أويس:– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

*– فقال عمر– رضي الله عنه:– من الرجل؟ قال:– راعي إبل وأجير للقوم، فقال عمر:– ليس عن الرعاية أسألك ولا عن الإجارة، إنما أسألك عن اسمك، فمن أنت يرحمك الله؟ فقال:– أنا عبدالله وابن أمته، فقالا:– قد علمنا أنّ كل من في السماوات والأرض عبيد الله، وإنّا لنقسم عليك إلا أخبرتنا باسمك الذي سمّتك به أمّك، قال:– يا هذان ما تريدان إلي؟ أنا أويس بن عبدالله، فقال عمر رضي الله عنه:– الله أكبر، يجب أن توضح عن شقك الأيسر، قال:– وما حاجتكما إلى ذلك؟ فقال له علي – رضي الله عنه:– إنّ رسول الله ﷺ وصفك لنا، وقد وجدنا الصفة كما خبرنا، غير أنّه أعلمنا أن بشقك الأيسر لمعة بيضاء كمقدار الدينار أو الدرهم، ونحن نحب أن ننظر إلى ذلك، فأوضح لهما ذلك عن شقه الأيسر.

*– فلما نظر علي وعمر – رضي الله عنهما – إلى اللمعة البيضاء ابتدروا أيهما يقبل قبل صاحبه، وقالا:– يا أويس، إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نقرئك منه السلام، وأمرنا أن نسألك أن تستغفر لنا، فإن رأيت أن تستغفر لنا – يرحمك الله – فقد أخبرنا بأنك سيد التابعين، وأنّك تشفع يوم القيامة في عدد ربيعة ومضر.

*– فبكى أويسٌ بكاءً شديداً، ثم قال:– عسى أن يكون ذلك غيري، فقال علي – رضي الله عنه:– إنا قد تيقنا أنك هو، لا شك في ذلك، فادعُ الله لنا رحمك الله بدعوة وأنت محسن، فقال أويس:– ما أخص باستغفار نفسي، ولا أحد من ولد آدم، ولكنه في البر والبحر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات في ظلم الليل وضياء النهار، ولكن من أنتما يرحمكما الله؟ فإني قد خبرتكما وشهرت لكما أمري، ولم أحب أن يعلم بمكاني أحد من الناس، فقال علي – رضي الله عنه:– أما هذا فأمير المؤمنين عمر بن

الخطاب – رضي الله عنه – وأما أنا فعلي بن أبي طالب، فوثب أويس فرحاً مستبشراً فعانقهما وسلم عليهما ورحب بهما، وقال:– جزاكما الله عن هذه الأمة خيراً، قالا:– وأنت جزاك الله عن نفسك خيراً.

*– ثم قال أويس:– ومثلي يستغفر لأمثالكما؟ فقالا:– نعم، إنا قد احتجنا إلى ذلك منك، فخصّنا – رحمك الله – منك بدعوة حتى نؤمِّن على دعائك، فرفع أويس رأسه، وقال:– اللهم إنّ هذين يذكران أنهما يحباني فيك، وقد رأوني فاغفر لهما وأدخلهما في شفاعة نبيهما محمد ﷺ.

*– فقال عمر – رضي الله عنه – مكانك – رحمك الله – حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي، وفضل كسوة من ثيابي، فإني أراك رث الحال، هذا المكان الميعاد بيني وبينك غداً، فقال:– يا أمير المؤمنين، لا ميعاد بيني وبينك، ولا أعرفك بعد اليوم ولا تعرفني، ما أصنع بالنفقة؟ وما أصنع بالكسوة؟ أما ترى عليَّ إزاراً من صوف ورداءً من صوف؟ متى أراني أخلِفهما؟ أما ترى نعليَّ مخصوفتين، متى تُراني أبليهما؟ ومعي أربعة دراهم أخذت من رعايتي متى تُراني آكلها؟

*– يا أمير المؤمنين، إنّ بين يدي عقبة لا يقطعها إلاّ كل مخف مهزول، فأخف – يرحمك الله – يا أبا حفص، إن الدنيا غرارة غدارة، زائلة فانية، فمن أمسى وهمته فيها اليوم مد عنقه إلى غد، ومن مد عنقه إلى غد أعلق قلبه بالجمعة، ومن أعلق قلبه بالجمعة لم ييأس من الشهر، ويوشك أن يطلب السنة، وأجله أقرب إليه من أمله، ومن رفض هذه الدنيا أدرك ما يريد غداً من مجاورة الجبار، وجرت من تحت منازله الثمار.

*– فلما سمع عمر – رضي الله عنه – كلامه ضرب بدرته الأرض، ثم نادى بأعلى صوته:– ألا ليت عمر لم تلده أمه، ليتها عاقر لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها؟

*– فقال أويس: يا أمير المؤمنين، خذ أنت ها هنا حتى آخذ أنا ها هنا، ومضى أويس يسوق الإبل بين يديه، وعمر وعلي – رضي الله عنهما – ينظران إليه حتى غاب فلم يروه، وولىّ عمر وعلي – رضي الله عنهما – نحو مكة.

*- وحديث فضل أويس القرني، وأنّه لو أقسم على الله لأبرّه، وقوله ﷺ لعمر - رضي الله عنه:- "إن استطعت أن يستغفر لك فافعل" (ثابت في صحيح مسلم وغيره).

*- فإذا نافسك الناس على الدنيا اتركها لهم، وإن نافسوك على الآخرة، فكن أنت أسبقهم؛ فإن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب، فرضي الله تبارك وتعالى عن سيدنا أويس القرني، وجمعنا به في معية سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا رسول الله ﷺ، فالله تعال نسأل أن يرزقنا حبهم وحب أحبابهم الكرام، الصفوة الأبرار، والسادة الأخيار، رضي الله تعالى عنهم وعنا بهم، وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيدنا إبراهيم بن أدهم
رضي الله تعالى عنه وأرضاه

***- سيدنا إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-**

***- نسبـــــــــــــــه:-** إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام العارف، سيد الزهاد أبو إسحاق العجلي، وقيل:- التميمي، الخراساني البلخي، نزيل الشام.

***- مولـــــــــــــــده:-** في حدود المائة.

*- حدث عن:- أبيه، ومحمد بن زياد الجمحي - صاحب أبي هريرة - وأبي إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر، ومالك بن دينار، وأبي جعفر محمد بن علي، وسليمان الأعمش، وابن عجلان، ومقاتل بن حيان.

*- حدث عنه:- رفيقه سفيان الثوري، وشقيق البلخي، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، ومحمد بن حمير، وخلف بن تميم، ومحمد بن يوسف الفريابي، وإبراهيم بن بشار الخراساني خادمه، وسهل بن هاشم، وعتبة بن السكن، وحكى عنه الأوزاعي، وأبو إسحاق الفزاري.

*- قال البخاري:- قال لي قتيبة:- إبراهيم بن أدهم تميمي يروي عن منصور، قال:- ويقال له:- العجلي، وقال ابن معين:- هو من بني عجل، وذكر المفضل الغلابي:- أنه هرب من أبي مسلم، صاحب الدعوة.

*- قال النسائي:- هو ثقة مأمون، أحد الزهاد، وعن الفضل بن موسى، قال:- حجَّ والد إبراهيم بن أدهم وزوجته، فولدت له إبراهيم بمكة.

*- وعن يونس البلخي قال:- كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثيرَ المالِ والخدمِ، والمراكبِ والجنائبِ والبَزَّاةِ فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه:- يا إبراهيم:- ما هذا العبث؟ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا، اتَّقِ اللهَ، عليك بالزاد ليوم الفاقة، فنزل عن دابته، ورفض الدنيا.

*- وفي " رسالة القشيري "، قال:- هو من كورة بلخ، من أبناء الملوك، أثار ثعلبًا أو أرنبًا، فهتف به هاتف:- ألهذا خُلِقْتَ؟ أم بهذا أُمِرْتَ؟ فنزل، وصادف راعيًا لأبيه، فأخذ عباءته، وأعطاه فرسه، وما معه، ودخل البادية، وصحب الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام، وكان يأكل من الحصاد وحفظ

البساتين، ورأى في البادية رجلًا علمه الاسم الأعظم فدعا به، فرأى الخضر عليه السلام، وقال:- إنما علمك أخي داود عليه السلام، رواها على بن محمد المصري الواعظ.

*- حدثنا أبو سعيد الخراز، حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثني إبراهيم بن أدهم بذلك، لما سألته عن بدء أمره، ورويت عن ابن بشار بإسناد آخر، وزاد قال:- فسألت بعض المشايخ عن الحلال، فقال:- عليكم بالشام، فصرت إلى المصيصة فعملت بها أيامًا، ثم قيل لي:- عليك بطرسوس فإن بها المباحات، فبينا أنا على باب البحر، اكتراني رجل أنطر بستانه، فمكثت مدة، قال المسيب بن واضح:- حدثنا أبو عتبة الخواص:- سمعت إبراهيم بن أدهم يقول:- من أراد التوبة، فليخرج من المظالم، وليدع مخالطة الناس، وإلا لم ينل ما يريد.

*- قال خلف بن تميم:- سمعت إبراهيم يقول:- رآني ابن عجلان، فاستقبل القبلة ساجدًا، وقال:- سجدت لله شكرًا حين رأيتك.

*- قال عبد الرحمن بن مهدي:- قلت لابن المبارك:- إبراهيم بن أدهم ممن سمع؟ قال:- قد سمع من الناس، وله فضل في نفسه، صاحب سرائر، وما رأيته يظهر تسبيحًا، ولا شيئًا من الخير، ولا أكل مع قوم قط، إلا كان آخر من يرفع يده، وقال أبو نعيم:- سمعت سفيان يقول:- كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة، لكان رجلًا فاضلًا.

*- قال بشر الحافي:- ما أعرف عالمًا إلا وقد أكل بدينه، إلا وهيب بن الورد وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسلما الخواص.

*- قال شقيق بن إبراهيم:- قلت لإبراهيم بن أدهم:- تركت خراسان؟ قال:- ما تهنأت بالعيش إلا في الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، فمن رآني يقول:- موسوس، ومن رآني يقول:- جَمَّالٌ، يا شقيق:- ما نَبُلَ عندنا منْ نَبُلَ بالجهاد ولا بالحج، بل كان بعقل ما يدخل بطنه.

*- قال خلف بن تميم:- سألت إبراهيم:- منذ كم قدمت الشام؟ قال:- منذ أربع وعشرين سنة، ما جئت لرباط ولا لجهاد، جئت لأشبع من خبز الحلال.

*- وعن إبراهيم قال:- الزهد فرض، وهو الزهد في الحرام، وزهد سلامة وهو:- الزهد في الشبهات، وزهد فضل وهو:- الزهد في الحلال .

*- وقال يحيى بن عثمان البغدادي:- حدثنا بقية قال:- دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعامه، فأتيته، فجلس، فوضع رجله اليسرى تحت أليته، ونصب اليمنى، ووضع مرفقه عليها، ثم قال:- هذه جلسة رسول الله -ﷺ- كان يجلس جلسة العبد، خذوا بسم الله، فلما أكلنا، قلت لرفيقه:- أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته، قال:- كنا صيامًا، فلم يكن لنا ما نفطر عليه، فأصبحنا، فقلت:- هل لك يا أبا إسحاق أن نأتي الرستن فنكري أنفسنا مع الحصادين؟ قال:- نعم، قال:- فاكتراني رجل بدرهم، فقلت:- وصاحبي؟

*- قال:- لا حاجة لي فيه، أراد ضعيفًا، فما زلت به حتى اكتراه بثلثين، فاشتريت من كرائي حاجتي، وتصدقت بالباقي، فقربت إليه الزاد، فبكى وقال:- أما نحن فاستوفينا أجورنا، فليت شعري أوفينا صاحبنا أم لا؟ فغضبت، فقال:- أتضمن لي أنا وفيناه، فأخذت الطعام فتصدقت به.

*- وبالإسناد عن بقية قال:- كنا مع إبراهيم في البحر، فهاجت ريح، واضطربت السفينة، وبكوا، فقلنا:- يا أبا إسحاق! ما ترى؟ فقال:- يا حي حين لا حي، ويا حي قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي، يا حي، يا قيوم، يا محسن، يا مجمل! قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك، فهدأت السفينة من ساعته.

*- وقال ضمرة:- سمعت ابن أدهم، قال:- أخاف أن لا أؤجر في تركي أطايب الطعام؛ لأني لا أشتهيه، وكان إذا جلس على طعام طيب، قدم إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون، وقال محمد بن ميمون المكي:- حدثنا سفيان بن عيينة قال:- قيل لإبراهيم بن أدهم:- لو تزوجت؟ قال:- لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت.

*- وعن خلف بن تميم، قال:- دخل إبراهيم الجبل، واشترى فأسًا، فقطع حطبًا، وباعه، واشترى ناطفًا وقدمه إلى أصحابه، فأكلوا فقال يباسطهم:- كأنكم تأكلون في رهن.

*- وقال عصام بن رواد بن الجراح:- حدثنا أبي، قال:- كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافئه، فنظر إلى سرجي، فقال:- خذ ذاك السرج، فأخذه، فسررت حين نزل مالي بمنزلة ماله.

*- قال علي بن بكار:- كان إبراهيم من بني عجل كريم الحسب، وإذا حصد، ارتجز، وقال:-

اتخذِ اللهَ صاحبا ودعِ الناسَ جانبا

*- وكان يلبس فروًا بلا قميص، وفي الصيف شقتين بأربعة دراهم:- إزار ورداء، ويصوم في الحضر والسفر، ولا ينام الليل، وكان يتفكر، ويقبض أصحابه أجرته، فلا يمسها بيده، ويقول:- كلوا بها شهواتكم، وكان ينظر، وكان يطحن بيد واحدة مدين من قمح.

*- قال أبو يوسف الغسولي:- دعا الأوزاعي إبراهيم بن أدهم، فقصر في الأكل، فقال:- لِمَ قصرت؟ قال:- رأيتك قصرت في الطعام، وقال بشر الحافي:- حدثنا يحيى بن يمان، قال:- كان سفيان إذا قعد مع إبراهيم بن أدهم، تحرز من الكلام، وقال عبد الرحمن بن مهدي، عن طالوت:- سمعت إبراهيم بن أدهم يقول:- ما صدقَ اللهَ عبدٌ أحبَّ الشهرةَ.

*- قلت:- علامة المخلص الذي قد يحب شهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك، لا يحرد ولا يبرئ نفسه، بل يعترف، ويقول:- رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي، ولا يكن معجبًا بنفسه، لا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإذا هذا داء مزمن.

*- وقال عصام بن رواد:- سمعت عيسى بن خازم النيسابوري يقول:- كنا بمكة مع إبراهيم بن أدهم، فنظر إلى أبي قبيس، فقال:- لو أن مؤمنًا مستكمل الإيمان يهز الجبل لتحرك، فتحرك أبو قبيس فقال:- اسكن، ليس إياك أردت.

*- قال ابن أبي الدنيا:- حدثنا محمد بن منصور، حدثنا الحارث بن النعمان، قال:- كان إبراهيم بن أدهم يجتني الرطب من شجر البلوط .

*- وعن مكي بن إبراهيم، قال:- قيل لابن أدهم:- ما تبلغ من كرامة المؤمن؟- قال:- أن يقول للجبل:- تحرك، فيتحرك، قال فتحرك الجبل، فقال:- ما إياك عنيت.

*- وعن إبراهيم بن أدهم، قال:- كل ملك لا يكون عادلًا، فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون تقيًّا، فهو والذئب سواء، وكل من ذل لغير الله، فهو والكلب سواء.

*- أخبرنا أحمد بن إبراهيم الجلودي وغيره:- أن عبد الله بن اللتي أخبرهم، قال أنبأنا جعفر بن المتوكل، أنبأنا أبو الحسن بن العلاف، حدثنا الحمامي، حدثنا جعفر الخلدي، حدثني إبراهيم بن نصر، حدثنا إبراهيم بن بشار:- سمعت إبراهيم بن أدهم يقول:- وأي دين لو كان له رجال! من طلب العلم لله، كان الخمول أحب إليه من التطاول، والله ما الحياة بثقة، فيرجى نومها، ولا المنية بعذر، فيؤمن عذرها، ففيمَ التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء؟ قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

*- وبه:- قال ابن بشار:- أمسينا مع إبراهيم ليلة، ليس لنا ما نفطر عليه، فقال:- يا ابن بشار! ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا حج، ولا صدقة، ولا صلة رحم! لا تغتم، فرزق الله سيأتيك، نحن - والله- الملوك الأغنياء، تعجلنا الراحة، لا نبالي على أي حال كنا إذا أطعنا الله، ثم قام إلى صلاته، وقمت إلى صلاتي، فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة، وتمر كثير، فوضعه، فقال:- كل يا مغموم.

*- فدخل سائل، فأعطاه ثلاثة أرغفة مع تمر، وأعطاني ثلاثة، وأكل رغيفين، وكنت معه، فأتينا على قبر مسنم، فترحم عليه، وقال:- هذا قبر حميد بن جابر، أمير هذه المدن كلها، كان غارقًا في بحار الدنيا، ثم أخرجه الله منها، بلغني أنه سُرَّ ذاتَ يومٍ بشيء، ونام فرأى رجلًا بيده كتاب، ففتحه، فإذا هو كتاب بالذهب:- لا تؤثرن فانيًا على باقٍ، ولا تغترن بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن بعده هلك، وفرح وسرور لولا أنه غرور، وهو يوم لو كان يوثق له بغد، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال:- { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }،

(آل عمران:-١٣٣)، فانتبه فزعًا، وقال:- هذا تنبيه من الله وموعظة، فخرج من ملكه، وقصد هذا الجبل، فعبد الله فيه حتى مات.

*- وروي أن إبراهيم بن أدهم حصد ليلة ما يحصده عشرة، فأخذ أجرته دينارًا.

*- أنبأنا أحمد بن سلامة، عن عبد الرحيم بن محمد، أنبأنا الحداد، أنبأنا أبو نعيم، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا السراج:- سمعت إبراهيم بن بشار يقول:- قلت لإبراهيم بن أدهم:- كيف كان بدء أمرك؟ قال:- غير ذا أولى بك.

*- قال:- قلت:- أخبرني لعل الله أن ينفعنا به يومًا، قال:- كان أبي من الملوك المياسير، وحبب إلينا الصيد، فركبت فثار أرنب أو ثعلب، فحركت فرسي فسمعت نداءً من ورائي:- ليس لذا خُلِقْتَ، ولا بذا أُمِرْتَ، فوقفت أنظر يمنة ويسرة، فلم أرَ أحدًا، فقلت:- لعن الله إبليس، ثم حركت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك:- يا إبراهيم! ليس لذا خُلِقْتَ، ولا بذا أُمِرْتَ، فوقفت أنظر فلا أرى أحدًا، فقلت:- لعن الله إبليس، فأسمع نداءً من قربوس سرجي بذاك، فقلت:- أنبهت، أنبهت، جاءني نذير، والله لا عصيت الله بعد يومي ما عصمني الله، فرجعت إلى أهلي، فخليت فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت جبة كساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق، فعملت بها أيامًا، فلم يصفَ لي منها الحلال، فقيل لي:- عليك بالشام، فذكر حكاية نطارته الرمان، وقال الخادم له:- أنت تأكل فاكهتنا، ولا تعرف الحلو من الحامض؟ قلت:- والله ما ذقتها، فقال:- أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم، فانصرف، فلما كان من الغد، ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عنق من الناس، فاختفيت خلف الشجر، والناس داخلون، فاختلطت معهم وأنا هارب.

*- قد سقت أخبار إبراهيم في " تاريخي " أزيد مما هنا ، وأخباره في:- " تاريخ دمشق " وفي:- "الحلية " وتآليف لابن جوصا، وأخباره التي رواها ابن اللتي، وأشياء، وثقه الدارقطني.

*- وتوفي سنة اثنتين وستين ومائة وقبره يزار، وترجمته في " تاريخ دمشق " في ثلاثة وثلاثين ورقة، رضي الله تعالى عنه وعنا به، فالله إنا نسألك ونتوجه إليك بجاه حبيبك المصطفى سيد الأنام، وبجاه

أحبابك الكرام، وأوليائك العظام، ألا تحرمنا محبتهم وطاعتهم وخدمتهم، ومعيتهم، واحشرنا اللهم في زمرتهم وتحت رايتهم، وبلغنا اللهم منازلهم، منازل الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا، وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

''الخاتمـــــــــــــــــــــــة''

*- الحمدُ للهِ الذي خصَّنَا بخيرِ رسلهِ، وأنزلَ علينَا أكرمَ كتبهِ، وشرعَ لنَا أكملَ شرائعهِ، أحمدهُ سبحانهُ وأشكرهُ، لا أحصي ثناءً عليهِ، أكملَ لنَا الدينَ، وأتمَّ علينَا النعمةَ، فقالَ جلَّ منْ قائلٍ كريمٍ:- ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾،[المائدة:- ٣]، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ اللهِ ورسولهُ – صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلمَ.

*- أما بعدُ فاتقوا اللهَ تعالى حقَّ التقوى، فالتقوى هيَ وصيةُ اللهِ لجميعِ خلقهِ، ووصيةُ رسولِ اللهِ – صلى اللهُ عليهِ وسلمَ – لأمتهِ، قال تعالى:- ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾،[النساء:- ١٣١].

*- عبادَ اللهِ:- كانَ ثوبانُ مولى رسولِ اللهِ – صلى اللهُ عليهِ وسلمَ – شديدَ الحبِّ لهُ، قليلَ الصبرِ عنهُ، فأتاهُ ذاتَ يومٍ وقدْ تغيرَ لونهُ، ونحلَ جسمهُ، يُعرفُ في وجههِ الحزنُ، فقالَ لهُ النبيُّ – صلى اللهُ عليهِ وسلمَ:- مَا غيرَ لونكَ؟! قالَ:- يا رسولَ اللهِ، ما بي ضرٌّ ولا وجعٌ غيرَ أني إذا لمْ أركَ اشتقتُ إليكَ واستوحشتُ وحشةً شديدةً حتى ألقاكَ، ثمَّ ذكرتُ الآخرةَ وأخافُ أنْ لا أراكَ هناكَ، لأني عرفتُ أنكَ ترفعُ معَ النبيينَ، وأني إنْ دخلتُ الجنةَ كنتُ في منزلةٍ هيَ أدنى منْ منزلتكَ، وإنْ لمْ أدخلْ لا أراكَ أبدًا، فأنزلَ اللهُ – عزَّ وجلَّ – قولهُ:- ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾،[النساء:- ٦٩].

*- عبادَ اللهِ:- منْ رحمةِ اللهِ بنا أنْ بعثَ فينا سيدنا محمدًا – صلى اللهُ عليهِ وسلمَ –، وأمرنا بالإيمانِ بهِ وتصديقهِ، واتباعهِ، والاقتداءِ بهِ، والانتصارِ لهُ، ومحبتهِ، وتقديمهِ على النفسِ والمالِ والولدِ؛ فعلى يديهِ كَمُلَ الدينُ، وبهِ خُتِمَتِ الرسالاتُ، وَأَرْسَلَ إليهِ أفضلَ الشرائعِ، وأنزلَ إليهِ أفضلَ الكتبِ، فهوَ خليلُ اللهِ، وهوَ كليمُ اللهِ، وهوَ صفيهُ، وهوَ رسولهُ، وهوَ حبيبهُ، ﷺ.

*- وقدِ امتنَّ اللهُ تَعَالَى بهِ على الثقلينِ؛ الإنسِ والجنِّ، وأرسلهُ إليهما معًا، ففتحَ اللهُ بهِ أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا، وأخرجَ بهِ الناسَ منَ الضلالةِ إلى الهدى.

*- إنهُ حبيب الله ورَسُولُ اللهِ سيدنا محمدٌ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - بَلَّغَ الرسالةَ أحسنَ بلاغٍ، وأدى الأمانةَ أحسنَ أداءٍ، ونصحَ الأمةَ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادهِ.

*- إنه حبيب الله ورَسُولُ اللهِ سيدنا محمدٌ بنُ عبدِ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ:- أعزُّ الناسِ نسبًا، وأشرفهمْ مكانةً، أظهرَ اللهُ على يديهِ منَ المعجزاتِ ما أبهرَ العقولَ، ففلقَ لهُ القمرَ فلقتينِ، وتكلمتِ الحيواناتُ بحضرتهِ، وسبحَ الطعامُ وتكاثرَ بينَ يديهِ، وَسَلَّمَ عليهِ الحجرُ والشجرُ، وأخبرَ بالمغيباتِ، فما زالتْ تتحققُ في حياتهِ وبعدَ وفاتهِ.

*- إنهُ حبيب الله ورَسُولُ اللهِ سيدنا محمدٌ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - الذي اختصهُ اللهُ منْ بينِ إخوانهِ المرسلينَ بخصائصَ تفوقُ العدَّ، فلهُ الوسيلةُ والفضيلةُ والمقامُ المحمودُ ولواءُ الحمدِ.

*- إنه حبيب الله ورَسُولُ اللهِ سيدنا محمدٌ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - أولُ منْ تنشقُّ عنهُ الأرضُ يومَ القيامةِ، وأولُ منْ يفتحُ لهُ بابُ الجنةِ، وهوَ أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ، وهوَ سيّدُ ولدِ آدمَ أجمعينَ.

*- إنه حبيب الله ورَسُولُ اللهِ سيدنا محمدٌ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - الذي زَكَّاهُ ربهُ تزكيةً ما عُرفتْ لأحدٍ غيرهُ منَ المخلوقينَ، فلقدْ زَكَّى اللهُ عقلهُ فقالَ:- ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾،[النجم:- ٢]، وَزَكَّى لسانهُ فقالَ:- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾،[النجم:- ٣]، وَزَكَّى شرعهُ فقالَ:- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾،[النجم:- ٤]، وَزَكَّى قلبهُ فقالَ:- ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾،[النجم:- ١١]، وَزَكَّى بصرهُ فقالَ:- ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾،[النجم:- ١٧]، وَزَكَّى أصحابهُ فقالَ:- ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾،[الفتح:- ٢٩]، وَزَكَّى أخلاقهُ فقالَ:- ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾،[القلم:- ٤]، وَزَكَّى دعوتهُ فقالَ:- ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:- ١٠٨]، ونعتهُ بالرسالةِ فَقَالَ تَعَالَى:- ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾،[الفتح:-٢٩] ،وناداهُ بالنبوةِ فَقَالَ تَعَالَى:- ﴿ يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ﴾،[الأحزاب:-٥٩]، وشرفهُ بالعبوديةِ فقالَ:- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾،[الإسراء:-١] وشهدَ لهُ بالقيامِ بها فقالَ:- ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾،[الجن:- ١٩].

*- إنه حبيب الله ورَسُولُ اللهِ سيدنا محمدٌ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - الذي لا تحصَى فضائلهُ، ولا تعدُّ مزاياهُ، فما منْ صفةِ كمالٍ إلا واتّصفَ بها، ولا خصلةِ خيرٍ إلا وتحلى بها، جمعَ اللهُ له أجلَّ المقاماتِ، وأسمى المراتبِ، وأكملَ المناقبِ، إذا ذُكرَ العبادُ فهوَ إمامهمْ، وإذا أشيرَ إلى العلماءِ فهوَ معلمهمْ، وإذا أُشِيْدَ بالشجعانِ فهوَ قائدهمْ، وإذا مُدحَ الدعاةُ فهوَ قدوتهمْ، بلغَ في الدنيا يومَ المعراجِ مبلغًا ما بلغهُ مخلوقٌ غيرهُ، وخصّهُ اللهُ بالمقامِ المحمودِ يومَ القيامةِ الذي تحمدهُ عليهِ كلُّ الخلائقِ، وأعطاهُ الوسيلةَ في الجنةِ، وهيَ منزلةٌ لا تنبغي إلا لهُ.

*- إنه حبيب الله ورَسُولُ اللهِ سيدنا محمدٌ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - أرسلهُ اللهُ شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى اللهِ بإذنهِ وسراجًا منيرًا، شرحَ اللهُ لهُ صدرهُ، ووضعَ عنهُ وزرهَ، ورفعَ لهُ ذكرهُ وأعلى في العالمينَ قدرهُ، ما رآهُ أحدٌ إلا هابهُ، ولا عاشرهُ أحدٌ إلا أحبّهُ حبًّا جمًّا، صاحبُ الوجهِ الوضاءِ، والطهرِ والصفاءِ، والعفة والنقاء، والكرم والسخاء، والبذل والعطاء، والحب والوفاء، دائمُ الابتسامةِ، مليحُ الوجهِ، أكحلُ العينينِ، كالقمرِ ليلةَ البدرِ استنارةً وضِياءً، أشدُّ حياءً منَ العذراءِ.

*- يقولُ أنسٌ - رضيَ اللهُ عنهُ:- «مَا مَسَسْتُ حَرِيرًا وَلاَ دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

كانَ يُعرفُ بريحِ الطيبِ إذا أقبلَ، أحسنُ الناسِ خَلقًا وخُلقًا، وأتقاهمْ للهِ وأخشاهمْ وأكرمُهمْ، أعظمُ الناسِ تواضعًا، يُخالطُ الفقيرَ والمسكينَ، ويمشي معهمْ، وينطلقُ معَ الجاريةِ الصغيرةِ تأخذُ بيدهِ حيثُ شاءتْ، ولا يتميزُ عنْ أصحابهِ بمظهرٍ، يزورُ كبيرهمْ ويسلّمُ على صبيانهمْ، يأتي ضعفاءهمْ ويعودُ مرضاهمْ، ويشهدُ جنائزهمْ، يجلسُ على الأرضِ ويأكلُ عليها، يعقِلُ الشاةَ ويحلبهَا، يخصفُ نعلهُ ويخيطُ ثوبهُ ويخدمُ أهلهُ.

يبيتُ الليالِيَ طاويًا بلا عشاءٍ، يعصبُ الحجرَ والحجرينِ على بطنهِ منْ شدةِ الجوعِ، يقبلُ الهديةَ ولا يأخذُ الصدقةَ، أشجعُ الناسِ، وأرحمُ الناسِ، وصدقَ اللهُ:- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، [الأنبياء:- ١٠٧]، ولله در القائل:-

وأجملُ منكَ لمْ ترَ قطُّ عينـــي وأفضلُ منكَ لمْ تلدِ النســـــاءُ

خُلِقتَ مبرّأً منْ كلِّ عيـــــبٍ كأنّكَ قدْ خُلِقتَ كما تَشـــــاءُ

*- فَمَا أعظمهُ منْ رجلٍ! وما أجلهُ منْ نبيٍّ! وما أعزَّهُ منْ رسولٍ! صلى اللهُ عليهِ وسلمَ، فحُقَّ لنا معشرَ المسلمينَ الفخرُ بهذا النبيِّ الكريمِ ومباهاةُ الأممِ بهِ، ﷺ، وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين.

*- عبادَ اللهِ:- لنْ يَكْتملَ الإيمانُ الحقيقيُّ في قلوبنا، ولنْ نذوقَ حلاوتهُ، ونُحسُّ بالراحةِ النفسيةِ الحقيقيةِ والطمأنينةِ؛ حتى نحبَّ النبيَّ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - حبًّا أكثرَ منْ أنفسنا وأهلِينا وأموالنا وكلِّ الدنيا، فعنْ أبي هريرةَ - رضيَ اللهُ عنهُ - أنَّ رسولَ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - قالَ:- «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

*- فهذا الحديثُ منْ أوضحِ الأدلةِ على وجوبِ محبةِ الرسولِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ -؛ لأنَّ المؤمنَ لا يستحقُّ اسمَ الإيمانِ الكاملِ، ولا يدخلُ في عدادِ الناجينَ؛ حتى يكونَ الرسولُ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - أحبَّ إليهِ منْ والدهِ وولدهِ والناسِ أجمعينَ.

*- ومنْ لوازمهِ أنْ تكونَ أوامرُ الرسولِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - ونواهيهِ مقدمةً على كلِّ الأوامرِ والنواهي في جميعِ ما جاءَ بهِ منَ المكارمِ والمحاسنِ والفضائلِ، في العسرِ واليسرِ، ووقتِ الضرِّ والشكرِ، وعلى صعوبةِ الأمرِ وسهولتهِ، ومحنتهِ ونعمتهِ، وعلى جوعنا وشبعنا، وبلائنا ورخائنا، ومنشطنا ومكرهنا، وحالِ سعتنا وضيقنا، أوْ حالِ غضبنا ورضانا، أوْ حالِ حزننا وفرحنا، يجبُ أنْ نقدمَ محبةَ الرسولِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - في جميعِ هذهِ المواقفِ.

*- أَحَبَّهُ أصحابهُ - رضيَ اللهُ عنهمْ - حبًّا ما سمعَ التاريخُ بمثلهِ، سئلَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - كيفَ كانَ حبكمْ لرسولِ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - فقالَ:- (كانَ واللهِ أحبَّ إلينا منْ أموالنا وأولادنا وأبنائنا وأمهاتنا ومنَ الماءِ البارِدِ على الظمأِ).

*- قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ - رحمهُ اللهُ:- وأما السببُ في وجوبِ محبتهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتعظيمهِ أكثرَ منْ أيِّ شخصٍ؛ فلأنَّ أعظمَ الخيرِ في الدنيا والآخرة لا يحصلُ لنا إلا على يدِ النبيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالإيمانِ بهِ واتباعهِ، وذلكَ أنهُ لا نجاةَ لأحدٍ منْ عذابِ اللهِ، ولا وصولَ لهُ إلى رحمةِ اللهِ إلا بواسطةِ الرسولِ؛ بالإيمانِ بهِ ومحبتهِ وموالاتهِ واتباعهِ)،(مجموع الفتاوى- ٢٧).

*- وإنَّ منْ مقتضياتِ هذا الحبِّ - أيضًا - أنْ يكثرَ المسلمُ منْ ذكرهِ والصلاةِ والسلامِ عليهِ، وأنْ يتمنى رؤيتهُ، والشوقَ إلى لقائهِ، وسؤالَ اللهِ اللحاقَ بهِ على الإيمانِ، وأنْ يجمعَ بينهُ وبينَ حبيبهِ في مستقرِّ رحمتهِ، وقدْ أخبرَ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - بأنهُ سيوجدُ في هذهِ الأمةِ منْ يودُّ رؤيتهُ بكلِّ ما يملكونَ، فأخرجَ مسلمٌ في صحيحهِ عنْ أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - قالَ:- « مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ».

*- أسألُ اللهَ - سبحانهُ وتعالى - أنْ يعظمَ محبةَ رسولهِ في قلوبنا، وأنْ يجعلَ محبةَ رسولِ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - أعظمَ عندنا منْ محبةِ أنفسنا وأهلنا، وآبائنا وأمهاتنا، وأزواجنا وبناتنا، وأنْ يجعلَ محبةَ رسولِ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - طمأنينةَ قلوبنا، وانشراحَ صدورنا، وأنْ يجعلَ محبتهُ عونًا لنا على طاعةِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - وحُسنِ الصلةِ بهِ؛ إنهُ - سبحانهُ وتعالى - ولِيُّ ذلكَ والقادرُ عليهِ.

*- فللَّهِ الحمد والمنة أن جعلَ محبتهُ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - منَ الإيمانِ، وجعلَ سُنتهِ طريقًا لدخولِ الجنانِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، أمرَ بمحبةِ النبيِّ العدنانِ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ خيرَ مَنْ صلى وصامَ، وحج وزكى وقام - صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ الكرامِ.

*- أما بعدُ:- أَيُّهَا الأَحْبَابُ الكِرَامُ:- إنَّ البرهانَ الصادقَ لمحبةِ النبيِّ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - هوَ تعظيمهُ وإجلالهُ وطاعتهُ، وكذا تعظيمُ ما جاءَ بهِ منَ الشريعةِ الحنيفيةِ السمحةِ منْ غيرِ غلوٍّ ولا جفاءٍ،

كما فهمها سلفُ هذهِ الأمةِ وطبقوها في واقعِ حياتهمْ، امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:- ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾،[آل عمران:- ٣١].

*- أَحِبَّتِي فِي اللهِ:- بعضُ الناسِ يدعي محبةَ النبيِّ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ -، وإذا نظرتَ في أقوالهِ وأعمالهِ رأيتهُ مخالفًا لشريعتهِ وهديهِ، والمسلمُ حقًّا صلتُهُ بِرَسُولِ اللهِ سيدنا محمدٍ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - صلةٌ على الدوامِ وفي كلِّ الأحوالِ، فهوَ في وضوئهِ وصلاتهِ وفي صومهِ وحجهِ وزكاتهِ وكلِّ معاملاتهِ، في أكلهِ وشربهِ ونومهِ ويقظتهِ، وفي كلِّ أخلاقهِ وسلوكهِ وتصرفاتهِ، مقتدٍ بالحبيبِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ.

*- إنَّ محبةَ الرسولِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - ليستْ مجردَ كلماتٍ ومدائحَ تُلقى منْ فترةٍ لأخرى، أوْ في إحياءِ ليلةٍ من الليالي منْ كلِّ عامٍ، تُقْرَأُ فيها الأورادُ، وَتُنْشَدُ فيها المدائحُ النبويـةُ والأورادُ الدينيةُ، وَتُقَامُ فيها الحفلاتُ والرقصاتُ.

*- بلْ هيَ عملٌ واستقامةٌ واقتداءٌ، وبذلٌ وتضحيةٌ لهذا الدينِ؛ وهيَ - كذلكَ - محبةٌ وشوقٌ وحنينٌ، وحبٌّ لهذا الرسولِ الكريمِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ -، وتقتضي هذهِ المحبةُ طاعتهُ وتعظيمهُ، والتحاكمُ إلى شريعتهِ، وإتباعِ هديهِ وسنتهِ، وتوقيرهِ، والدفاعِ عنه، ونصرتهِ حيًّا وميتًا، والثناءِ عليهِ بما هوَ أهلهُ.

*- إنَّ سيدنا محمدًا رسول الله - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - لا يريدُ بنا أنْ نحتفلَ بمولدهِ يومًا في السنة، وَنَنْسَى سُنَّتَهُ باقي أيام عمرنا، بلْ يريدنا أنْ نحتفلَ بهِ في كلِّ وقتٍ وحينٍ، في كلِّ نفسٍ نَتَنَفَّسُهُ، في كلِّ طرفةِ عينٍ، في كلِّ لحظةٍ تمرُّ علينَا منْ حياتنِا، واحتفالُنَا بهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ هو اتِّباعُ سُنَّتِهِ واقتفاءُ أثره، والسيرُ على نهجهِ ﷺ.

*- إنَّ حبيبنَا سيدنا محمدًا رسولُ اللهِ ﷺ يريدُ منَّا غرسَ محبتهِ في قلوبِ صغارنَا، وتنشئتهمْ على حبِّهِ ﷺ، وأنْ يكونَ حبُّهُ أحبَّ إلينَا وإليهمْ منْ كلِّ مَا سواهُ، وأن نذكرهمْ في ذكرى ميلادهِ الشريفِ بأنَّ هذا اليومَ الأغرَّ هوَ يومٌ منْ أيامِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فباللهِ عليكمْ أيُّ يومٍ أعظمُ منْ هذا اليومِ العظيمِ الذي امتنَّ فيهِ اللهُ عزَّ وجلَّ علينَا بظهورِ هذا النبيِّ العظيمِ، صاحبِ القدرِ الجليلِ الكريمِ، والذي لولاهُ ما كانَ هناكَ أيٌّ منْ

شعائرِ هذا الدينِ الحنيفِ، فهوَ يومٌ منْ أيامِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأيامُ اللهِ تباركَ وتعالَى هي:- '' كلُّ يومٍ امتنَّ اللهُ تباركَ وتعالَى فيهِ علينَا بإسداءِ نعمةٍ، أو بدفعِ نقمةٍ''، وهو يومُ فرحٍ وسرورٍ، وهناءٍ وحبورٍ، امتثالًا لقولهِ تعالى:- {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}،(يونس:-٥٨)، ففضلُ الله تعالى علينا هو العلمُ، والعلم كله مستمد من رسول الله ﷺ، فهو الذي عَلَّمَ المتعلمين، وهو سيد الخلق أجمعين، ورحمةُ اللهِ تباركَ وتعالَى هي الحبيبُ المصطفى الهادي سيدنَا محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ، مصداقًا لقوله تعالى:- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }،(الأنبياء:-١٠٧)، كما قالَ بذلكَ حبرُ هذهِ الأمةِ، وترجمان القرآن، سيدنا عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهما، فكيف لا نفرح برسول الله صلى الله عليه وسلم وبذكرى ميلاده العظيم، الذي شنَّف ذكره الأسماع، وأحيا القلوب، وأنار البصيرة والأبصار، بعد سماع هذا الخطاب القرآني الجليل، الذي يأمرنا فيه مولانا الحكيم جلَّتْ قدرته، وتعالت عظمته، بالفرح بهذا النبي العظيم، والرسول الكريم ﷺ.

*- إنَّ محبتهُ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - تعني طاعتهُ، والتزامُ سُنَّتِهِ، وَمَا الاحتفالِ بمولدهِ ﷺ إلا تعبيرٌ صريحٌ عنْ مدى الحبِّ العميقِ المتغلغلِ لهُ ﷺ في أحشاءِ محبيهِ ومتبعيهِ، وأننا نفديهُ ﷺ بأرواحنِا وأنفسنِا وأهلينَا وأموالنَا وبكلِّ مَا نملكُ، كمَا قالَ سيدُنَا حسانُ بن ثابتٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ وأرضاهُ في الدفاعِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ:-

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْـــهُ وعندَ اللَّهِ في ذاكَ الجـــزاءُ

أتهجوهُ ولستَ لهُ بِكُـــــفءٍ فَشَرُّكُمَا لَخَيْرِكُمَا الفـــــداءُ

هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيْفـــــًا أَمِيْنُ اللَّهِ شيمتُهُ الوفـــــاءُ

فمنْ يَهْجُو رسولَ اللهِ منكـــمْ ويمدحُهُ وينصرُهُ ســـــــواءُ

فإنَّ أبي ووالدَهُ وَعِرْضِـــــي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ منكمْ فـــــداءُ

ولله در القائل أيضًا:-

يا صاحبَ الحوضِ كمْ للناسِ منْ أملٍ في وردهِ يومَ تَسقي منهُ كلَّ ظمِـــــي

لواءكَ الحمدُ يومَ الدينِ ترفعـــــــــهُ يمناكَ يا سعدَ منْ تلقاهُ بالدعـــــــــمِ

أنتَ الشفيعُ لنا في يومِ شدتـــــــــنا تقومُ وحدكَ كلُّ الرسْلِ لمْ تقـــــــــمِ

يقولُ كلُّ نبيٍّ منْ تهيبهِ نفســـــــــي فتسجدُ للرحمنِ منْ أمَـــــــــــــمِ

تقولُ أنتَ لها يدعوكَ خالقنا اشفـــــعْ تشفعْ هنا للخلقِ كلهـــــــــــــــمِ

أنتَ الشفيعُ الذي ترجى شفاعتـــــــهُ يومَ الزحامِ منَ الأهوالِ والنقـــــــــمِ

أنتَ الكريمُ الذي عمتْ مكارمـــــــــهُ كلَّ الخلائقِ منْ عربٍ ومنْ عجـــــمِ

*- ثمَّ اعلموا - يا عبادَ اللهِ - أنَّ منْ علاماتِ حبهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ:- كثرةُ الصلاةِ والسلامِ عليهِ في كلِّ وقتٍ وحينٍ، ففي ذلكَ الراحةُ والطمأنينةُ والأجرُ والثوابُ، وهوَ دليلٌ على هذا الحبِّ.

*- وكيف بالله تعالى عليكم لا نحبُّ حبيب قلوبنا نور عيوننا سيدنا ومصطفانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي اشتاق إلينا قبل وجودنا، بل قبل مجيئنا إلى هذه الدنيا، فهيا بنا أحبابنا الكرام نقف معًا وسويًّا على حقيقة حبه واشتياقه لنا ﷺ.

*- اشتياق النبي صلى الله عليه وسلّم لأمّته:-

الحمد لله رب العالمين، أحمده وأستعين به وأستغفره وأستهديه، وأومن به وأتوكل عليه، وأعبده وأشكره، ولا أنساه ولا أكفره، وأعادي من يكفر به ولا يشكره، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنّ سيدنا وحبيبنا ونور عيوننا، وجلاء همومنا، وذهاب أحزاننا وغمومنا، محمّدا عبده ورسوله ﷺ، أرسله بالهدى ودين الحقّ والنور والموعظة والحكمة على فترةٍ من الرّسل، وقلّةٍ من العلم، وضلالةٍ من النّاس، وانقطاعٍ من الزّمان، ودنوٍّ من السّاعة، وقربٍ من الأجل.

من يطع الله ورسوله فقد هُدِيَ وَرَشِدَ، ومن يَعْصِ اللهَ ورسولَهُ فقد غوى وفرَّطَ وضلَّ ضلالًا بعيدًا، وإنَّ خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أنْ يَحُضَّهُ على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله تعالى، واحذروا إخوتي في الله تعالى، وأحبتي في رسول الله ﷺ ما حذّركم الله تعالى من نفسه، فإنّ تقوى الله لمن عمل به على وجلٍ ومخافةٍ من ربّه، عونُ صدقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة.

أمّا بعد:- عباد الله- فعلى الرغم من انقضاء أكثر من أربعة عشر قرنًا على انتقال الحبيب المصطفى سيدنا رسول الله ﷺ للرّفيق الأعلى، فإنَّ أمَّة الإسلام لم تخلُ من أولياءَ ربانيين، وَوُرَّاثٍ محمديين، وشهداءَ وصالحين، وعلماءَ مربين ناصحين، وقائمين لله بالقسط من خيار أمة الحبيب المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يخلو منهم زمان ولا مكان، رغم بُعدِ الزمان وطول العهد، وهؤلاء حنَّ إليهم رسول الله ﷺ، واشتاق لرؤيتهم واعتبرهم إخوانًا له، وتمنى اللقاء بهم، وبشرّهم بأنه سيسبقهم إلى حوضه وينتظرهم هناك ليسقيَهم منه، فلقد كان النبي ﷺ مع أصحابه ذات يوم يزورون المقبرة فقال لهم :- ""ودِدْتُ أنا قد رأينا إخوَانَنَا"، قالوا:- أولسنا إخوانَك يا رسول الله؟! قال:- "بل أنتم أصحابي، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعدُ"، فقالوا:- كيف تعرفُ منْ لمْ يأتِ بعدُ منْ أمتك يا رسول الله؟ فقال:- "أرأيتم لو أن رجلًا له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلةٌ بين ظهري خيل دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يعرف خيله"؟ قالوا:- بلى يا رسول الله، قال:- "فإنهم يأتون غُرّاً مُحَجَّلين من الوضوء، وأنا فَرَطُهم على الحوض"" – البخاري ومسلم.

ففي هذا الحديثِ العظيمِ المُبَشِّرِ أخبرَ الحبيبُ الأعظمُ سيدنا محمدٌ رسولُ اللهِ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أن له في آخر الزمان إخوانًا من بعده، ليسوا أنبياء لأن النبوة به خُتِمت، وليسَ فيها نفيٌ لِأُخُوَّةِ الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ، ولكن الرسول ﷺ ذَكَرَ مرتبتهم الزائدة بالصحبة، فهؤلاء إخوةٌ صحابة، والذين لم يأتوا بعد، إخوةٌ ليسوا بصحابة، ولكن لهم فضلٌ عظيمٌ بما آمنوا به ولم يروه، وبالتعلق القلبي والمحبة الخالصة لرسول الله ﷺ، والاقتداء الكامل، والشوق الزائد المتوقد، والإيمان المتجدد، ولهم فضل بما صبروا على غربة الإسلام، وعلى شِدَّةِ وَكَيْدِ أعداءِ الإسلامِ على أهلِ الإيمان.

"ناسٌ أخيارٌ أطهارٌ أبرارٌ أتقياءُ أنقياءُ أصفياءُ مَخْلَصُونَ يأتون من بعده ﷺ، أنزلهم منزلة الإخوان، في مرتبةٍ تحاذي مرتبةَ الصحابة وتقاربَها، هم ناسٌ يحبون الله ورسوله ﷺ المحبة المزدوجة التي هي بمثابة الجناحين لمن أهَّلَه الله للتحليق في ذلك الأفق"

إن السابقين الأولين سابقون مُقربون، أعني الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أجمعين، كما قال الله تبارك وتعالى في حقهم:- {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ

مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ}،(الواقعة:-١٠-١٣)، والمؤمنون اللاحقون إخوان مُحبون مشتاقون، وكلُّهم على خير عظيم، لأنهم عاشوا للإسلام لا لأنفسهم، ولأنهم أحبوا رسول الله ﷺ وتفانوا في حبه واتبعوا هديه ونشروا ونصروا دينه، وصبروا على ما يلقونه في سبيل ذلك.

لكن ليس كلُّ من هبَّ ودبَّ وقال أنا من إخوان الرسول ﷺ، يدخل هنا في هذا الوصف العظيم الجليل، بل إنَّ الذين اشتاق إلى رؤيتهم الرسول ﷺ وتمنى اللقاء بهم كما أخبر، لهم صفاتٌ روحيةٌ عمليةٌ سلوكيةٌ أهَّلَتْهُمْ ليشتاقَ إليهم رسول الله ﷺ.

إنها بشرى عظيمة يهتزُّ لها كلُّ ذي قلبٍ مؤمنٍ مشتاقٍ توّاقٍ، وَيُرَشِّحُ نفسه لها بالصدقِ الدائمِ، والطاعةِ الكاملةِ والاستقامةِ والدعوةِ الدائبةِ، والجهادِ المستمرِ.

فكيف لا نشتاق إلى أطيب الخلق ﷺ الذي سبقنا بالشوق، اشتاق لرؤيتنا فما اشتقنا إليه، ألا منْ دمعةِ مشفقٍ على نفسهِ اللاهيةِ، تنقله من الغفلةِ إلى الذكرِ والتذكرِ والحبِّ والشوقِ والذوقِ.

لقد أخبر الرسول ﷺ أنه سيكون من بعده من أمته محبون مشتاقون إليه، ومن شدة حبهم لنبيهم لا يُبالون لو أنفقوا كل أموالهم وافتَدَوْا بأهلهم مقابل رؤيتهم لرسول الله ﷺ، قابَلوا شوق الرسول ﷺ إليهم بشوقٍ زائدٍ هائجٍ متوقدٍ إليه من وراء جدران الزمان والحواجز.

جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:- "من أشد أمتي لي حبًّا، ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله".

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:- "إن أشدَّ أمتي لي حبًّا قوم يكونون أو يجيئون، وفي رواية – يخرجون بعدي- يودّ أحدهم أنه أَعْطَى أهله وماله وأنه رآني" – مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:- قال رسول الله ﷺ:- "لَيَأْتِيَنَّ على أحدِكُمْ زمانٌ لأنْ يراني أحبُّ إليه من مثل أهله وماله" –البخاري.

إن المؤمنين الصادقين في زمان الغربة هذا – على قلتهم وذلتهم- لا يشعرون بالغربة ولا بحياة الضَّنْكِ، التي يُحسُّ بها غيرهم، إذ كيف يشعرون بها وقلوبهم ملآ بحب الله تعالى ورسوله ﷺ والشوق إلى لقائهما،

فهم يفتخرون بغربتهم في مجتمعِ الضياعِ، ومجتمعِ انحطاطِ القيمِ، ونُضوبِ الإيمانِ منَ القلوبِ، واللهثِ وراءَ الماديات المُلهيةِ المُطْغيةِ، وبحبهم وشوقهم لرسول الله ﷺ تَذْهَبُ همومهم، وتنجلي كرباتهم، وتبرأ أدواؤهم.

فإلى المصطفى ﷺ تتشوق نفوسهم العالية، وبحبه تَلتاع أرواحهم السابقةُ إلى الخيرات، الناشئةُ على الاستقامة والطهر، فهل نهضَتْ بك هِمَّتُكَ أخي المسلم لتكون من هؤلاء؟ وهل زاد حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمنيت لقياه واشتقت لرؤية وجهِه الأنور؟ وهل ضاعَفْتَ حبَّك وشوقك ورفعْتَ هِمَّتَكَ وأوقدْتَ طموحك ؟ وهل نصرت حبيبك المصطفى ﷺ حينما تستوجب النصرة ؟.

فلينظر كلٌّ منا إلى صدق إيمانه بربه، وليفتش عن محبته لله ولرسوله ﷺ بين جوانحه، والشوق إلى لقائهما.

وهذه نماذج مشرقة ممن عرفوا قدر الحبيب المصطفى ﷺ وأحبوه حبًّا كبيرًا، وألِفُوهُ ولم يُطيقوا فِراقَه والبُعادَ عنه، فحركهم الشوق إليه، والتلذذ بطلعته، والتنور بنور وجهه ومجالسته:-

أخرج الطبراني وابن مردوْيه بسند لا بأس به عن أُمِّنَا عائشة رضي الله عنها قالت:- "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:- يا رسول الله:- إنك لأحبُّ إلي من نفسي، وإنك لأحبُّ إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبرُ حتى آتيَ فأنظرَ إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتَكَ وعرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنةَ رُفعتَ مع النبيئين، وإني إذا دخلتُ الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يردَّ النبي ﷺ شيئًا حتى نزل جبريل بهذه الآية:- { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ اللَّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا }،(النساء:- ٦٩- ٧٠).

صحابيٌّ جليلٌ محبٌّ يهزُّه الحبُّ المشُوبُ بالشوقِ هزّاً عنيفاً ويُخرجُه من بيته، فلا يُقعدُهُ إلَّا أَمَامَ رسولِ الله ﷺ، ويبعث فيه الطموح والهمة ليفكر في مصيره في الآخرة ، هذا هو الحب وإلا فلا.

وهذا "ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديدَ الحبِّ له، قليلَ الصبرِ عليه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه، ونحُلَ جسمُه، يُعرفُ في وجهه الحزن، فقال له:- "يا ثوبان ما غيَّرَ لَوْنَكَ"؟ ، فقال يا رسول الله:- ما بي

من ضُرٍّ ولا وجعٍ، غير أني إذا لمْ أَرَكَ اِشْتَقْتُ إليك واستوحشْتُ وحشةً شديدةً حتى ألقاك، ثم ذكرْتُ الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك لأني أعرف أنك تُرفع مع النبيئين، وإني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحرى أن لا أراك أبدًا"، فأنزل الله تبارك وتعالى:- {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }،(النساء:- ١٣).

استوحش ثوبان حبيبه واغتمَّ وحزن، وما كان به من وجعٍ ولا ألمٍ، ولم يمتْ له قريبٌ ولا حبيبٌ، ولم يحزنْ على مالٍ ضاع منه، ولا على منصبٍ من مناصب الدنيا فاته، ولا على صفقةٍ خسرها، كل ما أهمه هو أنه كان شديدَ الحبِّ لرسول الله ﷺ قليلَ الصبرِ على فراقه، كان إذا غاب عنه وجهُ حبيبه وتذكره هجمَتْ عليه الوحشةُ وجاءه الشوقُ، إنه الشوقُ وأيُّ شوقٍ؟! شوقُ المحبِّ إلى الحبيب ﷺ الذي أحبته كل الكائنات ﷺ.

نفوس طاهرة أهمَّها حبُّ الرسول ﷺ، وأنساها مآسيَ الحياة وهمومَ الدنيا، ومصائبَ الزمان، وأرَّقَها البُعادُ عن حبيبها، وجعلها تتطلع لرؤيته، وتتعلق أرواحها به، ولا تغيب صورته عن أذهانها، وكيف لا تبتهج الأرواح بنور محياه، ولا تتشوف الأبصار لرؤيته، وهو دواؤها وطبيبها وهاديها ومن أتاها بكل خير؟!

عباد الله:- إنّ محبّة الرسول ﷺ واجبة متأكّدة لما ورد في الصحيح عنه ﷺ:- (والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين).

بمعنى أنّ الإيمان لا يكتمل إلا بتقديم محبَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ على النفس والأهل والمال وكل الناس، أحبابنا الكرام إخوة الحقِّ والإيمان، إخوتي في الله، وأحبتي في رسول الله ﷺ:- إن واجبنا الإيماني والحقيقي نحو حبيبنا ﷺ:- هو نصرته ودراسة سيرته العطرة وتدريسها للأطفال كي ينشؤوا على محبّته واتباع سيرته.

نسأل المولى العزيز القدير أن يجعلنا من أنصار الحبيب المصطفى ﷺ ومن شفعائه يوم القيامة فيصرف عن وجوهنا النار تيمّنًا ببركة الوجه الأنور للنبي الأمي، صاحب الجبين الأزهر، والحوض والكوثر، والشفاعة الكبرى في المحشر ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه، فيا نعم المسغفرين، إنه هو الغفور الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*- فاللهمَّ صلِّ وسلمْ وباركْ على نبينا محمدٍ، وارضَ اللهمَّ عنْ خلفائهِ الراشدينَ، وآلِ بيتهِ الطاهرينَ وعنْ الصحابةِ أجمعينَ، وعنِ التابعينَ، ومنْ تبعهمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وعنا معهمْ بمنكَ ورحمتكَ يا أرحمَ الراحمينَ، هذَا عنِ الحبِّ المفعمِ لرسولِ اللهِ ﷺ، فماذَا عنْ حبِّ الأولياءِ والصالحينَ، والصفوةِ المقربينَ، وعبادِ اللهِ المتقينَ، وخيرتِهِ المُخْلَصِيْنَ رضيَ اللهُ تعالَى عنهمْ وأرضاهمْ أجمعينَ.

*- اعلموا رحمكم الله تعالى:- أن الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، وبالحب في الله يجد العبد حلاوة الإيمان، ولكن في هذا الزمان انقلبت موازين الحب والبغض، فأصبح الناس يحبون أهل المال والفجور والغناء.

*- فعلى المسلم أن يعرف من يحب، ومن يصاحب، ومن يجالس، وهناك ثلاثة أصناف من الناس لا تُصاحَب، وللإخوة حقوق يجب على المسلم مراعاتها.

*- أولًا مصاحبة الصالحين:- اللهم لك الحمد خيراً مما نقول، وفوق ما نقول، ومثلما نقول، لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، عزَّ جاهك، وجلَّ ثناؤك، وتقدست أسماؤك، ولا إله إلا أنت من أطاعك قربته، ومن تقرب إليك أحببته، ومن عصاك أدبته، ومن حاربك خذلته وأهنته، في السماء ملكك، وفي الأرض سلطانك، وفي البحر عظمتك، وفي النار سطوتك، وفي الجنة رحمتك، وفي كل شيء حكمتك وآيتك.

*- لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد قبل الرضا، ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد في كل وقت وحين، ولك الحمد على كل حال، ولك الحمد بالغدو والآصال، والصلاة والسلام على معلم الخير، وهادي البشرية، ومعلم الإنسانية، ومزعزع كيان الوثنية، ﷺ ما تعلقت عين بنظر، وما اتصلت أذن بخبر، وما هطل مطر، وما هتف ورق على شجر، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وإذا صاحبت فاصحب ماجـداً ذا عفاف وحياء وكـــــــرم

قوله للشيء لا إن قلـــــت لا وإذا قلت نعم قال نعـــــــم

*- هذان بيتان للمجاهد الزاهد عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يدعو فيهما إلى حب الصالحين، وتولي الأبرار، ومرافقة الأخيار.

*- والولاء والبراء من عقيدة أهل السنة والجماعة:- إن الولاء والبراء من عقيدة أهل السنة والجماعة، وإن حب الصالحين جعل سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام يشتاق لبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي.

*- إن هذا الدين الحنيف أخرج صلاح الدين من الأكراد، ومحمد الفاتح من الأتراك، فجعلهم في سبيل الله.

*- إن التولي عن هذا الدين جعل أبا طالبٍ وأبا لهبٍ وأميةَ بنِ خلفٍ في النار، وعقيدة الولاء والبراء وحب الصالحين وبغض المعرضين هي عقيدة كعقيدة الصيام والصلاة والزكاة.

*- والله يصف أولياءه فيقول:- {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، [التوبة:-٧١].

*- فحب الصالحين طريق إلى الجنة، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول عن هذا الحب:- { ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان}، وللإيمان حلاوة وذوق، لا يذوقه أهل البارات والخمارات، ولا أهل القصور والدور، ولا أهل المناصب والبساتين، ولا أهل ناطحات السحاب إذا كانوا بلا إيمان.

*- فالإيمان له حلاوة يذوقها أولياء الله تعالى:- {ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان - منها:- وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله}، لا للونه أو لنسبه، ولا لمنصبه أو شهامته أو عصبه، ولكن لأنه مؤمن بالله العظيم.

*- ويقول سبحانه وتعالى:- {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}،[الزخرف:-٦٧]، والعداوة تظهر يوم القيامة، وفي الأثر:- {إن الله ينادي الناس يوم القيامة، فيقول:- يا أيها الناس! إنني جعلت نسباً، وجعلتم نسباً فوضعتم نسبي ورفعتم أنسابكم، قلت:- ''إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ''، فقلتم:- أكرمنا فلان بن فلان، وفلان بن فلان، فاليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبي، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ }.

*- وقف حبيبنا ﷺ على الصفا يعلن حقوق الإنسان، ويتكلم عن فضل الإنسان، وما ميزه الله به، وما هو أساس التمايز والتفاضل بين الناس، فيقول لبني هاشم – أسرةِ الريادةِ في العالم ولا يوجدُ أشرفُ من بني هاشمٍ في الكرة الأرضية- قال:- {يا بني هاشم! لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، من بَطَّأَ به عمله، لم يسرعْ به نسبه}، والمقصود هنا:- أنَّ منْ أحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنعَ لله، فقد استكمل الإيمان – وهذا هو أساس الدين-.

*- قال ابن عمر:- [والله الذي لا إله إلا هو، لو أنفقت أموالي غلقاً غلقاً في سبيل الله، وصمت النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه، ثم لقيت الله لا أحب أهل الطاعة، ولا أبغض أهل المعصية، لخشيت أن يكبني الله على وجهي في النار].

*- حب السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين لبعضهم البعض:-

*- فهذا الشافعي – الإمام العلم- الهاشمي، ولكن ما نظر إلى هاشميته، ولا إلى قرشيته، بل نظر إلى تعامله مع الله، يقول في البيتين المشهورين:-

أحب الصالحين ولست منهـــم لعلي أن أنال بهم شفاعـــــة

وأكره من تجارته المعاصـــــي ولو كنا سواءً في البضاعـــة

*- يقول رضي الله تعالى عنه وهو قمة في التقوى والخشية والخوف، والخضوع والخشوع والمراقبة والهيبة من الله تبارك وتعالى متهمًا نفسه:- إنني عاصٍ، ولكني والله لا أحب العصاة، وأنا مقصر في الطاعة، ولكني والله أحب الطائعين، فيقول له الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-

تحب الصالحين وأنت منهـــم رفيق القوم يلحق بالجماعـــة

تحب الصالحين وأنت منهـــم ومنكم يرتجى نيل الشفاعـــــة

تحب الصالحين وأنت منهـــم حماك الله من تلك البضاعـــة

*- فيقول له الإمام أحمد:- من أين خرج الإسلام إلا من بيتكم، ومن أين أشرقت شمس الرسالة إلا من عقر داركم، فأنت من الصالحين، ومن مثلك تطلب الشفاعة لصلاحك وخيريتك، وشدة خشيتك من الله تبارك وتعالى.

*- كان الإمام الشافعي أكبر سنّاً من الإمام أحمد رضي الله تعالى عنهما، وكان أكثر علماً في أصول الفقه، وكان يزورُ الإمام أحمد في بيته، فقال له تلاميذه:- تزور الإمام أحمد وأنت أكبر سنّاً منه، فرد ببيتين يقول فيهما:-

قالوا:- يزورك أحمد وتـــزوره قلت:- الفضائل لا تغادر منزلـــه

إن زارني فلفضله أو زرتـــــه فلفضله فالفضل في الحالين لـــــه

*- رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين، والله الذي لا إله إلا هو ''لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل، ومما يروى في ذلك من روائع القصص أنه:- {كان الخليفة المأمون قد وَكَّلَ الفراء يلقن ابنيه النحو، فلما كان يومًا أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانها له، فتنازعا أيهما يقدمها، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة، فقدماها، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر – أي رجل يأتيه بالأخبار – فرفع إليه ذلك الخبر، فَوَجَّهَ إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له:- من أعزُّ الناس؟ قال:- ما أعرف أحدًا أعزَّ من أمير المؤمنين، قال:- بلى! من إذا نهض؛ تقاتل على تقديم نعليه وليًّا عهد المسلمين، حتى رضي كل منهما أن يقدم له فردة.

قال يا أمير المؤمنين:- لقد أردت منعهما من ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مَكْرُمَةٍ سبقا إليها، وأكسر نفوسهما عن شريفةٍ حرصا عليها، وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:- أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهما ركابيهما حتى خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر:- أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسنُّ منهما فقال له:- اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل.

فقال له المأمون:- لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لومًا وعتبًا، وألزمتك ذنبًا، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وَبَيَّنَ عن جوهرهما، ولقد ثبتت لي مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل – وإن كان كبيرًا – عن ثلاث:- عن تواضعه لسلطانه ووالده، ومعلمه العلم، وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما }.

*- فضل الحب في الله تعالى:- إن الله تعالى رفعهم وأعلى قدرهم، لأن محبتهم في الواحد الأحد، وصح عنه عليه الصلاة والسلام:- {أن رجلاً زار أخاً له في قرية، فأرصد الله في طريق هذا الزائر ملكاً من الملائكة، فوقف للزائر، قال:- أين تريد؟ قال:- أريد فلان بن فلان، قال:- ماذا تريد منه؟ قال:- أحبه في الله، فأريد زيارته في الله، قال:- أمالك من نعمة عنده تَرُبُّهَا؟- أي:- تريد بقاءها؟- قال:- لا والله الذي لا إله إلا هو، ما زرته إلا في الله، قال:- فأنا ملك أرسلني ربي أخبرك أن الله غفر لك ولصاحبك}.

*- وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:- {إذا التقى المسلمان فتصافحا، تَحَاتَتْ خطاياهما كما تَحُتُّ الشجرة ورقها}.

*- فالإسلام يُبنى على الحب، والحب شجرة الإسلام، ولا يمكن أن تكون وليّاً لله حتى تحب أولياء الله، فمن هم أولياء الله؟.

*- هم أهل المسجد والمصحف والحديث والاستقامة والخير للمسلمين، قال تعالى:- {إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ}،[المائدة:٥٥-٥٦].

*- أثر غياب عقيدة الولاء والبراء:- لما مات الولاء والبراء، أصبح الكافر مقدم عند بعض المسلمين على المؤمن المصلي، ورأينا من سُلِخَتْ شعائرُ العبادة والتوجه إلى الله من قلبه؛ يقدمُ الكافرَ الأشقرَ الوثنيَّ على المسلمِ المصلي لا لشيءٍ، وإنما لأنه مهزومٌ من داخله، في قلبه مرض فزاده الله مرضاً، ينظر لهذا المسلم بعين الحقارة، وينظر لهذا الأشقرِ الأحمرِ بعين التعظيمِ والحضارةِ والمادةِ والصناعةِ، وهذا من الرذيلة التي ما بعدها رذيلة.

*- كتب أحدهم سؤالاً يقول لنا:- أخٌ في شركة إذا حضر وقت الغداء، تركنا وذهب يتغدى مع الخواجات.

*- قلنا:- المرء يحشر مع من أحب، فهو يحشر معهم، ولولا هذه الانهزامية في قلبه، ما فَعَل ما فَعَل، بل تجد بعض الناس يقدم للكافر من الخدمات والاحترام مالا يقدم عُشْرَ مِعْشَارِهِ لإخوانه المسلمين، لأن صورة الإسلام ما وضحت في قلبه.

*- وهذا سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه وأرضاه كتب من العراق لسيدنا عملاق الإسلام أمير عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:- عندنا نصراني وهو كاتب حذق فطن، فهل يكتب لي؟ فكتب له عمر:- لا يكتب لك، فرد أبو موسى وقال:- إنه كاتب حذق، فرد عمر قال:- قاتلك الله! تقربهم بعد أن أبعدهم الله، وترفعهم بعد أن أهانهم الله، وتكرمهم بعد أن أذلهم الله، لا يكون لك كاتباً أبداً.

*- فيا إخوتي في الله، وأحبتي في رسول الله ﷺ! لقد فهم سلفنا الصالح هذه الأصول حق الفهم، ووعوها حق الوعيّ، وعرفوها حق المعرفة فطبقوها واقعًا عمليًّا في حياتهم، وعاشوا على هذا المنهج الرباني العظيم وهو:- ''أن تحب الرجل لا تحبه إلا لله''.

*- لقد قام عليه الصلاة والسلام خطيباً، فتحدث فقاطعه أعرابي، وقال:- {متى الساعة يا رسول الله؟ فلما انتهى قال:- ماذا أعددت للساعة؟ قال الأعرابي:- يا رسول الله! والله ما أعددت لها كثير صيام ولا صدقة ولا صلاة، ولكني أحب الله ورسوله، قال عليه الصلاة والسلام:- المرء يحشر مع من أحب}، وهذه قضية كبرى في حياة المسلم تجعله يحب الصالحين لعله يحشر في معيتهم وزمرتهم وتحت رايتهم.

*- معرفة صاحبك وجليسك:- قال رجل لابن المبارك:- مع من تنصحني أن أجلس؟ قال:- اسمع مني، قال:- نعم، قال:-

من كان ملتمساً جليساً صالحـاً فليأت حلقة مسعر بن كـــدام

فيها السكينة والوقار وأهلهـــا أهل العفاف وعلية الأقـــوام

*- ففي الناس مجالس تقرب من النار والعار في الدنيا والآخرة، فهناك مجالس في المجتمع من مجالس جهنم، من مجالس إبليس، يدار في بعض مجالس اللاهين العابثين الاستهزاء بالله ورسوله وبالجنة والنار ولقاء الله، وبعضهم يستهزئ بالدعاة والعلماء وطلبة العلم، فالجلوس مع مثل هؤلاء قطعة من النار والعار والدمار والشنار في الدنيا والآخرة إلا أن يعظهم وينصحهم، وإن من الناس من حبه بُعدٌ من الله عزَّ وجلَّ.

*- قال جعفر الصادق لابنه:- [يا بني! لا تصاحب ثلاثة، فقد غضب الله عليهم:- لا تصاحب عاق الوالدين فإن الله قد تبرأ منه، ولا تصاحب الكذاب فإنه يقرب لك البعيد ويبعد عليك القريب، ولا تصاحب البخيل فإنه يبيعك بأدنى سبب].

*- إذا علم هذا فليعرف العبد من يجالس، ومن يؤاكل، ومن يحب، قال ﷺ في حديث حسن:- {لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي}، ولما حضرت عمر سكرات الموت قال:- [ما آسى على الحياة إلا على ثلاث - وذكر منهم:- رفقة أجلس معهم ينتقون أطايب الكلام كما ينتقون أطايب التمر].

*- فهؤلاء أولياء الله تعالى إمامهم وقائدهم وقدوتهم وأسوتهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ودستورهم القرآن، وبيوتهم المساجد، ولله در القائل:-

ليسوا كقومٍ إذا لاقيتهم عرضـــاً أهدوك من نورهم ما يُتْحِفُ الساري

تروى وتشبعُ من سيماءِ طلعتِهِمْ بوصفهم ذَكَّرُوكَ الواحدِ البـــــاري

منْ تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيدهم مثل النجومِ التي يسري بها الساري

*- وفي صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام:- {يقول الله يوم القيامة:- أين المتحابون في جلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي}.

*- عاقبة جلساء السوء:- يا إخوة الإسلام! يا شباب الإسلام! أحذركم جلساء السوء:- قوم جلسوا على الأرصفة يروجون المخدرات ويرتكبون المحرمات ويقاطعون الصلوات، ويستمعون الأغنيات الماجنات،

قوم تخلوا عن الأدب، وحاربوا منهج الأنبياء والرسل، معهم كل لهو ولعب، صدوا عن منهج الله، وحرفوا شباب الإسلام عن بيوت الله.

*- الجليس السيء مؤذٍ، قال ابن القيم:- وهل كان أشأم على ''أبي طالب'' من ''أبي جهل''؟ أبو طالب أراد أن يتحرك في سكرات الموت ليقول:- ''لا إله إلا الله'' - ولو قالها؛ لسعد في الدنيا والآخرة- ولكن منعه أشأم الناس عليه.

*- معلم الخير الزعيم العالمي المصلح الحبيب القائد البرُّ الرؤوف الرحيم سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام كان عند ''عمه أبي طالب'' حين حضرته سكرات الموت، فأخذ -ﷺ- رداءه مسرعاً من البيت، وعلي بن أبي طالب -الشابُّ المؤمنُ التقيُّ النقيُّ- يقول:- يا رسول الله! عمُّكَ الشيخُ الضالُّ في سكرات الموت، انظر الولاء والبراء عند علي يقول:- عمك، يعني:- أبي الشيخ الضال، لأنه ليس مسلماً فأخذ ﷺ رداءه مسرعاً يريد أن يلحقه في ساعة الصفر - ساعة الموت- التي يذعن فيها المتكبر، ويسلم فيها الكافر، ويفتقر فيها الغني، ويلين فيها القاسي، يريد أن يظفر بـ ''لا إله إلا الله''، يريد أن يحاجَّ له بـ ''لا إله إلا الله''، فدخل فجلس عنده، ولكنَّ الجليسَ السيءَ المجرمَ السفاكَ الأجربَ أبا جهلٍ كان جالساً من قبل، فيقول عليه الصلاة والسلام:- {يا عمِّ! قل:- لا إله إلا الله؛ كلمة أحاجُّ لك بها عند الله، فتنحنح أبو طالب واتكأ وأراد أن يقولها، فقال أبو جهل:- أترغب عن ملة عبد المطلب؟ لا تقل ''لا إله إلا الله''، فمات على غير ''لا إله إلا الله''}.

*- انظر إلى الجليس السيء ''هامان- وقارون'' كان أحدهما عن يمين فرعون والآخر عن يساره، فكلما أراد أن يهتديَ ويعلنَ أن ''لا إله إلا الله''، خيبوا طريقه وأظلموا بصائره.

*- وهذه هي حاشية السوء وبطانة الردى، كلما أراد أحد أن يعمل خيراً أو ينتج أو ينصر الدين؛ أَزُّوهُ أزاً وهم شياطين الإنس والجن، فلذلك كان فرعون في قلبه ''لا إله إلا الله''، يقول له موسى:- يا مجرم! والله إنك لتعلم أنه ''لا إله إلا الله''، كما قال تعالى:- {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً}،[الإسراء:١٠٢]، ولكن رفضها مستشاراه ووزيراه ومفوضاه، كلما أراد أن يعلن أنه ''لا إله إلا الله''، رفضا ولم يضرَّ المسيرةَ الإسلاميةَ إلا جليسُ السوءِ.

*- والعرب تقول:- ''الصاحب ساحب، وهو لصٌ يأخذ منك ما لا تأخذ منه''.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتـــــــــــدي

*- يقول عليه الصلاة والسلام كما صح عنه:- {مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، أما حامل المسك فإما أن تشتري منه وإما أن يحذيك، وأما نافخ الكير فإما أن يحرق ثيابك أو تجد منه رائحة منتنة}، فأنقذوا أنفسكم من جلساء السوء، وعصابات الإجرام، وأصحاب الفاحشة الذين يريدون أن يكون الدين عوجاً ولا يريدون صلاحاً للعباد والبلاد والأمة.

*- وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، أقول هذا وأستغفر الله العظيم الجليل فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم، '' اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عَاوَدْتُهُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ شَيْءٍ جَعَلْتُهُ لَكَ خَالِصًا عَلَى نَفْسِي ثُمَّ لَمْ أَفِ بِهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ عَمَلٍ عَمِلْتُهُ أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ فَخَالَطَهُ مَا لَيْسَ لَكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا دَعَانِي إِلَيْهِ الْهَوَى مِنْ قَبُولِ الرُّخَصِ مِمَّا أَتَيْتُهُ وَاشْتَبَهَ عَلِيَّ مِمَّا هُوَ حَرَامٌ عِنْدَكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَقَوِيتُ بِهَا عَلَى مَعَاصِيكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي لا يَعْلَمُهَا غَيْرُكَ، وَلا يَسَعُهَا إِلا حِلْمُكَ وَعَفْوُكَ، يَا مَنْ عَرَّفَنَا نَفْسَهُ لا تُشْغِلْنَا عَنْكَ بِغَيْرِكَ، وَأَسْقِطْ عَنَّا مَا كَانَ لِغَيْرِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ يَمِينٍ سَلَفَتْ مِنِّي فَحَنِثْتُ فِيهَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ''، اللهم إن أصبت في عملي هذا فبفضلك وَمِنَّتِكَ وتوفيقك وتسديدك لخطاي، وإن كانت الأخرى من عجزي وتقصيري والهوى والشيطان، فاللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، لا يخالطه عجبٌ ولا رياء، ولا نفاق، ولا سمعة، فأنت أعلم بما في صدورنا يا كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيب قلوبنا، ونور عيوننا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.